دراسات في المعتقدات الاجتماعية
عند العرب قبل الإسلام

أ. د. سعد عبود سمار



دراسات في المعتقدات الاجتماعية

عند العرب قبل الإسلام

الكتاب: دراسات في المعتقدات الاجتماعية

عند العرب قبل الإسلام

تأليف: أ. د سعد عبود سمار

الطبعة الاولى: ٢٠١٤

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين

تموز

طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٠٠٩٦٣ -٩٤٤٦٢٨٥٧٠

Email: akramaleshi@gmail.com

الفهرس

المقدمة

مما لاشك فيه إنّ المعتقدات الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام ، هي في مجملها موروثة من سلسلة أجيال متعاقبة عبر القرون ، بعضها من العرب القدماء ، ويمتد بعضها الآخر إلى المعتقدات الاجتماعية التي كان عليها إنسان الشرق الأدنى القديم لكن هذه المعتقدات بمجموعها تشكلت في اللاوعي الجمعي للعرب قبل الإسلام ؛ فأعادوا تطويعها حسب واقعهم الموضوعي ، وفي الأغلب وصلتنا متشكلة بأساطير وخرافات كثيرة.

هذا الكتاب في الأصل مجموعة بحوث ، نشرت في مجلات أكاديمية محكمة ، وفي إلحاح من زملائي التدريسيين وطلبة الدراسات العليا في جمع هذه البحوث تحت وحدة موضوع ؛ لنشرها في كتاب ؛ نتمنى أن تّعُم الفائدة منه ، لذا جمعنا عدداً من هذه البحوث والتي تخص الجوانب الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام ، فتّشكلت منها وحدة موضوع ، وضعنا له عنوانا وسم بـ(دراسات في المعتقدات الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام).

يتضمن الكتاب على ستة فصول ، أولها: المقدس الشخصي عند العرب قبل الإسلام ، وتطرقنا فيه إلى معنى المقدس لغة واصطلاحا ، وأصناف المقدس الشخصي ، وهي: الملوك ، وسادات القبائل ، والكهنة ، ورجال الدين ، والأبطال ، والسدنة.

أما الفصل الثاني ، فعنوانه عقائد الموت عند العرب قبل الإسلام وموقف القرآن والسنة منها ، بيّنت مصطلح الموت ، وحتمية الموت وانواعه ، والحزن على الميت ،

وغسل الميت وتكفينه ، وحمل الميت إلى القبر ، واعتقادات ارتبطت بموت سادات القبائل.

وكُرس الفصل الثالث ، للحديث عن الإجارة عند العرب قبل الإسلام وعصر الرسالة الإسلامية ، فتطرق إلى انواع الإجارة ، وهي: المفردة ، والمتصلة ، والجماعية ، والإجارة بثمن ، ووالإجارة بالجن ، وإجارة الحيوان ، والإجارة المحددة ، والمطلقة ، والمشروطة ، وإجارة الظعن ، وتضمن الحديث عن دوافع الإجارة ، وكيفية طلب الجوار ، والالتزامات المترتبة على الإجارة ، وتطرقت إلى الإجارة في عصر الرسالة الإسلامية: وهي الإجارة بالقرآن ، والإجارة في أحداث الدعوة الإسلامية في مكة ، والإجارة بعد الهجرة إلى المدينة.

وعُنيّ الفصل الرابع ببعض المعتقدات السائدة عند العرب قبل الإسلام ، والتي تدخل في ضمن دائرة الميثولوجيا ، تتمثل بتعليق التمائم وكتابة وقراءة الرقى ؛ للاستعانة بها على دفع الضرر ، والأذى والمفاسد ، فتضمن الحديث: عن أنواع التمائم والرقى ، وهي: الخرز بانواعها ، وتعليق المعادن والحلي والاحجار ، وتعليق أوتار القسي ، وتعليق الخيوط ، والنفرة. أما الرقى ، فهي النشرات ، والعوذ ، والتسخير والعزائم ، واعتقادت أخرى ، وبيّنت الدراسة موقف القرآن والسنة من التمائم والرقى.

وأهتم الفصل الخامس ، بعادات الحروب عند العرب قبل الإسلام ، وقد بيّن الفصل مصطلح الحرب ، ومفردة العادة ، وتطرق إلى عاداتهم في التهيئ للقتال ، وبدايات القتال ، واصطحابهم للنساء ، وعاداتهم في القتال ، وفي التعامل مع الأسرى ، وفي طلب الصلح.

ووسم الفصل السادس والأخير: إدراك الغيب عند العرب قبل الإسلام ، تطرقنا فيه إلى وسائل إدراك الغيب وهي: التنجيم ، الفراسة ، القيافة ، الطرق والخط ، التطير والفأل ، التنبؤ بتكليم الأصنام ، ضرب القِداح ، القرعة ، الرؤيا ، وتناولنا مدركو الغيب: وهم الكهنة.

من كل ما تقدم نأمل أن تكون هذه الدراسة محاولة لتتبع جذور قسم من المعتقداتهم الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام ، ومعرفة ماهيتها ، وطبيعتها ، وكيف

تعايش الإنسان العربي القديم معها. وتبقى موضوعات المعتقدات الاجتماعية من السعة والتشعب ، لذ بات من الصعب بمكان دراستها بالسعة والشمولية التي عليها. وفي الختام نأمل أن نكون قد وفقنا في درساتنا هذه ، وما التوفيق إلا من الله سبحانه وتعالى.

أ.د سعد عبود سمار

أُستاذ تاريخ العرب قبل الإسلام / العراق / جامعة واسط

الفصل الأول

المقدس الشخصي

- قدسية الملوك
- قدسية سادات القبائل
- تقديس الكهنة
- تقديس الابطال
- تقديس السدنة

المقدس الشخصي

قبل الولوج في الحديث عن تقديس الملوك وسادات القبائل عند العرب قبل الإسلام ، لا بُدَّ من تحديد لفظة(المقدس) لغةً ، ومن تمثلت بهم تاريخيا ، فارتقوا إلى مستوى هذا المعنى الذي سنأتي عليه(المقدس) لغةً المعظم[1] ، المنزه عن العيوب والنقائض[2] ، وفي قول: تَقَدَّسْتُ عنه وتَعالَيْت ، فهو في حَقّه كالشَّيْء المُحَرَّم على الناسِ. وجاء في قوله تعالى: "... وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ..."[3]. أي نعظمك ونكبرك ، والتقديس هو التعظيم والتطهير ، بقولهم قدوس: طهارة وتعظيم له ، وكذلك قيل للأرض أرض مقدسة يعني بذلك المطهرة[4].

ومما لا ريب فيه إنّ المعتقدات الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام ، هي في مجملها موروثة من سلسلة أجيال متعاقبة عبر القرون ، بعضها من العرب القدماء ، ويمتد بعضها الأخر إلى المعتقدات الاجتماعية التي كان عليها إنسان الشرق الأدنى القديم لكن هذه المعتقدات بمجموعها تشكلت في اللاوعي الجمعي للعرب قبل الإسلام ؛ فأعادوا تطويعها حسب واقعهم الموضوعي ، وفي الأغلب وصلتنا متشكلة بأساطير وخرافات كثيرة. منها تقديسهم لشخصيات ارتقوا بهم في الأغلب إلى مستوى التأليه.

---

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١ ، ص ١٠٨٠ ؛ ابن منظور ، لسان العرب، ج٦ ، ص ١٦٩.

(٢) ابن منظور ، المصدر نفسه والصفحة.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١ ، ص ٧٢.

ففيما يخص ما ورثه الإنسان العربي قبل الإسلام من معتقدات عن المقدس الشخصي من حضارات الشرق الأدنى القديم، التي تأثر بها، وامتثلها في وعيه، فهذا ما سنأتيه في ضمن حديثنا عن كل نوع من أنواع المقدس الشخصي. أما الموروث المحلي للبدايات الأولى لقدسية الأشخاص عند العرب، فتمثلت بعبادة الأسلاف التي عليها قوم نوح آنذاك، ويتجلى هذا المعتقد فيما ذكره ابن الكلبي: "كان (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) قوما صالحين ماتوا في شهر، فجزع عليهم ذوو أقاربهم، فقال رجل من بني قابيل: يا قوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا، قالوا: نعم، فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم، فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول، وعملت على عهد يردى بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول، ثم جاء من بعدهم القرن الثالث، فقالوا: ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم وعظم أمرهم"[1].

وفي سياق الدلالة نفسها، عن تقديس الأسلاف وعبادتهم، ما نطالعه في قصة إساف ونائلة من أنهما رجل وامرأة فجرا في الكعبة، فمسخا إلى حجرين، فأخرجا من الكعبة، فنصبا على الصفا والمروة ليعتبر بهما من رآهما وليزدجر الناس عن مثل ما ارتكبا، فلم يزل أمرهما يدرس ويتقادم، حتى صارا صنمين يعبدان، وقيل إن عمرو بن لحي دعا الناس إلى عبادتهما، بقوله للناس: إنما نصبا هاهنا أن أباءكم ومن قبلكم كانوا يعبدونهما[2]. ومن الروايات الأخرى عن تقديس الأشخاص وعبادتهم بهيأة أصنام أيضا، ما ذكر عن مجاهد قال: "كان رجل في الجاهلية على صخرة بالطائف، وعليها له غنم، فكان يسلوا من رسلها، ويأخذ من زبيب الطائف

---

(١) الأصنام، ص ٥١ – ص٥٢.

(٢) الازرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٨٨.

والأقط(لبن مجفف يابس) فيجعل منه حيسا[1] ، ويطعم من يمر به من الناس ، فلما مات عبدوه"[2]. وعن ابن عباس قال: "إن اللات لما مات ، قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتا وكانت اللات بالطائف"[3].

وسيتناول بحثنا هذا المقدس الشخصي عند العرب قبل الإسلام ، أي الأشخاص الذين قدسوا ، ليس على وفق تسمياتهم ، وإنما على أساس تصنيفهم ، وتبعا للمكانة ، والأثر الذي أدوه آنذاك ؛ مما دفع للارتقاء بهم إلى المقدس ، وأحياناً إلى التأليه ، وهم: (الملوك ، سادة القبائل ، الكهنة ، السدنة ورجال الدين ، وشخصيات وصفت على أنها أنبياء ، والأبطال).

قدسية الملوك:

قبل الحديث عن قدسية الملك ، لابد من تحديد ما يعنيه مصطلح الملك ، فهو الرَّبُ والشَّهيدُ[4]. وورد في قوله تَعالَى: "قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ..."[5] ، أي سُلْطانُه وعَظَمَتُه والمَمْلَكَةُ عزُ المَلِك وسُلْطانُه في رَعِيته ، وقيل عَبيدُه ، وقيل المَمْلَكَةُ سُلْطانُ المَلِك وبقاعُه التي يَتَمَلَّكُها[6]. والملوك بمنزلة الحكماء في شعوبهم ، ثم تخصصت بالحاكم الذي يحكم شعبه[7].

ولعل من المفيد أن نجذر لظاهرة تقديس الملوك في الشرق الأدنى القديم ، لما لها من تأثير تقادمي على عرب الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ففي بلاد الرافدين ترجع جذور قدسية الملوك إلى عصر فجر السلالات السومرية(٢٨٠٠ ـ ٢٣٧١ ق.م) ، فاعتقد

---

(١) الحيس: خليط الاقط بالتمر يمجن بالخبز ، ينظر: الفراهيدي ، العين ، ج٥ ، ص ١٩٤.

(٢) الفاكهي ، اخبار مكة ، ج٥ ، ص ١٦٤.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) الزبيدي ، تاج العروس ج٢ ، ص٤٥٩.

(٥) سورة المؤمنون ، الآية ٨٨.

(٦) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢٧ ، ص٢٥٠.

(٧) جواد علي ، المفصل ، ج٥ ، ص ١٩٢.

الإنسان العراقي القديم أنَّ الملوكية لها أصل إلهي ، إذ جاء في قصة الطوفان السومرية ما نصه:

"بعد ان انزلت.... الملكية من السماء، وبعد ان انزل
التاج والعرش الخاصان بالملكية من السماء"[(١)]

وعلى وفق أقدم وثيقة تاريخية هي أثبات الملوك السومرية[(٢)] ، التي يرجع زمنها إلى سلالة أور الثالثة(٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق. م) أو لعله قبيل ذلك ، ما يشير إلى أن الملوكية هبطت من السماء ، فكانت مدينة(أريدو) مركز الملوكية ، وفي الطوفان صعدت الملوكية ثانية إلى السماء ، وبعد الطوفان هبطت وحلت في مدينة(كيش)[(٣)].

وكانت الآلهة تختار الملك وتنصبه حاكماً على البلاد ، كما في اختيار كلكامش خامس ملوك سلالة الوركاء الذي حكم في حدود سنة(٢٦٥٠ ق. م) ، إذ نقرأ في ملحمة كلكامش ما جاء على لسان صديقه أنكيدو:

إن رأسك عالٍ فوق (جميع) الرجال
وقدر إليك انليل الملكية على البشر[(٤)]

وأدعى الملوك إنهم أبناء للآلهة ، وهذا ما نجده في كتابات الملك ميسليم ملك كيش(حكم بحدود ٢٦٥٠ ق. م)[(٥)] ما نصه:

الابن المحبوب للنخورساك[(٦)]

---

(١) كريمر، من الواح سومر، ص٢٦٧.

(٢) للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص ٢٨٩. ص ٢٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩٠.

(٤) سامي سعيد الأحمد، كلكامش، ص ١٣٢. وإنليل: وتعني بالسومرية السيد،وعد تجسيداً للهواء الذي يفصل بين السماوات والأرض، وإنه نظم الكون، وينفذ أوامر الآلهة، وخالق البشر،ينظر: سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية، ص ٢١؛ نائل حنون، حينما في العلى، ص ٢٢٣.

(٥) للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص ٣٠٦ ـ ص ٣٠٧.

(٦) جان بوتيرو وآخرون، الشرق الأدنى، ص ٨٤. وننخرساك: تمثل الأرض، ويعني أسمها سيدة الجبل، لقبها المشهور أم البلاد، ينظر: كريمر، السومريون، ص ١٦٢ ص ١٦٣ ؛ مريم=

وقد أتخذ الملك في العصر الاكدي(٢٣٧١- ٢٢٣٠ق م) ألقاباً إلهية ، فقد تلقب الملك نرام- سن(٢٢٩١- ٢٢٥٥ ق.م) بلقب(إله أكد) ، وأدعى الإلوهية فكتب أسمه مسبوقاً بالعلامة الدالة على الإلوهية الدنكر(ألنجمة)[١]. وارتدى لباس الألهة ، فتمثل في المنحوتات بارتداء لباس الرأس التاج المقرن[٢]. واستمر تلقب الملوك في العراق القديم بألقاب إلهية ، فلقب ملك الجهات الأربع ، تلقب به الملوك: نرام -سن ، وأوتو حيكال (حكم بحدود ٢١٢٠-٢١١٢ ق.م) ، وأحيانا شولكي(٢٠٩٤-٢٠٤٧ ق.م) ، وحمورابي (١٧٩٢- ١٧٥٠ ق.م)[٣].

وتجسدت قدسية الملوك في الأساطير التي نسجت عن مولد بعضهم ، فالملك سرجون الاكدي(٢٣٤٠ - ٢٢٨٤ ق م) جاء من طقس الزواج المقدس ، إذ تقوم العروس فيه بتمثيل دور الإلهة عشتار ، والعريس يمثل دور الإله تموز ، وكان المعتقد أن هذا الزواج يسبب الوفرة في المحاصيل والكثرة في الثروة الحيوانية ، وكذلك كان العراقيون القدماء يمارسونه كل سنة ، والطفل الذي يولد عن هذا الزواج يُعد من مرتبة الألهة ، لأنه قد ولد في لحظة مقدسة ومن أبوين يمثل كل منهما دور الإله[٤].

وفي تاريخ مصر القديمة لم يكن الملك ممثلا للألهة كما في تاريخ العراق القديم ، وإنما كان إلها. فيذكر هيرودت: كان حكام مصر آلهة يعيشون مع البشر ، وكان صاحب السلطان دائما واحد من الألهة[٥]. وكان الإله يتجسد في الملك فيصبح الملك الإله ، أي أن الملك هو أحد الألهة وممثل البلاد والوسيط الرسمي بين الناس والألهة ، ويتجسد في شخصه عدد من الألهة في وقت واحد ، إنه(سيا) إله الإدراك ،

=عمران موسى، الفكر الديني عند السومريون، ص ٨٤

(١) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص ٣٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧٠.

(٣) أحمد مالك الفتيان، نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث، ص ١٠٦.

(٤) فوزي رشيد، سرجون الاكدي، ص ١٧ – ص ١٨.

(٥) هيرودت، هيرودت يتحدث عن مصر، ص ٢١٢.

و(راع) إله الشمس ، و(خنوم) خالق البشر ، و(سخمت) إله العقاب[١]. وقد أظهرت الأهرامات(قبور الفراعنة) ما يدل على أزلية الملك وسلطته التي لا تنتهي بموته. إذ إن الشكل الهرمي من مميزات الملكية من ناحية الحجم والمظهر الخارجي ، وأنه يرمز إلى حاكم بالغ القوة ، يوصف عادة بالإله الأعظم (نثرعا) أو الإله الطيب(نثر نفر) ، ويمثل الهرم خير احترام ومهابة للفرعون(ألملك الإله)[٢].

أما في اليمن القديمة ، فقد شهد تقديس حكام العربية الجنوبية من تسميتهم بالمكربين ، ويعد المكرب(سمة على) أقدم مكرب حكم بحدود عام(٨٠٠ ق.م) ، فكان الحاكم كاهنا ذا صفة دينية يطلق عليه لفظة(مكرب) في الكتابات السبأية ، وتدل اللفظة على التقرب من الآلهة ، فكان(ألمكرب) هو مقرب أو وسيط بين الآلهة والناس[٣]. أو تعني(أمير الكهنوت) أو(أمير القربان)[٤]. وتأتي قدسية الكلمة في عربية القرآن(الكروبيين) وهم المقربين من الله ، سكان السماء السابعة[٥] ، ومنهم من يحمل عرش الله عز وجل[٦]. وأصبح الحاكم يلقب بلفظة الملك بعد انفصال السلطتين الدينية والسياسية رسميا ، وهي أحد نعوت الإله الزهرة ابنة الإله القمر(ألمقه) الزوج ، والإله الشمس الزوجة ، وبذلك فالملك اليمني يعد نفسه ابناً للآلهة[٧]. وما يؤكد قدسية ملوك اليمن اتخاذهم ألقاباً إلهية مثل(يثع) المنقذ ، و(يصدق) الصادق أو العادل ، و(وقه) الحبيب أو الأغر ، و(ريام) السامي[٨].

وعند العرب في وسط الجزيرة العربية وشمالها قبل الإسلام لم يختلف هذا

---

(١) جون ولسون وآخرون، الحضارة المصرية، ص٨٢.

(٢) سير الن جاردنر، مصر الفراعنة، ص ٩٦.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٢٦٨، ص ٢٧٠.

(٤) فرتز هومل، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية، ص ١٢٤.

(٥) ابن حيان، العظمة، ج٢، ص ٧٠٩.

(٦) مقاتل بن سليمان، تفسير، ج٣، ص ٣٩٣.

(٧) جواد مطر الحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ص ٧٥.

(٨) ينظر: المرجع نفسه، ص ٧٨.

المعتقد عما كان سائداً في الشرق الأدنى القديم، في تقليسهم للملك، والنظر إليه برهبة واحترام، وتاريخهم وأشعارهم فيها من الشواهد ما يؤكد ذلك. منها إن العرب كانوا يسجدون لملوكهم، ذلك ما يستشف من قول الأعشى[1]:

فلما أتانا بُعَيْدَ الكَرى   سَجَدْنا لهُ، ورَفَعْنا عَمَارَا[2]

والعَمَارةُ إكليل أو عمامة تجعل على الرأس[3]. يُحَيَّى بها الملوك، برفعها من رؤوسهم إعظاماً لهم، أو استقبالهم بالرياحين، وفي قول آخر يُحَيَّى بها الملوك في قولهم عَمرك الله، او رفع الصوت بالتعمير أي بالدعاء عمرك الله بمعنى عش ألف سنة[4]. وهذه تشبه تحية العجم لملوكهم بقولهم: "وزى ده هزار سال" أي عش عشرة آلاف سنة[5]، وهو دعاء في طول الحياة وطيبها بالسلامة[6]. وفي معنى آخر لكلمة (العَمَار) لا يبتعد عن تعظيم الملوك وتميزهم عن الآخرين، تعني الرقعة التي تتزين بها مظلات الملوك[7].

ومن تحيات العرب إلى ملوكهم نستشف منها العظمة في قولهم: اسلم وأنعم، وهي تحية للبقاء وللعظمة، وللسلامة من الآفات والنقص[8]. وكذلك تتمثل قداسة الملوك بتنزيههم من الخطأ، بتحيتهم بالقول: "أبيتَ اللّعنَ"، حسبما جاء في قول الأعشى في مدحه لملك الحيرة(النعمان بن المنذر ٤٦٢- ٤٧١م):

إليكَ، أبَيْتَ اللّعنَ كان كلالُها،   إلى الماجدِ الفَرْعِ الجوادِ المُحَمَّدِ[9]

---

(١) ميمون بن قيس شاعر جاهلي لقب بـ(صناجة العرب)، ينظر ديوان الأعشى، المقدمة، ص٥- ص١٤.

(٢) ديوان الأعشى، ص ١١٥.

(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٢، ص ٧٧٢.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص ١٣٢

(٥) العيني، عمد القارئ، ج٦، ص ١١١.

(٦) ابن العربي، أحكام القرآن، ج١، ص ٥٨٩.

(٧) الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٤٣٥.

(٨) العيني، عمدة القارئ، ج٦، ص ١١١.

(٩) ديوان الأعشى، ص ١٠٠.

وفي قول عبد المطلب جد الرسول(ﷺ) في وفادته إلى سيف بن ذي يزن ليهنئه بطرده الأحباش من اليمن ما نصه: "وأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي تخصب به ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذي إليه تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي تلجأ إليه العباد"[1]. فضلاً عما جاء في هذا الوصف من الارتقاء بالملك إلى أنه واهب الخصوبة للحياة ، كذلك رفع العرب الملوك في قولهم أبيت اللعن إلى مصاف الآلة بتنزيههم من الأفعال السيئة ، إي أبيت أن تأتي من الأخلاق المذمومة ما تلعن عليه[2]. ومن سمو تحياتهم لملوكهم قولهم: "يا خير الفتيان"[3] ، يتبيّن ذلك في مخاطبة يزيد بن عبد المدان[4] إلى ملك الغساسنة ابن جفنة(الحارث بن جبلة ٥٢٨ – ٥٦٩م)[5] ، و مخاطبة الشاعر امرؤ القيس بن حجر الملك الكندي مِن قبل زوجته ، بقولها: يا خير الفتيان[6]. ومما يذكر إن التحيات جمع تحية مرادفة لكلمة الملك وتعني البقاء ، وقيل العظمة ، وقيل الحياة ، وإنما قيل التحيات بالجمع ، لأن ملوك العرب كان كل واحد منهم تحييه أصحابه بتحية مخصوصة[7] ، فمثلاً(لخم وجذام) كانت تقول: في تحية ملوكها(أبيت اللعن) ، بينما ملوك غسان تتم تحيتهم بالقول: (ياخير الفتيان)[8] ، وتحية بعض القبائل (أسلم كثيراً)[9].

ومن مظاهر تقديس الملوك ، الاعتقاد بقدسية دمائهم ، إذ إنها تشفي من عظة

---

(١) الازرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١٥١.

(٢) البغدادي، خزانة الأدب، ج ٢، ص ٤٠٧.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) شاعر من أهل نجران من الذين كان أسقفاً لكعبة نجران، الأصفهاني، الأغاني، ج ١٢، ص١١.

(٥) ينظر: نولدكه، أمراء غسان، ص ٢٢.

(٦) جمهرة أمثال العرب، ج١، ص ١٩٣.

(٧) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج ٤، ص ١١٦.

(٨) البغدادي، خزانة الأدب، ج٢، ص ٤٠٧.

(٩) الالوسي، بلوغ الأرب، ج٢، ص ١٨٩.

الكلب ، ومن الجنون[1] ، نستدل على ذلك ما جاء في قتل الزباء لـ(جذيمة الأبرش ٢٠٨أو ٢١٥ ـ ٢٦٨م) ، عندما سقته الخمر وأخذ مأخذه منه ، فقطع رواهشه فجعل دمه يسيل في طست من ذهب[2] ، وقالت له: إن دماء الملوك شفاء من الكلب[3]. وأودع مضمون هذا المعتقد الشاعر(ابن عياش الكلبي) حين هجا بني أسد ؛ لقتلهم ملك كندة (حجر بن عمرو) بقوله:

عبيد العصا جئتمْ بقتلِ رئيسكمْ ... تُريقون تاموراً شفاءً من الكلَبْ[4]

وربما أنهم حرصوا على أن لا تضيع قطرة من دم الملك ، لأنه إذا أصيب ، أدرك الثأر كله ، ووقع الشفاء بعده ، لأن الكَلب هو الغيظ والغضب[5] ؛ لأنه ليس هناك دماً في الحقيقة يشرب[6] ، لذا يمكن النظر إلى ما فعلته الزباء في قتلها جذيمة الأبرش ، قد قيل لها احتفظي بدمه فإن أصاب الأرض قطرة من دمه طلب بثأره ، فعليه حرصت على عدم التفريط بدمه ، لكي لا يحصل الثأر في ضمن المعتقد السائد ، إن دم الملوك تشفي من الكَلب أي(الثائر)[7].

ولقدسية الملوك عند العرب ، كان الملك إذا مرض حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه فيكون كذلك على أكتاف الرجال لأنه عندهم أوطأ من الأرض[8] ، ومن الدلائل على ذلك ؛ عندما ثقل المرض على ملك الحيرة النعمان بن المنذر حمل على أكتاف الرجال تعظيماً له[9]. ومن صور تقديسهم لملوكهم ، كان الملك لا يقتل

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٢ ، ص ٧.

(٢) ابن حبيب، أسماء المغتالين من الأشراف، ص ٣٢.

(٣) الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص ٢٣٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢٦٧.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج٢ ، ص٦ – ص٧.

(٥) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٤٤١.

(٦) الجاحظ، الحيوان، ج٢ ، ص ٨.

(٧) ينظر: العباسي، معاهد التنصيص، ص ٣١٣ – ص ٣١٤.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص ٣٢.

(٩) المصدر نفسه، ج١١ ، ص ٣١ ؛ البغدادي، خزانة الأدب، ج٩ ، ص ٣٦٧.

بضرب الرقبة ، إلا في قتال إكراماً له[1]. وكان بعض العرب يكنون عن قتل الملك بالإشعار فتكبر أن تقول قتل فلان ، وإنما تكنى عن القتل بالإشعار[2] ، لذا خصوا القول عند قتل الملوك بأنهم أشعروا ، ولا يقولن قتلوا إلا للسوقة(العامة)[3] ، حتى إنهم أطلقوا على الملوك المشعرة ، من قولهم: دية المشعرة ألف بعير[4]. وإذا ما حاولنا أن نتابع هذا المعتقد ، فإننا سنجده متأتٍ عن طقوس مقدسة للحج من إشعار البُدنة ، وهو أن تطعن في سنامها الأيمن حتى يسيل منها الدم ليُعَلَم أنه هدي ، ثم كنى به عن قتل الملوك إكبارا لهم عن أن يقال قتل فلان[5].

ومن مظاهر تعظيمهم لملوكهم كُنية بعضهم على غير مما هم عليه. فكان جذيمة الأبرش أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مُغاراً ، وأشدهم نكاية ، وهو أول من أستجمع له المُلك بأرض العراق[6] ، كان يقال له جذيمة الأبرص(أبقع) ، فلما مَلَكَ قالوا على وجه الكناية عن الأبرص: جذيمة الأبرش ، فلما عظم شأنه قالوا: جذيمة الوضاح ، ولم يقولوا: جذيمة الأوضح لأنهم يضعون هذا الاسم في موضع الكناية عن الأبرص ، وليس في العرب أبرص يقال له الوضاح غير جذيمة[7].

ولمكانة الملك وعظمته كان يصعب الوصول إليه ؛ لذا سمته العرب(الحصير) ، لأنه محجوب عن الناس[8]. وهذا ما يؤكده قول الشاعر لبيد بن ربيعة العامري:

وَمَقَامَةٍ غُلْبِ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ   جِنٌّ لَدَى بَابِ الحَصِيرِ قِيَامُ[9]

---

(1) الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 234 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 267.

(2) الخطابي، غريب الحديث، ج2، ص 137.

(3) الزمخشري، الفائق، ج2، ص 251.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص 251.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص 250.

(6) ابن حبيب، أسماء المغتالين، ص 29.

(7) الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، ص 105 – ص 106.

(8) الطبري، جامع البيان، ج15، ص 45.

(9) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص 290 ، مقامة: الجماعة ، وغلب الرقاب: السادة يوصفون بغلظ الرقاب وطولها ، ينظر: المصدر نفسه والصفحة.

ومن ألقابهم سمّوا مجازاً(الآكِلُ) ، ما جاء في حديث للرسول الكريم ضعيف السند "مأكول حِمير خير من آكلها"[1] ، فالمأكولون هم الرعية ، يأكلهم ملوكهم ، بما يأخذونه منهم من حقوق ، ومما يفرضونه عليهم من واجبات ، والآكلون هم الملوك ، لأنهم يأكلون ولا يعطون[2].

وتبدو مظاهر عظمة الملوك بارتفاع ديتهم ، حتى إنها وصلت إلى ألف بعير ، يتبين ذلك بما عرضته بنو أسد بعد قتلهم حُجر بن عمرو والد امرئ القيس إلى امرئ القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه ، أو يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد ، أو يمهلهم حولا ، فقال: أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مثلي ، وأما القود فلو قيد إليَّ ألف من بني أسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كفؤا لحجر[3].

ونسج العرب عن تقديس الملوك أوهاماً تجلت في زعمهم إنهم لا يموتون ، وربما اعتقادهم هذا نابع من أنهم من نسل الآلهة. والدال على اعتقادهم بأزلية الملوك ، حين زعموا أن الفُرس لا يموتون ، فكانوا يتهيبون قتالهم ، ففي معركة ذي قار حَمَل حنظلة العجلي على رجلٍ منهم فطعنه فقال لأصحابه: ويلكم إنهم يموتون[4]. ويبدا زعمهم هذا راسخ في ذاكرتهم الجمعية فتظهر في واجهة معارك الفتح الإسلامي ، ففي فتح العراق ، وأثناء قتال الفرس ، شاهد عمرو بن معد يكرب الزُبيدي مقتلة أعداداً من الفرس ، فتعجب لذلك! فأرجز قائلاً:

انا ابو ثورٍ وسَيفي ذُو النُّونْ اضربُهمْ ضَربَ غُلامٍ مجنُونْ

يالَ زُبَيْدٍ إنَّهم يَموتُون[5]

(١) ابن الجوزي، غريب الحديث، ج١، ص ٢٧٧، ولا نجد لهذا الحديث تخريج في كتب متون الحديث مما يؤكد ضعفه.

(٢) جواد علي، المفصل، ج٥، ص ٢٣٩.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٢، ص ٨٧.

(٤) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ج١، ص٢٠٨.

(٥) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ص ١٨٦.

وعلى الرغم مما تقدم إلا أن هناك استثناءات تجاوزت المقدس بمقتل بعض الملوك ، منهم(عمرو بن هند ٥٦٢ أو ٥٦٣ – ٥٧٤ أو ٥٧٨م) من قبل الشاعر(عمرو بن كلثوم التغلبي) في قصة يطول شرحها[١]. ومثل هذا الاستثناء نطالعه في افتخار الشاعر (الحارث ابن ظالم المري)بقتله سبعة من ملوك كانوا نائمين في كهف على وسائد الريحان بقوله:

القاتلينَ من المناذرِ سبعةً ... في الكهف فوق وسائد الريحانِ[٢]

وفي المعنى ذاته قال الشاعر جابر بن حني التغلبي يوم الكلاب الأول[٣]:

نُعَاطِي الملوكَ الحقَّ ما قَسَطُوا بنا ... ولَيْسَ علينا قَتْلُهُمْ بمُحَرَّمِ[٤]

وربما خرق خُرافة تحريم قتل الملك راجع إلى ما يراه أحد الباحثين: من قبل بعض القبائل التي يطلق عليهم(اللقاح) ، أي الذين لا يخضعون لملك[٥]. أو يحتمل كان ولائهم لسادة قبائلهم وتعصبهم لها جعلهم لا يتوانون من قتل بغاة الملوك ، وما يؤكد الاحتمال هذا محاولة(عمرو بن هند) إذلال(عمرو بن كلثوم) سيد قومه بني تغلب ، وكذلك أمه ليلى بنت(مهلل بن ربيعة) أعز العرب ، أمام وجوه من بني تغلب ، مما أثار هذا الإذلال حفيظة عمرو بن كلثوم ، دفعه إلى قتل(عمرو بن هند)[٦].

وأحاطت شخصية الملك بهالة من التقديس عندما أُله ، إذ كان العرب يخاطبون

---

(١) ينظر تفصيلاتها: الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص ٥٦.

(٢) شعر الحارث بن ظالم المري، ص ٢٧٢.

(٣) واختلف أبناء الحارث الكندي شرحبيل وسلمة في الملك فتواعدا الكلاب فاقبل شرحبيل في ضبة والرباب كلها وبني يربوع وبكر بن وائل واقبل سلمة في تغلب والنمر وبهراء ومن تبعه من بني مالك بن حنظلة وعليهم سفيان بن مجاشع وعلى تغلب السفاح وكانت الوقعة قرب ماء الكُلاب. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٩٢

(٤) المفضل الضبي، المفضليات، ج١، ص ٢١١.

(٥) عادل البياتي، ايام العرب، ج١، ص ٢٧١

(٦) الأصفهاني، الأغاني،ج١١، ص ٥٦.

ملوكهم بأرباب[1] ، والرب مالك كل شيء[2] ، وربُوب جمع رَبّ إي المُلوكُ[3] ، وهذا ما نتأمله في شعر أمرؤ القيس واصفاً ملوك كِندة بقوله: (....كانُوا عبيداً - أي الناس - وكنَّا نحنُ أرْبَاباً)[4]. وقد ضمن هذا المعنى الشاعر لبيد في وصفه لحجر والد امرأ القيس بـ(رب كندة) في قوله:

وأَملكنَ يَوماً ربَّ كندةَ وابنَهُ ... وربَّ معدٍّ بين خَبْتٍ وَعَرْعَر[5].

ونعت الشاعر الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته ملك الحيرة(المنذر بن ماء السماء ٥١٣ أو ٥١٤ – ٥٦٢ أو ٥٦٣م) بـ(الرب)[6] ، ولأحد أمراء الغساسنة بـ(رب غسان)[7] ، ويعلق (نولدكه) على أن الشاعر أفتخر بقبيلته يشكُر(من بكر بن وائل) ، لأنهم انتقموا للمنذر القتيل بدم(رب غسان)[8]. كما جاء نعت الملك بـ(الرب) في قول أمرؤ القيس حين سمع بمقتل أبيه حجر بقوله :

بقتل بني اسد رَبَّهُم ... الا كل شئ سواه جَلَل[9]

وفي المعنى ذاته كان يطلق على ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس(٣٩٠ - ٤١٨م) بـ(رب الخورنق)[10]. وهناك شواهد كثيرة على هذا النحو ، لا يتسع المجال لإيرادها جميعا ، خشية الرتابة والتكرار[11]. ومن شواهد تعظيم الملوك أيضا ، إنهم

---

(١) السيوطي، المزهر، ج١، ص ٢٣٧.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، ج١، ص ٢١٥.

(٣) ابن سيدة، المخصص، ج٥، ص ٢٢٧.

(٤) ديوان امرئ القيس، ص ٢٧٩.

(٥) شرح ديوان لبيد، ص ٥٥، والخبت: مستوٍ من الأرض، وعرعر: بلد. ينظر: ديوانه، ص ٢٦١.

(٦) ديوان الحارث بن حلزة البشكري، ص٧٠. و(رب معَد) هو حذيفة بن بدر.

(٧) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٨) أمراء غسان، ص ٢٠.

(٩) ديوان امرئ القيس، ص ٢٦١.

(١٠) ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٤٧.

(١١) ومما يذكر إن وصف الملك بـ(الرب)استمر حتى بعد ظهور الإسلام، نستشف ذلك من قول الشاعر حسان بن ثابت في وصف الملك الغساني(ابن جفنة) - جبلة بن الأيهم - بـ(رب الشام)=

تركوا أن يقولوا لقُوّامهم سَدَنة وقالوا الحَجَبَة[1].

ويتماثل اعتقاد العرب عن الملوك بأنهم منزلون من السماء مع الاعتقاد السائد في العراق القديم بـ(هبوط الملوكية من السماء)، فيرتقي الملك من بشرٍ إلى إله في أفعاله، ويتجسد هذا المضمون في قول الشاعر علقمة الفحل في مخاطبته للملك الحارث الغساني:

ولستَ لإنسيٍّ ولكنْ لمَلأَكٍ   تَنزَّلَ من جَوِّ السَّماء يَصوبُ[2]

وامتدادا للمعتقدات السائدة في الشرق الأدنى القديم من أن الملوك يهبون الحياة، وذلك ما يمكن أن نستشفه من مخاطبة أبناء المملكة الآشورية للملك آشور - اخ - ريب(اسرحلدون ٦٨٠ - ٦٦٩ق.م)، إذ أشار إليه احدهم مخاطباً إياه: "الملك سيدنا منحنا الحياة وقد زرع(عطر) الحياة في أنوفنا"[3]، ولا يبتعد هذا المعتقد عند العرب قبل الإسلام، إذ يتناص مع وصف النابغة الذبياني لملك الحيرة النعمان بن المنذر بـ(ربيع الناس والشهر الحرام)؛ بمعنى كالربيع في الخصب لمجتديه وكالشهر الحرام لجاره، لا يوصل إلى من أجاره، كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى أحد[4]. ومثلما ترسخ في ذهنية العربي قبل الإسلام المعتقد السائد أن الملوك يهبون الحياة، فأنهم يسلبونها أيضا، وحكمهم يشير إلى تألههم، هذا ما نقرأه في قصة(عمرو بن هند) ونعته بلقب(المحرق)، إذ جاء هذا اللقب لأنه أقسم أن يحرق من بني دارم(من قبيلة تميم) مائة رجل؛ لأنهم قتلوا أخاً له، وقد عُد أول من عاقب بالنار[5]، وكان هذا

=بقوله:

لمْ يَنْسَني بالشام إذْ هوَ رَبُّها   كلا، ولا متنصِّراً بالروم

ينظر: ديوان حسان بن ثابت، مج، ١، ص ٤٣٩.

(١) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص ٣٢٩.

(٢) شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، ص ١٨.

(٣) علي ياسين الجبوري، الإدارة، ص ٢٣٢.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص ٣٢.

(٥) حمزة الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ص ٦٧، العوتبي، الأنساب، ج١، ص ١٧٥.

الحادث في يوم أوارة من ناحية البحرين ، إذ أمر لهم بأخدود فخد لهم ، ثم أضرم ناراً ، فلما احتدمت وتلظت قَذَفهم فيها فاحترقوا[1]. وليس من المستبعد أن ترجع تسميته .(المحرق) إلى إلقاء ضحاياه في نار القربان المقدسة[2] ، أو لحرقه نخل اليمامة[3] ، أو ربما سمي(محرق) من صنم يحمل الاسم نفسه ، تعبده قبيلة بكر بن وائل كان بسلمان[4]. وتزيدنا الشواهد التاريخية عن قدرة الملوك من سلب حياة الناس في قصة ملك الحيرة(المنذر بن ماء السماء) حين جعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريين[5] يسمى أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس ، فأول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الإبل شوما أي سودا ، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان أسود ثم يأمر به فيذبح ويغرى بدمه الغريان[6].

ولا يبتعد وصفهم للملوك بأوصاف الآلهة ، ففي تاريخ العراق القديم كانت الإله (أيننا) عند السومريين ، أما البابليون فقد أسموها(عشتار) ، وهي إلهة الخصب والحرب لدى الأكديين والبابليين' وصورت في بعض المنحوتات ، وعلى يسارها سيف[7]. ويمكن أن نلمس الوصف ذاته في مدح الشاعر النابغة الذبياني لملك الحيرة النعمان بن المنذر ، عندما شبهه بالربيع ، رمز الخصوبة والعطاء ، في المقابل هو سيف من سيوف الموت بقوله:

---

(١) الأصفهاني، ج٢٢ ، ص ١٩٤.

(٢) أحمد كمال زكي، الأساطير، ص ٩٨.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج٢٧ ، ص ١٥٧.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج٢٥ ، ص ١٥٦.

(٥) كان المنذر بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسد أحدهما خالد بن المضلل والآخر عمرو بن مسعود بن كلدة فأغضباه في بعض المنطق فأمر أنْ يحفر لكل واحد حفيرة بظهر الحيرة ثم يجعلا في تابوتين ويدفنا في الحفرتين ففعل ذلك بهما حتى إذا أصبح سأل عنهما فاخبر بهلاكهما فندم على ذلك وغمه وفي عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل الأسديين، ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما فأمر ببناء الغريين عليهما فبنيا عليهما ، ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢ ،ص٩١.

(٦) المصدر نفسه، ج٢٢ ، ص ٩١ – ص ٩٢.

(٧) ينظر تفصيلات أكثر عن الإلهة عشتار: قتيبة أحمد سلمان، عقائد الخصب، ص ٣٧ . ص ٣٨.

وانتَ ربيعٌ يُنعِشُ الناسَ سَيْبُهُ   وسيفٌ أُعيرَتْهُ المنيّةُ، قاطعُ[1]

ويتجلى مضمون تقديس الملوك في توزيع أبنائهم في القبائل من قبيل تقديس آبائهم ، وهم أبناء مقدسون أيضاً ، فوجودهم في القبائل من قبيل ممارستهم الدينية ، كأنهم من نسل آلهة[2]. فكان للمنذر(الرابع بن المنذر ٥٨٠ أو ٥٨٢- ٥٨٥م) ابنان: أحدهما النعمان ، وكان في حِجر آل عدي بن زيد ، فهم الذين أرضعوه وربوه ، وكان له ابن آخر في حجر بني مرينا(قوم من أهل الحيرة من قبائل العباد)[3].

قدسية سادات القبائل:

من المعروف أن القبيلة هي كيان سياسي واجتماعي يرتبط أفرادها برباط النسب المشترك ، فضلاً عن أنها تضم أفراداً ينتسبون لها بالولاء ، والاستلحاق ، والجوار. لذا فقد أنتظم أفراد المجتمع العربي قبل الإسلام في عدد من القبائل ، حتى الممالك التي ظهرت في شمال الجزيرة العربية ووسطها وجنوبها هي في الأصل قبائل سمحت لها الظروف السياسية والاقتصادية أنْ ترتقي في نظامها إلى ممالك. ولابد لهذه القبائل من زعامات يتم اختيارهم على وفق شروط وإمكانات لا يمتلكها إلا النخبة من أفراد القبائل ، فضلا عن شرط الوراثة(توارث الزعامة) وشرف الأصل ، لكنها مقيدة بضابط المؤهلات القيادية من كرم ، وشجاعة ، وعفة ، وحكمة ، وحلم. وغير ذلك. وقد ضمّن الشاعر طرفة بن العبد بعضاً من هذه الصفات مبرزاً شرف الأصل ، وسليل المجد ، والكرم ، والشجاعة العالية التي تعلو درجاتها بما يطلق عليها (إلبَهم) في قوله:

وتَفرَعنا من ابنَي وائلٍ   هامةَ المَجْدِ وخُرْطومَ الكَرَمْ

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٣٨، وسيبه: كرمه وسخاؤه.

(٢) عادل جاسم البياتي، أيام العرب قبل الإسلام، ق١، ص ٢٧٤.

(٣) محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، ص١١.

مـن بـني بكـرٍ إذا مـا نسـبواَ ويَنـي تَغلـبَ ضـرّابي الـبَهمْ[1]

وقد نسجوا الأساطير عن شرف الأصل وقدسيته لسادات القبائل ، نستدل على ذلك ، فيما زعموه عن جرهم(الأب الأعلى لقبيلة جرهم اليمانية) ، إذ ذكروا أنّه كان نتاجاً لزواج ما بين الملائكة وبنات آدم ، وكان المَلَكُ من الملائكة ، إذا عصى ربَّه في السماء ، أهبَطَه إلى الأرض في صورة رجل ، فتزوج امرأة من الأنس ، وولدت جرهم[2].

إن الاختيار الدقيق للزعامات القبلية ، ارتقى بهم أنْ ينظر لهم أفراد القبيلة بمنظار التعظيم والإجلال ، وهذا ما نتأمله في النعوت التي أطلقت على شيخ القبيلة. فهو رأس القبيلة ، والسيد الذي كان أكثر الألقاب شيوعاً ، من قولهم: (فلان ساد قومه)[3] ، بدليل نعتهم لـ(حذيفة بن بدر) بـ(سيد غطفان)[4] ، ولُقب عبد المطلب بـ(سيد قريش)[5] ، بل بالغوا في ذلك في وصفهم لـ(كليب بن وائل) سيد ربيعة بـ(سيد الناس)[6]. ولتعظيم ساداتهم أُطلق عليه لقب(القرم) ، وتعني السيد الكريم من الرجال ، وأصله الفحل من الإبل يكرم ولا يمتهن بالحمل[7]. وكانت العرب تقول للذي يتسيد قبيلته ، قد عصبوه فهو معصب[8]. ورجل معصب ومعمَّم أي مسَّود ، وهو مأخوذ من العصابة ، وهي العمامة ، لأن التيجان للملوك ، والعمائم الحمر للسادة

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ، ص ١٠٦ ، وتفرعنا : علونا وركبنا ، يقول نحن أشرافهم وقد حللنا منهم في أعلى الشرف ورافع المنزلة والهام، والخرطوم: الأنف: وهو مقدم كل شيء، والبهم: هو الشجاعة المتقدمة عن مرتبة الشجاع، وفوق مرتبة النجد في الشجاعة ينظر: المصدر نفسه والصفحة.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج١ ، ص ١٨٧.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ٢٣٠.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ٨٣.

(٥) الازرقي، اخبار مكة، ج١ ، ص ص، ١٤٤، ١٤٣.

(٦) ينظر: مهلل بن ربيعة ، ديوان مهلل بن ربيعة ، ص ٦٧.

(٧) الخطابي، غريب الحديث،ج٢ ، ص١٩٣.

(٨) الأزهري، تهذيب اللغة، ج٢، ص ٣١.

من العرب[1] ، لذا كانوا يسمون السيد المطاع معصبا ؛ لأنه يعصب بالتاج أو تُعصب به أمور الناس ، أي ترد إليه وتدار به ، والعمائم تيجان العرب وتسمى العصائب واحدتها عصابة[2]. وكانت عمامة سيد القبيلة يختلف لونها عن عمائم قومه[3] ، فكان سعيد بن العاص إذا لبس عمامة ، لا تلبس قريش عمامة على لونها[4] ، ولقب بذي العمامة كناية عن السيادة ، وذلك لأن العرب تقول فلان معمم ، يريدون أن كل جناية يجنيها الجاني من تلك القبيلة والعشيرة فهي معصوبة برأسه[5]. ومن ألقاب سادات القبائل التي تفصح عن التعظيم فيما يقال لهم: عِقالُ المِئينَ أي الشريف الذي إذا أُسِرَ فُدِيَ بِمئينَ من الإبلِ ، ويُقال فلانٌ قَيدُ مائة وعقالُ مائة إذا كانَ فداؤُهُ إذا أُسِرَ مائةٌ من الإبلِ[6]. وكانَ فداء سادات القبائل مِن الأسر أغلى فداء ، فالمُقلل منهم(مائتي بعير) ، والمُكثر(أربعمائة بعير) ، إذ إن(بسطام بن قيس) سيد بني شيبان أسره (عينة بن الحارث) ، فافتدي بأربع مائة ناقة وثلاثين فرس[7]. ويقال: إن أغلى فداء كان من (الأشعث بن قيس الكندي) ، حين غزا قبائل مَذحِج فأُسر ، ففدى نفسه بألفي بعير وألف من غير ذلك أي من الهدايا والطرف[8]. وضُمّن ارتفاع فداء بعض سادات القبائل في المثلين: (أغلى فداء من حاجب بن زرارة) و(أغلى فداء من بسطام بن قيس)[9].

ويتجلى تقديس سادات القبائل عند مخاطبتهم بالرب ، فكان يقال لـ(حذيفة بن

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب، ج١ ، ص ٦٠٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) الأزهري، تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ٣١.

(٤) الميداني، مجمع الأمثال، ج١ ، ص ١٨٨.

(٥) المصدر نفسه والصفحة.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١١ ،ص ٤٦٢ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٠، ص ٢٦.

(٧) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج١ ، ص ٢٦٣.

(٨) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢ ، ص ٦٦.

(٩) المصدر نفسه والصفحة.

بدر) سيد غطفان(رب معّد)[١]. ويتجسد ذلك أيضاً في قول مُهلل بن ربيعة التغلبي في في رثائه كُليب بن وائل:

قَتلــوا ربَّهـــم كُلَيْبـــاً سَـــفاهاً   ثـم قـالوا مـا إن نَخـاف عَـويلا[٢]

ومن شواهد تأليه ساداتهم ، كان الزبرقان[٣] يرفع له بيت من عمائم وثياب ، وينضح بالزعفران والطيب ، وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت ، يتبين ذلك من قول الشاعر وهو المخبل السعدي واسمه كعب بن ربيعة:

وَأشْـهَدُ مِـنْ عَـوْفٍ حلـولا كَـثيرةً   يَحُجـوْنَ سِبَّ الزِّبْرِقَـانِ المُزَعْفَـرا[٤]

وسب الزبرقان المزعفر ، أي عمامته[٥].

وكان سادة العرب تصبغ عمائمها بالزعفران[٦].

ومأ يدل على تقليس العرب لساداتهم ، الطاعة المطلقة لهم ، ربما تصل إذ بالغوا إلى طاعة الرب من ذلك ما تُحدثنا به المظان عن عمرو بن لحي سيد قبيلة خزاعة ، فكان فيهم شريفا سيدا مطاعا ، ما قال لهم فهو دين متبع لا يعصى[٧]. فهو غَيَرَ دين إبراهيم(عليه السلام) ، وجاء بالصنم هُبل فجعله في الكعبة[٨] ، وجاء بأصنام قوم نوح (ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسرا) التي واراها الطوفان وظهرت عند ساحل جدة ، ودعا العرب إلى عبادتها فأجابوه[٩]. وفي ذات المعنى يمكن أن نستدل على طاعة سادة

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٨٣؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص ١١٠.

(٢) شرح ديوان المهلل، ص ١٥٨.

(٣) الزبرقان: هو حصين بن بدر بن خلف سيد قبيلة تميم، وسمى الزبرقان لجماله، وكان يقال له قمر نجد، ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ج١، ص ٣٠٢.

(٤) السهيلي، الروض الأنف، ج٤، ص ٣٤٠.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص ١٢٨.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص ٣٦.

(٧) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٥٨ ؛ الازرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٨٨، ص ١٩٢.

(٨) الازرقي، المصدر نفسه، ص ١٩٣ – ص ١٩٤.

(٩) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٥٣ ـ ص ٥٤؛ الفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص ١٥٤.

القبائل المطلقة، ما نقرأ عن الأحنف بن قيس سيد قبيلة تميم، إنه إذا غضب، غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب[1].

ومن إمارات تعظيم سادات القبائل، إنهم كانوا يضربون لهم قباباً رمزاً للسيادة والجاه، وترجع جذور هذا التعظيم منذ عهد(نزار بن معد)، إذ كانت له قبة حمراء، فلما حضرته الوفاة أوصى بَنيه، وقسم ماله بينهم، قال: يا بني هذه القبة، وهي قبة من أدم حمراء وما أشبهها إلى مضر، فسميت مضر الحمراء[2]. دلالة على انتقال السيادة لهم. وفي شاهد أخر عن تخصيص القباب الحمر لسادات القبائل رمزاً للتعظيم، ما نطالعه في شعر عبيد بن الأبرص بقوله: (أهل القِبَابَ الحُمْرِ....)[3]. ويُذكر إن النعمان بن المنذر عندما يريد أن يعظم رجلاً، ضرب له قبة من أدم حمراء، وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عرف قدره منه ومكانه عنده[4]. والذي نلحظه مما تقدم من أن اللون الأحمر سواء كان في القباب التي تضرب، أم في العمائم الحمر التي يعتمر بها الرأس، عُدّ رمزاً للتعظيم والسيادة والجاه الذي عليه سادة القبائل.

ومما شاع عن تعظيم العرب لساداتهم، ما جرت عليه عادتهم أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه إلا سيد القبيلة وكبيرها[5]. وكان الرجل إذا أراد سفراً أخذ عهداً من سيد القبيلة، فيأمن به ما دام في تلك القبيلة حتى ينتهي إلى الأخرى[6]. ومن علامات العظمة كانت لسيد القبيلة قبة، يدخلها الخائف أو طالب الأمان فيستأمن، ففي وادي عوف الذي كان لآل ملحم بن ذهل قبة عرفت بـ(قبة المعاذة) من دخلها أو لجأ إليها أعاذوه، ومن أشهر رجالاتهم عوف بن ملحم بن ذهل بن شيبان، كان

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ٥٠٠.

(٢) الطبري، تاريخ، ج١، ص ٥١٤.

(٣) ديوان عبيد ابن الأبرص، ص ٣٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص ٦٥ – ص ٦٦.

(٥) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٨، ص ٣٨٧.

(٦) ابن سلام، غريب الحديث، ج٤، ص ١٠٢.

مشهوراً في العرب بذمة الجوار ، وكان مروان بن القرظ يطلبه عمرو بن هند ، فدخل مروان قبة عوف بن ملحم فلم يجده وأجارته ابنته ، وبعد أن حضر عوف ، أبى أن يسلمه إلى عمر بن هند الذي قال قولاً ضُمنه المثل العربي القائل: (لا حر في وادي عوف)[1]. وامتد ببعض سادات العرب إلى أنهم لم يكتفوا بإعطاء الأمان للإنسان ، وإنما أجاروا الحيوان ، فـ(كُليب ابن وائل) بعد أن نصبته جموع مَعد رئيسا على قومه ، كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرعى حماه ، وإذا جلس لا يمر أحد بين يديه إلا بأذنه ، ولا تورد إبل أحد مع إبله ، وكان يجير على الدهر فلا تخفر ذمته ، وكان يجير الحيوان ، فيقول: وحش أرض كذا في جواري ، فلا يهاج ، وكان يحمي الصيد فيقول: صيدُ كذا أو كذا في جواري فلا يصيد أحد منه شيئاً[2]. ولا يرفع الصوت عنده[3] ، ولا توقد مع ناره للأضياف نار في أحمائه وفيما يقرب من منازله[4]. وما يؤكد مظاهر العظمة لسادات القبائل والطاعة والانقياد لهم ما جاء في الحديث عن كليب ، وأسمه وائل بن ربيعة ، سيد ربيعة وقائد نزار كلها ، ولا يظلم إلا القوي ، لُقب كليبا لأنه كان إذا سار أخذ معه جرو كلب ، فإذا مرّ بروضة أو موضع يعجبه ضربه ثم ألقاه في ذلك المكان فحيث يبلغ عواء الكلب كان حِمى(أشبه بالحرم) لا يرعى به أحد[5].

وقد جرت العادة عند بعض القبائل العربية ، إنهم كانوا يصطحبون في معاركهم مقلس بمثابة إلههم للتبرك به ، مثلما حدث في يوم الزوَيرين(بين بكر بن وائل وبين وتميم) ، حين أقبلت قبيلة تميم ببعيرين مجللين مقيدين ، وتركوهما بين الصَفين معقولين ، وسموهما زُورَين (يعني الهين) ، فأخبرت قبائل بكر شيخها الأصم(عمرو ابن قيس) بقولهم ؛ فقال: وأنا زُوركم (إلآهكم) ، وبرك بين الصّفين ، فاقتتلوا قتالاً

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٥٠ ؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص ٢٣٦.

(٢) أبو عبيدة، النقائض،ص٧٧٣ ؛ الميداني، مجمع الأمثال،ج١، ص٣٤٢.

(٣) الثعالبي، ثمار القلوب، ص ٩٩ ؛ الزمخشري، المستقصى، ج١، ص ٢٤٦.

(٤) البحتري، ديوان الحماسة، ج١، ص ٣٨٥.

(٥) الثعالبي، ثمار القلوب، ص ٩٩ ؛ الزمخشري، المستقصى، ج١، ص ٢٤٦.

شديداً ، وانهزمت قبيلة تميم ، وارجز الشاعر الأغلب العجلي قائلاً:

جَـاءُوا بِـزُورَيْهِمْ وجئنَـا بالأَصـمْ ... شيخٍ لنـا كالليث مـن باقي إرَمْ[1]

ويبدو أنهم نسجوا عن شيخهم الأصم الأساطير حين أرجعوه إلى بقايا قوم عاد.

وكان لعظمة سادات القبائل ومكانتهم بين قبائلهم ، جُعِلَ لهـم حقوقٌ وامتيازاتٌ تفوق أفراد قبائلهم فيما يغتنمونه من معاركهم ، فلرئيس القبيلة المرباع ربع الغنيمة ، وله أيضا الصفايا وهو ما يصطفيه لنفسه مثل السيف والفرس والجارية قبل القسمة مع الربع الذي له ، وله النشيطة مع الربع والصفي وهو ما انتشط من الغنائم ولم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب(أي ما غنموه في طريقهم قبل بلوغهم مقصدهم) ، وكان للرئيس أيضا الفضول مع الربع والصفي والنشيطة وهو ما فضل من القسمة مما لا تصح قسمته على عدد المقاتلين كالبعير والفرس وغيرهما[2]. وأصبح هذا مدعاة للافتخار ، كما في قول سيد قبيلة تميم الزبرقان بن بدر:

نحـن الملـوك فـلا حـيٌ يُقارِبُنـا ... منـا الملـوك وفينـا يُؤخـذ الربـع[3]

ومـن صـور التبرك بسادات القبائل في المعارك ، فبعد انتصارهم ترتفع قداسة سادتهم إلى مستوى التأليه ، ففي المعركة التي دار رحاها بين بني بغيض بن ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ، ساروا بجمعهم ، فتعرضت لهم صداء وهي قبيلة من مَذحِجِ ، فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون بأهاليهم وأموالهم ، فقاتلوهم على حريمهم ، فانتصروا على صداء وفتكوا بهم ، فعُزِّت بغيض بذلك وأُثرت وكثرت أموالها ، فلما رأوا ذلك قالوا: والله لنتخذن حرما مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه ، وجعلوه لسادتهم بني مرة بن عوف[4].

وإذا أردنا أن نختزل تقديس سادات القبائل في شخص ، فحسبنا شخصية عبد

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 480.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص 415.

(3) الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص 154.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 392.

المطلب سيد قبيلة قريش، حَكّمَتهُ قريش في أموالها، وأطعم في المحل حتى أطعم الطير والوحوش في الجبال. ورفض عبادة الأصنام ووحد الله، عز وجل، ووفى بالنذر وسن سننا نزل القرآن بأكثرها، وجاءت السنة من رسول الله(ﷺ) بها وهي: الوفاء بالنذور، ومائة من الإبل في الدية، وألا تنكح ذات محرم، ولا تؤتي البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، والمباهلة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا، والحد عليه، والقرعة، وألا يطوف أحد بالبيت عريانا، وإضافة الضيف، وألا ينفقوا إذا حجوا إلا من طيب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفى ذوات الرايات[١]. ووصفته قريش (إبراهيم الثاني)[٢].على مايبدو من تشابه قصة سيدنا إبراهيم(عليه السلام) والذبيح إسماعيل(عليه السلام) وفداه الله سبحانه وتعالى بكبش عظيم، وعبد المطلب والذبيح عبد الله وفداه على وفق وصية الكاهنة بمائة من الإبل. وروي عن رسول الله(ﷺ) أنه قال: إن الله يبعث جدي عبد المطلب أمة واحدة في هيئة الأنبياء وزي الملوك[٣]. ونسجت الروايات التاريخية عنه الكرامات، تمثلت في حلمه المقدس لحفر بئر زمزم بتلقيه هاتف في منامه يأمره بذلك: "قال: عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة، قال: قلت: وما طيبة؟ قال ثم ذهب عني فرجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر برة، قال: قلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني، فقال: احفر زمزم، قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الأعظم عند قرية النمل"[٤]. ومن الكرامات الأخرى التي حُكيت عن عبد المطلب هي: عندما خاصمته قريش أثناء حفره بئر زمزم، فتحاكموا إلى كاهنة بني سعد بأشراف الشام فركبوا وساروا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نفد ماؤهم فظمئوا

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج ١، ص ١٠٨.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ١٤ ؛ الحلبي، السيرة الحلبة، ج١، ص ١٨٤، وهذا الحديث لا نجد له تخريج في كتب الحديث.

(٤) الازرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٤٠.

وأيقنوا بالهلاك ، فانفجرت من تحت خف راحلة عبد المطلب عين من ماء ، فشربوا منه وعاشوا ، وقالوا: قد والله قضى لك علينا لا نخاصمك فيها أبدا ، إن الذي سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فانصرفوا وحفر زمزم[1]. ومهما يكن من أمر هذه الروايات ، فإنها تعطي انطباعاً عن تجسد المقدس في شخصية عبد المطلب بخاصة في رؤياه الصادقة التي هي أحد وسائل الاتصال بالغيب ، كذلك عندما انبثق الماء من تحت راحلته بفعل غيبي.

وتتجسد مظاهر التعظيم لسادات القبائل ليس في حياتهم فحسب ، وإنما بعد مماتهم أيضا ، فيُذكر إن عبد المطلب عندما مات ، قامت قريش بغسله وتكفينه ، ولُف في حلتين من حلل اليمن قيمتها ألف مثقال ذهب ، وطرح عليه المسك حتى ستره ، وحمل على أيدي الرجال أيام عدّة إعظاماً وإكراما وإكبارا لتغيبه في التراب[2]. ويتبين هذا التعظيم كذلك فيما فعلته بنو لام(من قبيلة طي) عندما قدست قبر سيدها (الحارث بن لأم) ، إلى الحد الذي كان يُحلف به[3]. وكانت قبور بعض ساداتهم حِمى (حرم مقدس)يستجير بها الخائف وطالب الأمان تمثل بما فعلته بنو عامر حول قبر سيدهم وشاعرهم وفارسهم عامر بن الطفيل ، عندما وضعت أنصاباً ميلاً في ميل حمى على قبره ، لا تدخله ماشية ، ولا تنتشر فيه راعية ولا ترعى ولا يسلكه راكب ولا ماشٍ[4]. وكان رجل من بني عامر يقال له(جبار بن سلمى)غائباً ، فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب؟ قالوا: نصبنا حِمى لقبر عامر بن الطفيل ، فقال ضيقتم على(أبي علي)[5] ، وكانت كنيته. ومن دلائل تقديس ساداتهم ، إنهم كانوا يعقرون(يذبحون) على قبور ساداتهم الإبل إجلالا لهم في حياتهم ومماتهم ، ومثل هذا المعتقد تجسد ،

---

(١) المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج٤، ص ١١٣ – ص ١١٤.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص ١٠٩.

(٣) ينظر: بشر بن أبي خازم، ديوان بن أبي خازم، ص٩١.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص ٦٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٧.

فيما كان يذبح على قبر حاتم الطائي[1] ، وما يذبح على قبر كليب بن وائل ، فضلا عما أضافوه على قبر الأخير من مظهر آخر للقداسة ، عندما بني على قبره القباب[2]. ولقداسة سادات القبائل وأشرافها ؛ زعم العرب إن المقلات: وهي المرأة التي تلد واحداً ثم لا تلد[3] ،أو التي لا يعيش لها ولد[4] ، إذا وطئت قتيلاً شريفاً سبع مرات بقي ولدها[5]. وربما مبعث هذا الاعتقاد ، إن الروح تنتقل فوراً من الجسد الفاني إلى الجنين في أحشاء المرأة[6]. ومن المظاهر الأخرى عن تقديس ساداتهم وهم أموات ، ما زعمته قبيلة طيء ، أن حاتماً الطائي يقري ضيوفه حتى وهو في قبره[7].

تقديس الكهنة :

الكَهانَةُ بالفتْحِ ويَجوزُ الكَسْر ادِّعاء عِلْم الغَيْبِ[8] ، والكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان[9] ،وتطلق أيضا على العراف ، والمنجم ، والقاضي بالغيب[10] ، الذي يتعاطى الأخبار عن الكوائن في المستقبل ، ويدعى معرفة الأسرار[11].

إن وظيفة الكاهن بمعرفة الأسرار وإدراك الغيب ، جعلت منه محط اهتمام الجميع عبر حقب التاريخ القديم ، وحظي بمكانة ارتقت إلى مستوى التقديس ، فمنذ القدم ارتبطت الكهانة بالعراف ، وكانوا يسمون بأبناء انيدورانكي أو(أميدوراكوس)

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ص ٢٩٧.

(٢) ينظر: ديوان مهلهل بن ربيعة، ص ٦٧.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج ٥، ص ٤٢

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ٧٢.

(٥) ابن قتيبة، غريب الحديث، ج٢، ص ٥٦٥.

(٦) أنور أبو علي سويلم، دراسات في الشعر الجاهلي، ص ٩٢.

(٧) ينظر: تفصيلا هذه الرواية عند المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٢٩٧.

(٨) الزبيدي، تاج العروس، ج٣٦، ص ٨١.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٣٦٣.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب ج٤، ص٣١٩ ؛ الزبيدي، تاج العروس ج١١، ص٤١١.

(١١) النووي، شرح صحيح مسلم، ج٥، ص٢٢ ؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٦، ص٣١٩.

وهو ملك سبق الطوفان[1]. ويُعرف العراف في النصوص المسمارية(بارو) ، إذ يرد في بعضها إن العراف كان يتقدم الجيش في زحفه ، ولا شك في ذلك لأن الملك كان يستطلع رأي الآلهة قبل القيام بالعمليات العسكرية ، ليتعرف على احتمالات النصر أو الفشل[2] ، ولا تتخذ القرارات التي تهم البلاد إلا بعد استشارة مسبقة للعرافين[3]. وكان يحمل على عاتقه طرح الأسئلة على الإله[4] ، وفي رسائل تل العمارنة (في مصر القديمة) يدعى الكاهن (فم الإلوهية)[5].

وعند العرب قبل الإسلام لا تختلف المكانة التي كان عليها الكاهن عما كانت عليه في الشرق الأدنى القديم. وتبدو امتداداً لها ، مع كثير من الإضافات التي أفرزها الواقع الاجتماعي المهيأ لأن تمتزج به الأساطير والخرافات. فالكاهن في نظرهم قادر على الاتصال بالإله ، وذلك ما يمكن أن نتأمله بما كان يفعله "وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد ، وكان قد ولّي أمر البيت ، بعد جرهم ، فبنى صرحاً بأسفل مكة ، وجعل فيه أمة يقال لها حزورة ، وبه سميت الحزورة التي بمكة. وجعل في الصرح سلماً ، وكان يزعم أنه يرقاه فينا-بي فيه ربه تعالى. وكان ينطق بكثير من الخير ، وكان علماء العرب يقولون: إنه من الصديقين ، وكان يتكهن"[6].

ومما يذكر أن وراء قدسية الكهنة هو سرّ إدراكهم للغيب ، إلى الحد الذي كان يُزعم بعضهم أنه يُعرف سر الجنين قبل أن يُخلق ، ونستشف ذلك في زعمهم أن رقية بنت جشم بن معاوية ولدت نميرا وهلالا وسواءة ، ثم اعتاطت(أنقطاع الحمل) ، فأتت كاهنة ذي الخلصة(أحد الأصنام) فأرتها بطنها ، وقالت: إني قد ولدت ثم اعتطت ،

---

(١) مرغريت روثن، علوم البابليين، ص ٥٦.

(٢) فاضل عبد الواحد، العرافة والسحر، بحث في موسوعة حضارة العراق،ج١، ص١٩٧ – ص١٩٨.

(٣) مرغريت روثن، علوم البابليين، ص ٥٧.

(٤) توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، ص ٤٢.

(٥) المرجع نفسه، ص٣٦٨، هامش رقم ٢.

(٦) الفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص ١٤٥ ؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص ٦٥.

فنظرت إليها ومست بطنها ، وقالت: رب قبائل فرقن ، ومجالس حلق ، وظعن خرق ، في بطنك زق ، فلما تمخضت بربيعة بن عامر ، قالت: إني أعرِفُ ضَرِطِي بِهِلاَلٍ ، أي هو غلام ، وقد ضمن هذا القول مثلاً ، يضرب حين يحدثك صاحبك بخبر ، فتقول: ما كان من هذا شيء ، فيقول صاحبك: بلى إني أعرف بعض الخبر ببعض ، كما قالت القائلة: أعرِفُ ضَرِطِي بِهِلاَل[1]. وربما يمكن أن يستخلص من المثل دلالة أخرى غير معرفة الكاهنة سرّ الجنين ، وإنما تعني البركة التي كانت تمنحها للنساء ، من قول: ومسّت بطنها ، إشارة إلى ذلك ، ولعل هذا المس حسب زعمهم ، كان الدافع لإعادة حمل هذه المرأة بعد طول انقطاع[2].

ومن صور قداسة الكهنة ، كان العرب يعتقدون إن الكهان يرسمون مستقبل قبائلهم ، وكلامهم واقع لا محال ، ومما فيه دليل على ذلك ما جاء في نبوءة (طريفة الكاهنة) ، حين رأت في كهانتها أن سد مأرب سيخرب فنبهت عمرو بن عامر الذي يقال له(مزيقيا) ابن ماء السماء(من قبائل الأزد) إلى ذلك بقولها: إنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين ، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة ، كما تفرقوا إلى يثرب ، والشام ، والعراق[3]. وكانوا يعتقدون إن اتصال الكاهن بالإله يتم عن طريق الوحي بعد تقديم القرابين للإله ، ويأتي الجواب بسجع له وقعه على السامع ، يتبيّن من قول طريفة الكاهنة لقومها: "مه مه وحق ما أقول ، ماعلمني ما أقول ، إلا الحكيم المحكم ، رب جميع الإنس من عرب وعجم ، فقالوا لها: ما شأنك ياطريفة ، قالت: خذوا البعير ، فخضبوه بالدم ، تلون أرض جرهم جيران بيته المحرم ، قال: فلما انتهوا إلى مكة وأهلها جرهم وقد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني إسماعيل وغيرهم"[4].

وكانت نبوءة الكهان محط تيمن واعتقاد مطلق من قبل قبائلهم ، ولاسيما

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢ ، ص ٣٠.

(٢) محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ص ٢٨٤.

(٣) ينظر: الازرقي، اخبار مكة، ج١ ، ص٩٢؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج١ ، ص ٢٧٦

(٤) الازرقي، اخبار مكة، ص ٩٢ – ص ٩٣.

القرارات المهمة التي تحدد مستقبل القبيلة ، فكان العرب يستشيرون الكهنة قبل غزواتهم لتنبئهم في نتائجها ، نستدل على ذلك من أن(رقاش الكاهنة) كاهنة قبيلة طيئ ، قبل أن تغزو قبيلتها يستشيرونها فيتيمنون برأيها ، لأن لها حزم ورأي ، لذا نفذت طيئ غارتها على قبيلة إياد(بن نزار) فظفرت بها وغنمت[(١)]. بل ثمة اعتقاد إن تلك القرارات كانت من وحي الهي يخبر الكاهن فيما سيقرره ، فهذه سجاح التميمية قبل غزو قبيلتها لبني الرباب(من تميم أيضا) ، تتنبأ لما سيحدث ، فتأمر قوماً من بني تميم وقوماً من أخوالها بني تغلب بالغزو ، إذ يأتيهم الأمر بكلام مسجوع ما نصه: إن رب السحاب يأمركم أن تغزوا الرباب. فغزتهم فهزموها ولم يقاتلها أحد غيرهم[(٢)].

وقد ألّه قسماً من العرب كهانهم فخاطبوهم بالأرباب ، يتبين من تكهن عوف بن ربيعة كاهن قبيلة أسد بمقتل(حجر الكندي والد امرؤ القيس) ، فكان يخاطب قبيلته: يا عبادي ، فيقولون له: لبيك ربنا ، فدفعتهم نبوءته أن يهجموا على قبة حجر ويقتلوه[(٣)]. ومن المظاهر الأخرى في تقديس الكهان من العرب قبل الإسلام ، إن من يأتي إليهم يُقبل يَدهم اليُمنى ويضعها على رأسه[(٤)].

وتتجلى مظاهر التقديس لكهانهم في خِلَقهم ، فنسجوا عن بعضهم قصصاً عن ولادتهم ، وهيأة خِلَقهم ، وذلك ما نسج عن الكاهنين(شق ، وسطيح) من روايات نالت منها المبالغات حتى أرتقت فيها إلى مستوى الأساطير ، بدءاً بولادتهم التي جُعل منها استمرار للكهانة حتى لا تنقطع ، فزعموا أن سطيح وشق ولدا في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر وهي بنت الحِميرية ، "ودعت بسطيح وشق قبل أن تموت ، وأخبرت أنهما سيخلفان علمها وكهانتها ثم ماتت"[(٥)] ،

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص ٢٨٨ ؛ البكري، فصل المقال، ج١، ٣٣٩.

(٢) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص١٠٨ ؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص١٦٤.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني،الأغاني، ج٩، ص١٠١؛ البغدادي، خزانة الأدب، ج١، ص٣٢٢.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٣١٧.

(٥) السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص٥٩.

وامتدت المبالغات إلى هيأتهما ، فقيل عن سطيح وهو: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن غسان ويقال له الذئبي نسبة إلى ذئب بن عدي كان وجهه في صدره لم يكن له رأس ولا عنق ، وبطوى كما تطوى الحصير ولا عظم فيه إلا الجمجمة ، وكان لا يقدر على الجلوس فإذا غضب انتفخ وجلس[1]. أما شق أو(شقيق) فهو ابن صعب بن يشكر بن لحيان ، وكان شق إنسان فيما زعموا إنما له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحد ولذلك سمي بشق[2].وذُكر حول شق "إن أمهُ امرأة من الجن عشقت أباه حويلاً فتزوجته فأولدها الدجال ، وهو خوص بن حويل"[3].وقيل كانوا "يرون فوق عينه ناراً بيضاء ، وكذلك عن الموضع الذي هو فيه يعلوه بالليل نار مضيئة وبالنهار دخان"[4].وكذلك ما نسج عن زرقاء اليمامة في جودة البصر وحدة النظر ، فكانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، وارتقوا في نسبها إلى العرب البائدة ، حين زعموا إنها من بنات لقمان بن عاد ، وقيل: هي من جديس وطسم ، وكان حدة بصرها مصدر قوة لقومها ، تبصر القبائل الغازية قبل أن تقترب من اليمامة ، وقد وضعت قبائل حِمير نهاية لها ، عندما هجموا بجيش جرار ودبروا خدعة ، فأمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ، فقالت الزرقاء: يا قوم قد أتتكم الشجر أو أتتكم حمير ، لم يصدقوها ، فاجتاحوهم وأخذ الزرقاء فشقوا عينيها[5]. وبذلك وضعت نهاية لأسطورة ضمنها ، المثل العربي القائل: "أبصر من زرقاء اليمامة"[6].

---

(١) الثعالبي، ثمار القلوب ج١، ص١١٢٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج١، ص٣٢٢ ؛ السهيلي، المصدر نفسه، ج١، ص٥٩ ؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج١، ص٩٧ ؛ ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص١٠٨.

(٢) السهيلي، المصدر نفسه والصفحة؛ الكلاعي، المصدر نفسه والصفحة، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص١٦٢.

(٣) المسعودي، أخبار الزمان، ١٢٢.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٥) ينظر: الثعالبي، ثمار القلوب، ج١، ص٣٠٠ ؛الأصفهاني،الأغاني، ج٢، ص ١٢٥.

(٦) الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص ١١٤.

تقديس الأبطال:

قدس العرب قبل الإسلام أبطالهم ، والبطل هنا من يأتي بفعل يدافع أو يحقق ما تطمح له قبيلته في خضم النزاعات القبلية التي شهدتها جزيرة العرب آنذاك ، لأسباب شتى ، ليس من دواعي البحث الخوض في تفصيلاتها. أو البطل من يذود عن الحرمات كأن يحمي الظعائن ، وترتب على من يأتي بهذه الأفعال ومثيلاتها أن أحاطوه بقديسة وتعظيم. ونلمس قصة تقديس البطل فيما كان ينحر على قبره ، وذلك إعظاما لفروسيته وشجاعته في حياته ، لذا يكرم بعد مماته ، حتى غدا النحر على قبورهم ، شعيرة يؤديها كل من يمر بقبروهم ، ومنهم ربيعة بن مكدم الكناني أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين ، قتله نبيشة بن حبيب السلمي في يوم الكديد[1]. الذي دار رحاه بين قبيلة سُليم ، وبين كُنانة ، فحمى ظعناً من بني كنانة حتى إن قُتل[2]. وقد خلد في فعلته ، ووصف "حامي الظَّعينة فارساً لم يُقتلِ"[3]. وقد خرق شعيرة ذبح الإبل عند قبر الأبطال أحد الشعراء اَختُلف في اسمه ، عندما مرّ بقبر (ربيعة بن مكدم) ، ولم ينبح ناقته ، فاعتذر عن ذلك بقوله:

لولا السِفار وبُعْدَ خرقٍ مَهمَهٍ لتركتُها تحبو على العرقوبِ[4]

ولمكانة الأبطال وسموهم ، كان قسم من العرب يطلب من امرأته أنْ تستبضع من الشجاع أو الكريم ، أي طلب الجماع لتحمل منه[5] ، فكانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لامْرَأتِه إذا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِها أرْسِلي إلى فُلاَن فاسْتَبْضِعي مِنْهُ ويَعْتَزِلُها زَوْجُها ولا يَمَسُّها أبدا ، حتى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذلكَ الرَّجُلِ الَّذي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ ، وعرف عندهم بنكاح الاستبضاع[6]. وما يؤكد ذلك أن عبد الله أبا النبي(ﷺ)مر بامرأة فدعته إلى أن يستبضع منها[7].

---

(١) ديوان الحماسة ، ج١ ، ص ٢٧٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ٦٥.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ج٥ ، ص ١٤٨

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ٧٢.

(٥) ابن حجر ، فتح الباري، ج٩، ص ١٨٥.

(٦) العيني، عمدة القارئ، ج ٢ ، ص ١٢١.

(٧) ابن منظور ، لسان العرب، ج ٨، ص ١٤.

تقديس السَّدنة :

والسادن: خادم الكعبة وبيت الأصنام والجمع السدنة [1]، أضفى عليهم العرب قبل الإسلام القداسة والتعظيم ؛ لقدسية الأماكن (بيوت الآلهة) التي يخدمونها. وكانوا لسان حال الآلهة ، يكشفون الغيب للناس ، بالاستقسام بالأزلام (الاستخارة) ، ويحمل هذا المعتقد طابع القدسية ، لأن من يقوم بعمله سدنة معابد الأصنام ، بطقوس تفترض تقديم النذور للإله الذي يعتقدونه ، ويقولون (يا إلآهنا) اخرج الحق في ذلك ، ثم يعملون بما خرج فيه[2] ، ومن شواهد ذلك أنهم يستقسمون عند هبل ، في جوف الكعبة وعنده يتحاكمون فيما أشكل عليهم[3]. ولقداسة السدنة وإكبارهم ، كان ينحر عند قبورهم الإبل ، يتبين ذلك ما روي عن الشرقي بن قطامي ، لما مات عمرو بن حُممة الدّوسي ، وكان احد من تحاكم إليه العرب ، ومن كهانهم(سادن)[4] ، له صنم يقال له ذو الكفين[5] ، فبعد أن مات ، مر بقبره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام فعقروا رواحلهم على قبره[6]. ويبدو سبب ذلك ما يُعتقد أنما يفعلون ذلك إعظاماً إعظاماً لهم كما كان ينحرون لآلهتهم (الأصنام)[7].

ومن السدنة الذين كان لهم قدسية هم سدنة النار ويطلق عليه المُهَوِّلُ (المُحلِّفُ)[8] ، وتأتي قدسيتهم من قدسية النار التي يحلفون عندها بأجواء من الرهبة تدفع المُسْتَحْلَف الكاذب يَنْكُل عن يمينه ، وأن كان بريئاً حلف ، ويقال: إن هذه النار يطلق عليها هولة أو المهولة ، كانت بأشراف اليمن[9] ، وقد ضمن أبو عُبَيْدَة هذه

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب، ج ١٣ ، ص ٢٠٧.

(٢) العيني، عمدة القارئ، ج٩، ص٢٤٧.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص٢٠٨.

(٤) البكري، فصل المقال، ج١، ص ١٤٨

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ٢٣٩.

(٦) ينظر: القالي، الامالي، ج ٢ ، ص ١٤٣.

(٧) البغدادي، خزانة الأدب، ج١٠، ص ٧.

(٨) الزبيدي، تاج العروس، ج٣١، ص ١٦٨.

(٩) البغدادي، خزانة الأدب، ج٧، ص ١٣٩.

الطقوس في رواية هذا نصها: "كان في الجاهليّة لكلّ قوم نارٌ وعليها سَدَنَةٌ فكان إذا وَقَعَ بين الرَّجُلَيْن خُصومَةٌ جاء إلى النار فيَحْلفُ عندها ، وكان السَّدَنَةُ يَطْرَحُون فيها مِلْحًا من حَيْثُ لا يَشْعُرُ ، فَيَتَفَقَّعُ يُهوِّلون بها عَلَيه ، وفي الأساس وأصْلُها النار التي كانت تُوقَدُ في بِئْرٍ وَيُطْرَح فيها مِلْحٌ وكَبْرِيتٌ ، فإذا انْقَضَتْ واسْتَطالَت ، قال المُهَوِّلُ وهو الطارحُ للمُسْتَحْلَف عندها: هذه النارُ قد تَهَدَّدَتْك فَيَنْكُل عن اليَمينِ"[1]. وجاء وصف هذه النار في شعر أَوْسُ بن حَجَر بقوله:

إذا استقبلتْهُ الشمسُ صَدّ بوجهِهِ   كما صَدَّ عَنْ نارِ المُهَوِّلِ حالِف[2]

وهناك مِنَ العرب مَنْ ارتفعت مكانتهم وقُدسوا ، لأنهم كانوا يؤذنون للناس في بدء شعائر الحج المقدسة قبل الإسلام ، يقال لهم(صوفة) وهم الغوث بن مر وأولاده. ولمكانة الغوث التي كان عليها من الكعبة ، تولى الإجازة للناس بالحج من عرفه ، وهذه المكانة جاءت من ولادة الغوث التي تحمل صفات القدسية ، إذ إن أمه من جرهم نذرت ، وكان لا يعيش لها ولد ، لتربطن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة ، فنذرت لله إن هي ولدت رجلا أن تصدق به على الكعبة عبدا لها يخدمها ، ويقوم عليها. فولدت الغوث ، فكان يقوم على الكعبة الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، وولده من بعده حتى انقرضوا[3] ، وما يؤكد قدسية الغوث بن مر من قول أبيه لوفاء النذر:

إني جعلتُ ربِّ مِنْ بَنيَّ رَبِيطَةً   بمكّةَ العَلّيه

فبارِكَنَّ لي بها اليَه   واجْعله لى من صَالحِ البَرِيّه[4]

وكان الغوث بن مر فيما زعموا ، إذا دفع بالناس ، قال لهم: إني تابع تباعه ، إن كان إثم فعلى قضاعة (التي ينتسب إليها) ، وفي شعيرة رمي الجمار ، لا ترمي الناس

---

(١) البغدادي، خزانة الأدب، ج١٠، ص ٧.

(٢) ديوان اوس بن حجر، ص ٦٩.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ١٤٩ – ص ١٥٠ ؛ ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٠ – ص ٢٥١.

حتى يرمي رجل من صوفة ، فإذا فرغوا من رمي الجمار ، وأرادوا النفر من منى ، أخذت صوفة بجانبي العقبة فحبسوا الناس ، وقالوا: أجيزي صوفة ، فلم يجز احد من الناس حتى يمروا ، فإذا نفرت صوفة ومضت على سبيل الناس فانطلقوا بعدهم[1].

ولا تقل قداسة رجال الدين عند أهل الكتاب قبل الإسلام عما عليه من تقديس العرب لسدنتهم. فكان الرّاهب إذا جاء من بَيْتَ المَقْدسِ ، تَمَسَّحَ به الصِّبْيان حتى يُمَزِّقُوا ثَوبَه ، فيأخذون قطعة منه للتبرك بها[2] ، وَفِي شِعْرِ امْرئ القَيْس ما يؤكد ذلك بقوله:

فادْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بالسّاقِ والنَّسَا كما شَبْرَقَ الوِلْدانُ ثَوْبَ المُقَدّسِ[3]

وأراد في هذا البيت بالمقدسِ الراهب ، إنهم قطعوا ثيابه تبركا بها ، والشبرقة تقطيع الثوب وغيره ، وصبيان النصارى يتبركون به ويمسح مسحه ، الذي هو لابسه وأخذ خيوطه منه حتى يتمزق عنه ثوبه[4].

ومن مظاهر تقديس رجال الدين قبل الإسلام ما نسبه(د. جواد علي) إلى أهل الأخبار من أن "رجال الدين من أهل الجاهلية كانوا يباركون أتباعهم ويقدسونهم ويلمسون رؤوسهم لمنحهم البركة والشفاء من الأمراض. فكان أحدهم يضع يده على رأس مريض ، أو يلمس جبهته ، ليمنحه بركة تشفيه ، أو عافية تصيبه ، أو تبركاً وتقرباً بذلك إلى الآلهة. وكانوا يبصقون في فم الصبيان ، لتكون البصقة بركة لهم ، وعافية ، وشفاء من مرض ، أو علماً يصيب الصبي ، حينما يكون رجلاً"[5].

وهناك شخصيات قدست عندما وصفت بالأنبياء أو قيل عنها ذلك ، ونسبت لهم المعجزات ، منهم(حنظلة بن صفوان) ، ففي أحد الروايات ، قيل إنه النبي المرسل لأصحاب الرس ، أصحاب النبي حنظلة بن صفوان ، كانوا مبتلين بالعنقاء ، وهي

---

(١) ابن هشام، السيرة ، ص ٢٥١.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج١٦ ، ص ٣٥٨.

(٣) ديوان امرئ القيس، ص ١٠٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٦ ، ص ١٦٩.

(٥) المفصل، ج ٦ ، ص ٢٢٢.

أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها ، وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح ، وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد ، فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة فأُهلكوا[1]. وفي رواية أخرى تقترب في تفصيلاتها من الحكايات الخرافية أكثر من أقترابها من الواقع ، نأتي بإيجازها: إن هناك قوماً بعد أن مات ملكهم حزنوا عليه ، فتمثل لهم الشيطان في جثته وتكلم ، فصدقوا ذلك ، وعدّوه إلههم ، فبعث الله إليهم نبيا كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة ، كان اسمه حنظلة بن صفوان ، فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له ، وأن الشيطان قد أضلهم ، وأن الله لا يتمثل بالخلق ، وأن الملك لا يجوز أن يكون شريكا لله ، ووعظهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته ، فآذوه وعادوه ، وهو يتعهدهم بالموعظة و بالنصيحة حتى قتلوه في السوق وطرحوه في بئر ، فعند ذلك أصابتهم النقمة[2]. ومن الشخصيات الأخرى التي وصفت بالأنبياء هو خالد بن سنان ، وقيل إن له معجزة إطفاء نار الحرّتين ، وهي نار خالد بن سنان ، أحد بني مخزوم من بني قُطَيْعَةَ بْنِ عَبْس ، ولم يكن في بني إسماعيل نبيٌّ قبلَهُ ، وهو الذي أطفأ اللّه به نار الحَرَّتين ، وكانت ببلاد بني عبس فإذا كان اللَّيلُ فهي نارٌ تسطعُ في السَّماء ، فتأتي على كلِّ شيء فتحرقُه ، وإذا كان النهارُ فإنما هي دخانٌ يفور ، فبعث اللّه خالدَ بنَ سنان ، فاحتفَرَ لها بئراً ثمّ أدخلها فيها والنَّاس ينظرون ، ثمّ اقتحم فيها حتى غيَّبها[3]. ومن المعجزات التي حيكت عنه ، إنه قال لقومه: إذا أنا متُّ ثمَّ دفنتموني فاحضُروني بعدَ ثلاثٍ فإنَّكم تَرَوْنَ عَيراً أبْتَرَ يطوفُ بقبري فإذا رأيتم ذلك فانبشوني فإني أخبرُكم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فاجتمعوا لذلك في اليوم الثالث ، فلما رأوا العَيْرَ وذهبوا ينبشونه اختلفوا فصاروا فرقتين وابنُه عبد اللّه في الفِرقة التي أبَتْ

(١) الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص٢٨٥.

(٢) القرطبي، جامع أحكام القرآن، ج ١٢، ص ٧٦.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ٤٧٦ – ص ٤٧٧؛ وينظر: الثعالبي، ثمار القلوب، ج١، ص ٥٧٣؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص ١٣٤.

أن تنبشه وهو يقول لا أَفعَلُ إني إذاً أُدْعَى ابنَ المنبوش فتركوه[1]. ونسجت عنه معجزات أخرى بعد مماته، ما قيل: إنه أخبر قومه قد تركت عند امرأتي لوحين، فإذا أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما، فإنكم سترون ما تسألون عنه، وقال: لا يمسهما حائض، قال: فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما وهي حائض، قال: فذهب بما كان فيهما من علم[2]. وقد أختلف في كيفية وفاته ومكانها، ومما لا ريب فيه إن المسحة الأسطورية طالت تلك الروايات، بحيث أمتد نسجها إلى بلاد المغرب، وهذا ما نطالعه في رواية أوردها(الحاكم النيسابوري) عن مجموعة من الرواة، على الرغم من أنه وصفهم بالثقات، إلا أنه يشكك في متن الرواية من تعليقه عليها بالقول والله أعلم، إذ جاء في نص الرواية: "يذكرون أن بينهم وبين القيروان بحر، وفي وسطها جبل عظيم لا يصعده أحد، وإن طريقها في البحر على الجبل، وأنهم رأوا في أعلى الجبل في غار هناك رجلا عليه صوف أبيض محتبيا في صوف أبيض ورأسه على يديه كأنه نائم لم يتغير منه شيء، وإن جماعة أهل الناحية يشهدون أنه خالد بن سنان والله تعالى أعلم"[3]. ومهما يكن من أمر هذه الروايات، فإن شخصية خالد بن سنان تبقى حقيقية ومقدسة، توفى قبيل البعثة النبوية، وقد جاء بفعل عظيم، حين أخمد ناراً بركانية، ولكن ما يؤسف له، إن جل الروايات التي وصلتنا عنه نالتها المبالغات، وربما حجم العمل الذي قام به كان وراء ذلك. وعلى الرغم مما قيل عنه، فإنه أستحق مدح الرسول(ﷺ) له، هذا ما جاء في رواية عن ابن عباس قال: جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي(ﷺ) فبسط لها ثوبه وَقَالَ(ﷺ): بِنْتُ نَبِيٍ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ[4]. وفي رواية أخرى: ذاك نبي أضاعه قومه[5].

---

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٢، ص ٦٥٥.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٥٥.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير، ج ١١، ص ٤٤١.

(٥) الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٢، ص ٦٥٥.

الخاتمة:

تناول هذا البحث، دراسة المقدس الشخصي عند العرب قبل الإسلام، إذ تم تحديد لفظة المقدس، وتعني المعظم، والمنزه عن العيوب والنقائض. واتضح أن معتقدات العرب في مجال المقدس الشخصي، كانت في مجملها امتداد لمعتقدات اجتماعية اعتقدها إنسان الشرق الأدنى القديم، فضلا عما ورثوه محلياً من العرب القدماء في هذا المجال.

لقد تمثلت أولى الاعتقادات عن المقدس الشخصي، بعبادة الأسلاف، وتطرق البحث إلى دراسة الشخصيات التي ارتقت إلى التقديس تبعاً للمكانة والأثر الذي أدوه وهم: (الملوك، وسادات القبائل، والكهنة، ورجال الدين - السدنة - وشخصيات وصفت على أنها أنبياء، والأبطال). فعُني البحث بدراسة قدسية الملوك، واتضح أن العرب ألهوا الملوك، سواء بمخاطبتهم، أم بتحيتهم التي نزهوهم فيها عن العيوب والأخطاء، والاعتقاد السائد أن دمائهم تشفي من عظة الكلب، والجنون، أو بمخاطبتهم بالأرباب، وارتقت نظرتهم بالتقديس إلى الحد الذي اعتقدوا أنهم لا يموتون، كما اعتقدوا أن الملوك يهبون الحياة، ولهم القدرة على سلبها، وتجلت قدسيتهم كذلك في توزيع أبنائهم على القبائل.

وبعدها تلمس البحث قدسية سادات القبائل، فكشف عن مظاهر قدسيتهم، المتمثلة بالنعوت التي أطلقت عليهم وهي: (رأس القبيلة، سيد القبيلة، سيد معمم أو معصب، القرم، السيد المطاع، عقال المئين)، وارتقى تقديسهم إلى تأليههم حين خاطبوهم بالأرباب، وبطاعتهم المطلقة. وكانت تضرب لهم قباباً متميزة (حمراء اللون) رمزاً للسيادة والجاه. وتجلى تعظيمهم فيما يحصلون عليه من امتيازات أثناء المعارك، وفي أسرهم يُفدون بأعلى فداء. وقدس العرب سادتهم حتى بعد مماتهم، فكانوا يحلفون بقبورهم، وجعلوا منها حِمى(حرم مقدس)، يستجير بها الخائف وطالب الأمان.

وقد خاض البحث في تقديس الكهنة، لإدراكهم الغيب، فاعتقدوا إن الكهنة بمقدورهم الاتصال بالآلهة. وكانوا يرسمون مستقبل قبائلهم. وإن نبوءتهم محط تيمن

واعتقاد مطلق من قبل قبائلهم ، ووصل تعظيم كهانهم بمخاطبتهم بالأرباب ، ونسجت أساطير وأوهام عن خِلقهم وهيأتهم ، مثلما بالغوا في أوصاف الكاهنين (شق ، وسطيح).

وتناول البحث تقديس الأبطال والسدنة ، وتبين أن العرب قدسوا أبطالهم ، لأنهم ذادوا عن الحرمات ، فاقترن هذا التقديس بنحر الإبل عند قبورهم أجلالا لهم. كما عظموا سدنتهم ، لقداسة الأماكن التي خدموها ، فضلا عن أسهامهم في كشف الغيب بعّدهم حلقة وصل مع الآلهة. وخلص البحث إلى أن هناك شخصيات قدست وهم: (حنظلة بن صفوان ، وخالد بن سنان) ، حين وصفوا بالأنبياء ، أو قيل عنهم ذلك.

الفصل الثاني

عقائد الموت عند العرب قبل الإسلام
وموقف القرآن والسنة منهما

مصطلح الموت

حتمية الموت وأنواعه

الحزن على الميت

غسل الميت وتكفينه

حمل الميت إلى القبر

القبر

اعتقادات ارتبطت بموت سادات القبائل

عقائد الموت

مصطلح الموت:

لقد ترددت عدد من الألفاظ والتعابير للموت، منها الفناء: وهو نقيض البقاء[1]، ووصفت الدنيا بأنها دار الفناء[2]. وتفانى القوم قتلا: أي أفنى بعضهم بعضا[3]، ومن الفاظه الحتف، مات حتف انفه[4]، لأن النفس تخرج بتنفسه، والأنف والفم مخرجا النفس[5].

ومن مفردات الموت الشائعة، المنية، فالمنا: الموت، وثمة الفاظ جاءت معبرة عن المنية، منها: المنون، وسميت بذلك لأنها تقطع المدد وتنقص العدد[6]، أو لأنها قاطعة عن التصرف بالحياة[7]، ولأن الله سبحانه وتعالى قد مناها، أي قدرها[8]، والمنية جمعها: المنايا، لأنها مقدرة بوقت مخصوص[9]. ويطلق على المنية(العلاقة)[10]،

---

(١) الفراهيدي، العين، ج٨، ص٣٧٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٧٩.

(٢) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٤، ص٢٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص١٦٥.

(٤) الفراهيدي، العين، ج٣، ص١٩٣؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١٢٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣٨.

(٦) الجوهري، الصحاح، ج٦، ص٢٢٠٧.

(٧) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص٥١٥.

(٨) الاسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج٣، ص٤٦.

(٩) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٤، ص٢٦٨.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٦٦.

و(العبول) ويقال للرجل إذا مات: عبلته عبول، واصل العبل القطع المستأصل[1]. وسميت(العجول)، لأنها تُعجل من نزلت به عن إدراك أمله[2]، ومن أسماء المنية (الغول) ويقال: غاله يغوله إذا اغتاله، وكل ما اهلك الإنسان فهو غول[3]. أو(الغيلة)، وهي الاغتيال: قتل فلان غيلة، أي خدعة[4]. ويعبر عن المنية بالوفاة، وتوفي فلان، وتوفاه الله إذ قبض نفسه[5]. وسميت(شعوب) لأنها تفرق[6]، ويقال: قد أشعب الرجل: إذا مات أو فارق فراقاً لا يرجع[7]. وأطلق على المنية(الحالقة)، لأنها تحلق أي تهلك، والقوم يحلق بعضهم بعضاً[8]، إذا قتل بعضهم بعضاً. ومن تسمياتها ايضاً (الحمة)[9]، و(طوم)[10]. ووصفت المنية بـ(أم اللهيم) لأنها تلتهم الخلق[11]. و(أم قشعم) وهي مرادفة للحرب[12].

ومن الألفاظ التي تداولها العرب لذكر الموت(الحِمام)، وهو قضاء الموت وقدره من قولهم حم كذا أي قدر الفراق[13]. ويأتي تعبير(القضية) مرادف للموت أيضاً وتعني(القض)، من قولهم وقضى نحبه أي(مات)، وضربه فقضى عليه أي قتله لأنه فرغ منه[14]. وكذلك يعبر عن الموت بـ(أخترم) أي مات، اخترم فلان عنا: مات

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٤٢٢؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص٤٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٥٠٧.

(٤) الفراهيدي، العين، ج٤، ص٤٤٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص٤١٠.

(٦) ابن قتيبة، غريب الحديث، ج١، ص٦.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٠١.

(٨) المصدر نفسه، ج١٠، ص٦٦.

(٩) الزبيدي، تاج العروس، ج٨، ص٢٦١.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٧٢؛ الزبيدي، المصدر نفسه، ج٨، ص٣٨٢.

(١١) الزبيدي، المصدر نفسه، ج٩، ص٢٨.

(١٢) المصدر نفسه والصفحة.

(١٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص١٥١.

(١٤) الزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٢٩٦.

وذهب ، واخترمته المنية من بين أصحابه ، أخذته من بينهم[1].

ومن الكلمات المعبرة عن الموت نلحظ مفردة (السام) ما روي عن آنسَ بن مَالك يقول: "مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللَّه(ﷺ) فقال السَّامُ عَلَيْكَ فقال رسول اللَّه(ﷺ) وَعَلَيْكَ فقال رسول اللَّهِ(ﷺ) أتَدْرُونَ ما يقول قال السَّامُ عَلَيْكَ"[2]. والسام: يعني الموت ، ويظهرون أنهم يريدون السلام عليكم[3]. ووصفت العرب الموت بـ(لجم عطوس) ، وقالت للرجل إذا مات: عطست به اللجم ، وعطس الرجل مات[4].

ولعل من المناسب أن نشير إلى مفاهيم والفاظ ارتبطت بالموت ، منها(أنامه) إذ قتله ، والنائمة(المنية) أو (الميتة) ، والنامية(الجثة)[5] ، وكذلك مفردة (القعص) وتعني: القتل المعجل ، والقعص: الموت ، وضربه فأقعصه ، أي قتله مكانه ، وقعصته إذ قتلته قتلا سريعاً[6]. ومنها تعبير(ضرب حتى برد) أي حتى مات وبرد الرجل: أي مات ، وذلك مشتق من حرارة الروح ، وجاء في القول: فهبره بالسيف حتى برد أي مات[7]. ويقال للرجل الذي يقدم فيضرب عنقه ، قُتل صبراً ، يعني انه امسك على الموت[8]. وكما تعني كلمة(ساق) يسوق ، إذا حضرت روحه الموت ، والسياق: نزع الروح ، أي النزاع كأن الروح تساق لتخرج من البدن[9]. و(أعنق ليموت) أي أن المنية أسرعت به به وساقته إلى مصرعه[10]. و(ركب فلان ردع المنية): إذ كان في ذلك منيته ، ويقال:

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص172.

(2) البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص 1073.

(3) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج2، ص426.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص142.

(5) الزبيدي، تاج العروس، ج9، ص86.

(6) ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص78.

(7) المصدر نفسه، ج3، ص85.

(8) المصدر نفسه، ج4، ص438.

(9) المصدر نفسه، ج10، ص167.

(10) الزبيدي، تاج العروس، ج7، ص29.

للقتل ركب ردعه ، إذ خر لوجهه على دمه ، أي خر صريعاً[1].

ومما يجدر ذكره إن هناك مفردات ارتبطت بالإنسان عند الموت منها (القريض والجريض) ، والجريض: هي تبلع الريق ، والجرض: هو أن تبلغ الروح الحلق ، وقيل مات فلان جريضاً ، أي مريضاً مغموماً ، أما (القريض) ، فهو صوت الإنسان عند الموت[2] ، وجاءت منها كلمة قرض فلان: أي مات ، وانقرض القوم ، درجوا ولم يبق منهم احد[3]. ومن المفردات التي ارتبطت بالموت أيضاً (الرمق): وهي بقية الحياة ، وقيل هو آخر النفس[4]. وكلمة(تزهق): خروج الروح من الجسد ولا يبقى فيه حركة[5]. و(الذماء): بقية الروح في المذبوح[6] ، و(النسمة) نفس الروح ، وما بها نسمة نسمة أي نفس[7] ، و(الحشرجة): الصوت في الصدر عند الموت[8].

ولخص (الشرقي بن القطامي) مترادفات الموت وهي: المنايا ، الأحداث ، الحِمام ، الأجل ، الحتف ، القدر ، المنون ، الزمان[9].

حتمية الموت وأنوعه:

اعتقد العرب قبل الإسلام بحتمية الموت ، وانه قدر لا مفر منه ، وشاعت القدرية في اعتقاد الكثير منهم ، فقد أورد البخاري رواية عن قتادة: "كانت العرب تثبت القدر في الجاهلية والإسلام"[10]. وان الإنسان رهن منيته في(شرك الموت) ولا خلاص للمرء

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب، ج٨، ص١٢١.

(٢) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣٠.

(٣) الجوهري، الصحاح، ج٣، ص١١٠١.

(٤) ابن منظور ، لسان العرب، ج١٠ ، ص١٢٥.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٧.

(٦) الرازي، مختار الصحاح، ص١٢٤.

(٧) ابن منظور ، لسان العرب، ج١٢ ، ص٥٧٣.

(٨) المصدر نفسه ، ج٥، ص١٣٦.

(٩) الزبيدي، تاج العروس، ج١٠ ، ص٣٤٨.

(١٠) خلق أفعال العباد ، ص٥٨.

منها ولا مفر عنها يتضح ذلك في قول المتلمس(جرير بن عبد المسيح من بني ضبة) بقوله:

الَــم تَــرَ أنَّ المَــرْءَ رَهْــنُ منيــةٍ صريعُ لِعافى الطيْرِ أو سَوْفَ يُرمسُ[1]

كما وتجلت القدرية وحتمية الموت في قول عنترة بن شداد:

يــا عُبْــل ايــن مِّــن المنيــة مهربــي إن كــان ربّــي في السَّــماء قَضَــاها[2]

وإن الموت قدر لا مفر منه ، هذا ما عبر عنه عمرو بن كلثوم بقوله:

وإنــا سَــوفَ تــدركُنا المنَايــا مُقَــدرةً لنــا ومُقــدرِّينا[3]

ومما يدل على حتمية الموت ، إن العرب قبل الإسلام كانوا يعتقدون بأن التمائم[4] وعزائم الكهان وتعليق المعادن والحلي والأحجار لدرء المخاطر و مخافة العين[5] ، إلا أن حتمية الموت تتغلب عليها ، وهذا ما جسده الشاعر الممزق العبدي في قوله:

ولــو كــان عنـدي حازيـان وكـاهن وَعَلَّــق انحاســاً علـيَّ المُنجّسُ

اذا لأتتنــي حيــثُ كنــتُ منيتــي يخــبُّ بــها هــادٍ الــي مُعفــرسُ[6]

ونلمس في رحلة الشاعر أفنون التغلبي إن صحت ، ما يفكر به العربي ويعتقدهُ في حتمية الموت وقدره ، عندما يسأل(أفنون) احد الكهنة ويخبره بموته في مكان يقال

---

(١) التبريزي، ديوان الحماسة بشرح التبريزي، ج١ ، ص٣٦٧. ٣٦٨.

(٢) ديوان عنترة ، ص٢٥٢.

(٣) ابن الانباري، شرح المعلقات السبع الطوال، ص٣٧٤.

(٤) التمائم: هي كل ما يعلق من عوذ وقلائد من السيور والخرز والمعادن، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢ ، ص٦٩.

(٥) ينظر عن التمائم والرقى،سعد عبود سمار، التمائم والرقى عند العرب قبل الإسلام، وموقف القرآن والسنة منهما، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، الصادرة عن جامعة واسط العدد٥، السنة ٢٠٠٧.

(٦) البحتري، حماسة البحتري، ق٤٤١ ، ص٩٧ ، العفرس: السابق السريع.

له (الإهة)[1] ، وتشاء الأقدار أن يلقى أفنون حتفه في المكان نفسه ، حينما خرج مع ركب فضلوا الطريق في ليلهم ، وأصبحوا في مكان ، فسألوا عنه ، فقالوا هذه الإهة ، فنزلوا ، ولم ينزل أفنون ، وخلى ناقته ترعى ، فعلقت بمشفرها أفعى ، وحينما شعر بدنو أجله قال لأخ له يقال له معاوية: احفر لي قبراً فأني ميت ، وأنشد أبياتا قبل أن يموت قال فيها:

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا

كفى حزناً أن يرحل الركب واترك في أعلى الإهة ثاوياً[2]

أما عن أنواع الموت ، فالشائع عند العرب الموت الفجأة ، ويقال له: مات فلان حتف انفه ، وهو أن يموت موتاً على فراشه من غير قتل[3] ، ولا غرق ولا سبع ولا غيره ، وقال ابن الأثير: هو أن يموت على فراشه كأنه سقط لأنفه فمات ، وكان العرب يتخيلون أن روح المريض تخرج من انفه ، فإن جرح خرجت من جراحاته ، ويقال مات حتف أنفيه ، لان نفسه تخرج بتنفسه من فيه وأنفه ، والأنف والفم مخرجا النفس ، وغلب احد الاسمين على الآخر لتجاورهما[4]. وهذا النوع من الموت الطبيعي يطلق عليه(الموت الأبيض) أو(الموت الفوات)[5]. وفي الحديث النبوي الشريف: أن رجلاً أتى رسول الله(ﷺ) فقال يا رسول الله: "إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأَظُنُّهَا لو تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ فَهَلْ لها أَجْرٌ إن تَصَدَّقْتُ عنها قال نعم"[6]. وقال أبو عبيدة: افتلتت نفسها يعني ماتت فجأة ولم تمرض[7].

---

(١) الاهة: مكان بين ديار تغلب والشام، البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٤٧١.

(٢) ينظر: المفضل الضبي، المفضليات، ص ٢٦١؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٤١٩؛ البكري المصدر نفسه.

(٣) الفراهيدي، العين، ج٣، ص١٩٣؛ الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٢٤٠.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٨؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص٦٥.

(٥) الزبيدي، المصدر نفسه، ج١٠، ص٥٦٩.

(٦) البخاري، صحيح البخاري ج١، ص٤٦٧.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٥٦٩.

ومن أنواع الموت الأخرى (الموت الأسود) ويطلق على الغرق والشرق ، أن يشرق الإنسان بالشراب(الغصة)[1]. و(الموت الأحمر) ويطلق على القتل بالسيف[2] والموت القتل . فهناك ما يطلق عليه(الغبطة) . اغتبطه قتله ، أي قتله ظلماً لا عن قصاص[3]. أما القصاص فهو القتل ليس بعدوان[4]. ومن أنواع الموت (الموت في ارض المعركة) ، ويُعدُ مفخرة للأهل والقبيلة ، وكان شرفاً يسعى إليه المقاتل ، وجسد ذلك السموأل بن عادياء في شعره:

تسيل على حد السيوف نفوسنا وليست على غير السيوف تسيل[5]

وهناك الموت في الأسر الذي يُعدُ أسوأ ميتة[6] ، والقتل بدس السم ، كما حدث عندما دس النعمان بن المنذر السم لنديميه(عمرو بن مسعود وخالد بن فضلة الاسديين)[7] ، وهناك الموت بمرض مثل الطاعون ، ورثى الشاعر أبو ذؤيب الهذلي أبناؤه الخمسة عندما توفوا بمرض الطاعون[8] ، والموت نتيجة افتراس الحيوانات[9] ، أو الموت بصاعقة سماوية (الرعد) كما حدث لأربد أخي الشاعر لبيد بن ربيعة العامري[10].

واستعاذ الرسول محمد(ﷺ) من سبع موتات: موت الفجأة ، ومن لدغ الحية ، ومن السبع ، ومن الغرق ، ومن الحرق ، ومن أن يخر عليه شيء ، ومن القتل عند فرار الزحف[11].

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، ج١٠ ، ص٥٦٩.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٦٤.

(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٤ ، ص٦٨.

(٦) ينظر: ديوان امرؤ القيس، ص٢٠٠.

(٧) ابن حبيب، أسماء المغتالين، ص١٣٤.

(٨) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج١، ص٤.

(٩) ينظر: البصري، الحماسة البصرية، ج١ ، ص٢٥٥.

(١٠) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، المقدمة، ص١٠.

(١١) ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ، ج٢ ، ص٢١٨.

الحزن على الميت:

كان من عادات العرب قبل الإسلام أن تعلن وفاة الرجل في الأماكن العامة بواسطة الناعي(الآتي بخبر الموت)[1]. فإذا قتل منهم شريف أو مات بعثوا راكباً إلى قبائلهم ينعاه إليهم[2]. ويذكر(الأصمعي) إن النعي كان للرجل ذي القدر والأهمية، فيركب راكب فرساً ويسير بين الناس ويقول نعاء فلان[3].

وحال سماع خبر الموت يعمّ الحزن عند الأهل والأقارب، وإذا كان من سادات القبيلة يسود الحزن فيها عامة. وكان من عاداتهم نصب المأتم، والمأتم اجتماع الرجال والنساء في الحزن والسرور[4]، ثم خص به اجتماع النساء للميت يبكين وينحن عليه[5]. ويعرف المأتم عند العامة(المصيبة)، بمعنى المناحة والحزن والنوح والبكاء، لأن النساء لذلك اجتمعن، والحزن هو السبب الجامع[6]، لذا فإن الاجتماع فيه للحزن أكثر مما هو للسرور.

وتقام المأتم في دار الميت، إذ تنصب السرادق، فيأتون بإمة مستأجرة تبكي وتبتغ عبرتها بدراهمهم[7]. وتسمى(النائحة) أو(النادبة) التي تندب الميت بحسن الثناء وتقول: وافلاناه، واهناه[8]، ويا للحسرة ويا للندامة[9]. وأحياناً ما يعضن عن الكلام ويقمن بالتصفيق بأيديهن[10].

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، ج٣، ص١٣٨؛ ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٤٤٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٣٤.

(٣) الجوهري، الصحاح، ج٦، ص٢٥١٢ ؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٤، ص٥١ .

(٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٤، ص٢٨٨.

(٥) ابن عبد البر، التمهيد، ج٢١، ص٧٨.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣.

(٧) ابن أبي إسامة، بغية الباحث، ص٩٥.

(٨) الفراهيدي، العين، ج٨، ص٥١.

(٩) المصدر نفسه، ج٨، ص٨٦.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥١٤.

ومن الأعراف المتبعة بالمأتم انه لا يحق لأهل القاتل حضورها ، وذلك ما ذكر عن المأتم الذي أقيم بعد مقتل كُليب بن ربيعة[1] من قبل جساس بن مرة ، فأقامت نساء الحي مأتماً ، وكانت جليلة أخت جساس وزوجة كليب حاضرة ، فطلبن نساء الحي من أخت كليب إخراج جليلة من المأتم لأن حضورها شماتة وعار عند العرب فأخرجتها[2].

وكان من عادة النساء عند المصيبة أو المأتم حسر(كشف) الوجه والذراعين ، على الرغم من أنه أمر مريع لحيائهن ومنعتهن ، فإنهن يفعلن ذلك بفعل جلل المصاب وهول الصدمة ، وقد صور هذا المظهر المهلهل بن ربيعة في رثائه كُليب بن وائل قائلاً:

كُنّا نَغارُ على العواتِق ان تَرى ... بالأمسِ خارِجَةً عَن الأوطانِ

فخَرجْنَ حين ثَوى كُلَيبُ حُسّراً ... مُستيقناتٍ بعدهُ بهوانِ[3]

وتتضح الصورة أكثر في رثاء الشاعر الربيع بن زياد العبسي لمالك بن زهير العبسي الذي غدرت به بنو فزارة واصفاً النسوة ذوات الخدود اللاتي لا يراهن أحدٌ فصرن في مأتم مالك مكشوفات لكل ناظر يضربن خالص وجوههن أسفاً عليه ويبكينه رافعات الصوت بالبكاء والعويل يندبنه مكشوفات الوجوه لاطمات الخدود قبل أن يبدو الصباح يبكين عليه وهذا ما جاء في قوله:

مَنْ كان مَسروراً بمَقْتَلِ مالكٍ ... فلْيأتِ نسْوَتنا بوجهِ نَهارِ

يَجدِ النساءَ حَواسِراً يندُبنَهُ ... يَلطُمنَ اوجههُنَّ بالأسْحارِ

قد كُن يَخبأن الوُجوهَ تَستّراً ... فاليومَ حينَ بَرزْنَ للنُظّارِ

---

(١) كليب بن ربيعة: بن الحارث بن مرة الثعلبي الوائلي، سيد(بكر وتغلب) في الجاهلية، ومن الشخصيات الأبطال، واحد من شبهوا بالملوك، كانت منازله في نجد. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٣٢.

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج٥، ص٦٧.

(٣) ديوان المهلهل بن ربيعة، ص٨٧. العواتق: جمع العاتق وهي الفتاة أول إدراكها، ثوى: هلك. الحُسر: المرأة المكشوفة الرأس والذراعين.

يضربن حُرَّ وجوهِهن على فتىً عفُّ الشَّمائل طيّبِ الأخبار[١]

وعبرت المرأة قبل الإسلام عن حزنها وفجعها بشق الثياب عند الجيب ، أي عند الصدر والدعاء بالويل والثبور والتفجع[٢] ، والقول هلك الأبعد ، ونتف الشعر ودق الصدر[٣] ، والقيام بالخرق(تمزيق الثياب) ، والحلق: حلق شعر الرأس ، والسلق: إثارة تراب الأرض ووضعه فوق الرأس ، وخمش الوجه بالأظافر تفجعاً[٤]. وذكر(ابن حبيب) إن أول من شقتا جيبهما وحلقتا رؤسهما من العرب هي (أمرعة وأشعرة) ابنتا داود بن هبالة[٥] ، وفعلتا ذلك عندما علمتا بموت أبيهما[٦]. كما وخلّف اليوم الذي مات فيه كليب بن وائل حزناً لم يلاحظ يوماً أكثر باكياً وباكية وخمش وجوه ، وشق جيوب من ذلك اليوم[٧].

وكانت المرأة إذا مات زوجها حلقت رأسها وأخذت نعلي زوجها في عنقها وضربت بهما وجهها[٨]. ويبدو أن ضرب الصدور بالنعال كان تعبيراً عن الحزن فضلاً عن كشف الشعر والأذرع ، وقد جسد هذه الصورة أبو ذؤيب الهذلي في شعره عندما رثى نفسه:

وَقامَ بناتي بالنعال حَواسراً فَالصَقْنَ وَقعَ السِّبت تَحْتَ القَلائدِ[٩]

---

(١) التبريزي، ديوان الحماسة شرح التبريزي، ج١، ص٤١٢ ـ ص٤١٣.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف، ج٣، ص١٧٤.

(٣) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٣، ص٣٤٢.

(٤) ابن أبي شيبة، المصنف، ج٣، ص١٧٤ ـ ص١٧٥.

(٥) داود بن هبالة بن عمرو بن سعد بن سليم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ينظر:ابن حبيب، اسماء المفتالين، ص ٤٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٧) الأصفهاني، الاغاني، ج١٧، ص٦٦.

(٨) ابن قتيبة، المعاني، الكبير، ج٣، ص١١٩٧.

(٩) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج١، ص١٩١؛ والصقن: ضربن بالنعال صدورهن، السبت: النعال السبتية، نعال من جلد البقر المدبوغ، وقد حلق شعره، ينظر: النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج٨، ص٩٥؛ أبو داود، سنن ابي داؤد، ج٣، هامش، ص٨٦.

ويمكن القول إن مظاهر الحزن على الميت عند العرب قبل الإسلام لا تختلف في كثير منها عما يفعله العراقيون القدماء في التعبير عن تلك المظاهر من ترك الشعر أشعث ، ونتفه عند الحزن ، والنوح بأصوات عالية ، واللطم على الوجه ، وتمزيق الثياب[1].

ومن مظاهر الحزن على الميت ، كانت المرأة التي يموت زوجها أو حميهما تسلب عليه ، أي أحدت ، وقيل الإحداد[2] ، والسلاب ثوب اسود تغطي به المُحد رأسها[3] ، رأسها[3] ، وقيل خرقة سوداء كانت تغطي رأسها[4] ، ويُعرف بلباس المأتم[5] ، ومن النساء من بالغن في حزنهن ، فلبسن الصدار من الشعر ، وهو ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغطي الصدر والمنكبين[6]. وقد نهى الرسول الكريم(ﷺ) عن لبسه بعد ظهور الإسلام[7]. وأشهر من لبست الصدار(الخنساء) ويذكر إنها دخلت على السيدة عائشة(رضي الله عنها) وعليها خمار ممزق وصدار شعر ، فقالت: يا خنساء أن هذا لقبيح ، قُبض رسول الله(ﷺ) فما لبست هذا[8].

وكانت عادة البكاء والنوح على الميت من ضمن الوصايا التي يوصي بها الرجل ذويه بأن ينعونه عند وفاته ، وهذا ما نجده في وصية طرفة بن العبد لابنة أخيه معبد قائلاً:

إذا مُتُّ فانْعيني بما انا اهْلُهُ وشُقي علي الجَيْبَ يا ابنَةَ مَعْبدِ[9]

---

(١) دنائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، ص٢٩٩.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١ ، ص٤٧٣.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢ ، ص٣٨٧.

(٤) الزمخشري، الفايق في غريب الحديث، ج٢ ، ص١٥٤.

(٥) الجوهري، الصحاح، ج٣، ص١٠٥٤.

(٦) المبرد، الكامل، ج٣، ص١٢٠٣.

(٧) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص١٦.

(٨) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ج١ ، ص٢٩٢؛ وينظر: ابن حجر: الإصابة، ج٨، ص١١٢.

(٩) ديوان طرفة بن العبد ، ص٣٩.

ومن عاداتهم ، إذا حضرت الرجل الوفاة طلب من بنيه أن يسمعوه تأبينه ، فعندما حضرت عبد المطلب جدّ الرسول(ﷺ) الوفاة جمع بناته ليبكينه حتى سمع ما يقلن عنه قبل أن يودع الحياة ، فأنشدته عاتكة ، وأروى ، ووبرة ، وأم حكيم ، وأميمة ، وكان عبد المطلب يشعر بالرضا عند سماعه لهن[1].

أما مدة العزاء عند العرب قبل الإسلام فكانت حولاً كاملاً ، لاعتقادهم أن أرواح الموتى لا تنقطع من التردد إلى منازلهم في الدنيا إلى سنة كاملة[2]. وكانوا يستعظمون موت الرجل الجليل ، ومن رثائهم عليه أن يقولوا له(لا تبعد) وهذا ما نقرأه في شعر(عمرو بن شقيق) الذي قيل في قتل(ربيعة بن مكدم الكناني)[3] حاء فيه:

لا يَبْعُدَنَّ ربيعةُ بنُ مكَدَّمٍ وسقى الغَوَادي قبْرَهُ بذنُوبِ[4]

وكأنهم في كلمة(لا تبعد) لا يصدقون موته ، أو يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكراه ولا ينسى ، لأن بقاء ذكراه بعد موته بمنزلة حياته[5].

وكانت العرب لا تبكي قتلاها فضلاً عن تحريم الخمر وغسل الرأس من الجماع إلا بعد الأخذ بالثأر[6] ، وجرياً على هذه العادات لم يرث قتلى المشركين في بدر ، يتضح في قول أبي سفيان: "يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم ولا تنح عليهم نائحة ، ولا يبكيهم شاعر ، واظهروا الجَلَد والعزاء فإنكم إذا نحتم عليهم وبكيتموهم

---

(١) ينظر: شرح ديوان الخنساء بالإضافة الى مراثي ستين شاعرة من شواعر العرب، ص١٢٥ـ ص١٢٦.

(٢) البغدادي، خزانة الأدب، ج٤، ص٢١٤.

(٣) ربيعة بن مكدم: بن حرثان بن جذيمة، الشجاع المشهور، لقب حامي الظعن حياً وميتاً، احد فرسان مضر المعدودين، توفي نحو ٥٥٨م، قتل يوم الكدية قتله بنو سُليم، ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٤٢؛ الزركلي، الأعلام، ج٣، ص١٧.

(٤) التبريزي، ديوان الحماسة شرح التبريزي، ج١، ص٢٧٥.

(٥) البغدادي، خزانة الأدب، ج٤، ص٢٩٨؛ الالوسي، بلوغ الأرب، ج٣، ص١٤.

(٦) التبريزي، ديوان الحماسة شرح التبريزي، ج١، ص٣٤٦.

بالشعر أذهب ذلك غَيظَكم ، فأكلُكم ذلك من عداوة محمد وأصحابه ، مع انه إن بلغ محمَّداً وأصحابه شَمِتوا بكم ، فيكون أعظم المصيبتين شَماتتهم ، ولعلَّكم تُدركون ثأركم" فمكثت قريش شهراً لا يبكيهم شاعرٌ ولا تنوح عليهم نائحة[١]. لكن كعب ابن الاشرف خرج عن المألوف ورثى قتلى قريش بأبيات ، وجعل من الصبيان والجواري ينشدون هذه الأبيات في مكة ، فناحت قريش على قتلاها شهراً ، ولم يبق دارٌ بمكة إلا فيها نوح ، وجز النساء شعر الرؤوس ، وكان يُؤتى براحلة الرجل منهم أو بفرسه فتوقف بين أظهرهم فينوحون حولها ، ووضعت النساء الستور على الطرق (إقامة المآتم) وقطعنها ليجعلنها مكاناً للنوح[٢].

ومن عادات عرب الجاهلية الاجتماع إلى أهل الميت وإعداد الطعام ونحر الجزور لضيوف التعزية[٣]. والمبيت عندهم ، وفي اليوم السابع يقوم أهل الميت بإعداد الطعام واجتماع الناس له ، يريدون به القربة للميت والترحم عليه[٤] ، ويقال للطعام الذي يقدم في المآتم الوضيمة[٥] ، أو النقيعة[٦].

ومن أقسى مظاهر الحزن الذي فرض على المرأة قبل الإسلام ، إذا توفي زوجها أن تعتد في بيت أهله لمدة سنة ، وفيها تلبس شر الثياب ولم تلمس طيباً ولا شيئاً[٧] ولا تغتسل ولا تمس ماءً ولا تقلم ظفراً ، ثم تدخل حفشاً . بيت صغير حقير قريب السمك . وبعد مرور عام من الحداد تخرج بأقبح منظر ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفضي به أي تكسر ما هي فيه من العدة بطائر تمسح بيدها عليه أو على ظهره ،

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٢١.

(٢) المصدر نفسه، ج١ ، ص١٢١.

(٣) ابن أبي شيبة ، المصنف، ج٣ ، ص١٧٥.

(٤) المناوي، فتح القدير شرح الجامع الصغير، ج١ ، ص٦٨٢.

(٥) النووي، شرح مسلم، ج٩، ص٢٠٧؛ البهوتي، كشف القناع، ج٥ ، ص١٨٤؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٤ ، ص١٨٣.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ج٣، ص١٢٩.

(٧) الجصاص، أحكام القرآن، ج١ ، ص٥٠٨؛ النووي، شرح مسلم، ج١٠ ، ص١١٤.

وقيل تمسح به ثم تفتض أي تغتسل به جلدها أو تمسح بيدها عليه أو على ظهره، وقيل تمسح به ثم تفتض أي تغتسل بالماء العذب للانقاء وإزالة الوسخ حتى تصير بيضاء نقية كالفضة[1]. ومن الطقوس الملازمة للعدة يعطى للمرأة بعرة فترمي بها وتقول قد حللت[2]، وإن رمي البعرة بعد الحول هو رمي بالعدة والخروج منها كانفصالها من هذه البعرة ورميها بها، وهو إشارة إلى أن الذي فعلت وصبرت عليه من الاعتداد سنة ولبست شر ثيابها ولزومها بيتاً صغيراً هين موازنة إلى حق الزوج وما يستحق من المراعاة كما يهون الرمي بالبعرة[3]. ويعلل فريزر حداد المرأة بسبب الخوف من شبح الموت ورغبة في تحاشي رقابته غير المستحبة للجماعة، ولكي يصرفوا نظره عنهم يقومون بعزل المرأة طيلة هذه المدة بعيداً عنهم، وبعد التأكد من انصرافه إلى عالمه يسمحون للمرأة بالانضمام إليهم مرة أخرى، وعادة ما يساعدها في طقوس التطهير هذه الأخ الأصغر للمتوفى لأنه المرشح للزواج منها[4].

وقد شذب أو نهى الإسلام عن كثير من مظاهر الحزن عند العرب قبل الإسلام، فقد جعل عدة المرأة أربعة أشهر وعشرة أيام، كما جاء في قوله تعالى "الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"[5]. ولم يلزم الإسلام المرأة العدة في بيت زوجها، وإنما لتعتد حيث شاءت ما جاء في تفسير قوله تعالى:"فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ"[6]. ووضحه الرسول الكريم محمد(ﷺ) في إجابته عن تساؤل(القريعة بنت مالك) التي قُتل زوجها "فأتت النبي(ﷺ) فقالت يارسول الله: إنه جاء نعي زوجي وأنا في دار شاسعة

---

(١) النووي، شرح مسلم، ج١٠، ص١١٥.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج٢، ص٦٩٤.

(٣) النووي، شرح مسلم، ج١٠، ص١١٥.

(٤) الفلكلور في العهد القديم، ج٢، ص١١٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٣٤.

(٦) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج٢، ص٦٩٧.

من دار أهلي ودار أخوتي.. فقال رسول الله(ﷺ): امكثي في بيتك الذي جاء فيه نعي زوجك حتى يبلغ الكتاب أجله"[1]. ونهى الإسلام عن حداد المرأة فوق ثلاث أيام إلا على زوجها فتكون المدة أربعة أشهر وعشر، كما في الحديث النبوي: "لَا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُحِدُّ على مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إلا على زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا"[2]. وفي رواية أخرى: "لا يحل لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث إلا على زوجها فإنها لا تكتحل ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب"[3]. وبذلك حدد للمرأة لباسها في الحداد وعدم زينتها، وفي السياق نفسه روي أن النبي(ﷺ)قال: "الْمُتَوَفَّى عنها زَوْجُهَا لاَ تَلْبَسُ الْمُعَصْفَرَةَ مِنَ الثِّيَابِ وَلاَ الْمُمَشَّقَةَ وَلاَ الحلي وَلاَ تَخْتَضِبُ وَلاَ تكحل"[4]. ورخص الرسول(ﷺ)للمرأة المعتدة المغتسلة من الحيض لإزالة الرائحة نوعين من البخور(القسط والأظفار)وليس المقصود الطيب[5]، كما جاء في حديث روته أم عطية(نسيبة بنت كعب الأنصارية)رخص الرسول(ﷺ) للمرأة في طهرها: "إذا اغْتَسَلَتْ إِحْدَانَا من مَحِيضِهَا في نُبْذَةٍ من قُسْطٍ وَأَظْفَارٍ"[6].

ومما نهى الإسلام عنه من مظاهر الحزن وعاداته قبل الإسلام هو (النعي الجاهلي)، بركوب الدابة ثم الصياح بين الناس في نعي فلان، وأجاز النعي الذي هو إعلام الناس بموت قريبهم، وان كان فيه إدخال الكرب والمصائب على أهله، لما يترتب على ذلك المعرفة لشهود جنازته وتهيئة أمره والصلاة عليه، والدعاء له

---

(١) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ج١، ص٦٥٤.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ج١، ص٤٣٠.

(٣) المصدر نفسه، وثوب عصب: برد يمانية يعصب غزلها ثم يصنع ثم تتسج، ينظر: النووي، شرح مسلم، ج١٠، ص١١٨.

(٤) احمد بن حنبل، مسند احمد، ج٦، ص٣٠٢.

(٥) النووي، شرح مسلم، ج١٠، ص١١٩.

(٦) مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص١١٢٨؛ ابو داؤد، سنن، ج٢، ص٢٩١.

والاستغفار وتنفيذ وصايا وما يترتب على ذلك من الأحكام[1]. وكذلك نهى عن الدعوة إلى الحفل للمفاخرة والنياحة عليه[2]. وأورد حذيفة رواية نهى بها رسول الله(ﷺ) عن النعي قال: "نهى رسول الله(ﷺ) عن النعي"[3]. وعن ابن مسعود "قال رسول الله(ﷺ) لا أحب الصياح بموت الرجل على أبواب المساجد"[4]. ونخلص مما تقدم إن الإسلام أجاز الإعلام بالميت ونهى عن نعي الجاهلية[5].

ونهى الإسلام عن ندب الميت وهي ذكر الميت بأحسن أوصافه وأفعاله[6] ، في حديث للرسول(ﷺ) قال: "كل نادبة كاذبة إلا نادبة حمزة"[7]. ونهى الرسول(ﷺ) عن مزابي القبور ، وهي ما يندب به الميت ويناح به عليه[8]. وكذلك النواح على الميت ما جاء في وصيته في بيعة النساء ، فيروى عن أم عطية قالت: "بايعنا رسول الله(ﷺ) فقرأ علينا أن لا تشركن بالله شيئاً ونهانا عن النوح ، فقبضت امرأة منا يدها فقالت يا رسول الله إن فلانة أسعدتني - إذا قامت في نياحة معها - وأنا أريد أن اجزيها ، فلم يقل لها شيئاً فذهبت ثم رجعت فبايعته"[9]. ويتضح أنها طوت صفحة العادات الجاهلية ومن ثم رجعت وبايعت الرسول على ما أوصاهن به. ونهى الرسول(ﷺ) عن لطم الخدود وشق الجيوب كما ورد في الحديث النبوي: "قال(ﷺ) ليس مِنّا من ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ"[10] ، وكذلك عن

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٣، ص٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٩٣.

(٣) احمد بن حنبل، مسند احمد، ج٥، ص٣٨٥.

(٤) البيهقي، السنن الكبرى، ج٤، ص٧٤.

(٥) النووي، شرح مسلم، ج٧، ص٢١.

(٦) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٥، ص٣٤.

(٧) ابن الأثير، المصدر نفسه؛ السيوطي، الجامع الصغير، ج٢، ص٢٨٧.

(٨) الزمخشري، الفايق في غريب الحديث، ج٢، ص٧٥؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٢٩٥.

(٩) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٥، ص٥٩.

(١٠) البخاري، صحيح، ج١، ص٤٣٦؛ البيهقي، السنن، ج٤، ص٦٤.

حلق الشعر عند المصيبة والبكاء والعويل بصوت عال، وذلك ما رواه أبو موسى الأشعري: "إنَّ رَسُولَ اللَّه(ﷺ) بَرِئَ من الصَّالقَة وَالْحَالقَة وَالشَّاقَّة[1].

وأوصى الإسلام بالصبر عند المصيبة كما في قوله تعالى: "الَّذينَ إذَا أَصَابَتْهُم مُصيبَةٌ قَالُواْ إنَّا للّه وَإنَّا إلَيْه رَاجعونَ، أُولَـئكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ"[2]. واكتفى الرسول(ﷺ) عند موت ابنه إبراهيم، بان ذرفت عيناه الدموع، فقال له عبد الرحمن بن عَوْف وَأَنْتَ يا رَسُولَ اللَّه فقال: يا ابن عَوْف إنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فقال: إنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ولا نَقُولُ إلا ما يَرْضَى رَبُّنَا وَإنَّا بفرَاقكَ يا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ[3].

غسل الميت وتكفينه:

عرف العرب قبل الإسلام تغسيل الميت، وجاءت أقدم إشارة لغسل الميت وتكفينه ودفنه عند الشاعر الأفوه الأودي بقوله:

وجاؤوا بماءٍ باردٍ وبغسلةٍ ... فيالكَ من غُسْلٍ سَيتبعُه عِبَرْ

فرمّوا له أثوابَهُ وتفجّعُوا ... ورنّ مُرنّاتٌ، وثار به النُّفَرْ

الى حُفْرةٍ ياوى إليها بسَعْيهِ ... فذلك بيتُ الحَقِّ لا الصوفُ والشَّعرْ[4]

وأورد الطبري رواية توضح إن غسل الميت بالماء والسدر ودفنه موروث قديم منذ عهد النبي آدم(عليه السلام) جاء فيه: "لما حضر آدم الوفاة بعث الله إليه بحنوط وكفنه من الجنة... ولما قبض غسلوه الملائكة بالسدر والماء وقرا وكفنوه في وتر من الثياب ثم لحدوا له فدفنوه ثم قالوا هذه سُنة آدم من بعده"[5]. ومهما يكن من أمر هذه الرواية

---

(١) البخاري، صحيح، ج١، ص٤٣٦؛ مسلم، صحيح، ج١، ص١٠٠.

(٢) سورة البقرة، الآية، ١٥٦ والآية، ١٥٧.

(٣) البخاري، صحيح البخاري ج١، ص٤٣٩؛ وينظر: مسلم، صحيح، ج٤، ص١٨٠٧.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٠.

(٥) تاريخ الطبري، ج١، ص١٠٩.

إلا أنها تعطي انطباعاً عن معرفة العرب بغسل الميت وتكفينه. وما يرجح ذلك ما ذكره(اليعقوبي) بأن قريش أول من غسل الموتى بالماء والسدر[١]. بينما يرى الشهرستاني إن عادة غسل الميت، أخذها عرب قبل الإسلام من أهل الكتاب[٢]. أما الكيفية التي يغسل بها الميت بالسدر، فيعهد إلى السدر ويضرب باليد حتى ترتفع رغوته ويعزل الرغوة فيجعل في محارة(موضع يجتمع فيه الماء) أو(صدفة). ثم يغسل رأس الميت بالرغوة[٣]. ويستعاض احياناً عن السدر فيغسل الميت بالماء والخطمي (نبات)، وبالطيب[٤]. ويسمى الموضع الذي يتم فيه غسل الموتى(المغتسل)[٥].

وبعد إكمال غسل الميت يطيبونه، ويسمى ذلك بالحنوط، والحنوط خاص بالميت مشتق من الطيب، له لون ابيض يضرب إلى الصفرة، وله رائحة طيبة[٦]. والحنوط أنواع منه الكافور، والمسك، والعنبر، وقصب الهندي أو صندل مدقوق[٧]. وكان الكافور أحب الحنوط، أما الأماكن التي يوضع منه في جسم الميت فهي المرافقة، وفي البطن، ومرجع رجليه، ومآبضه (باطن الركبة)، وفي رفغيه[٨] وفي عينيه وانفه وأذنيه، ويوضع الكافور يابساً[٩]. ولم يقتصر وضع الحنوط على أجسام الموتى وإنما كان يخلط مع الطيب لأكفانهم[١٠]. ويبدو أن وضع الحنوط على جسم الميت عادة قديمة عند العرب، كما جاء في الحديث: "إن ثمود لما استيقنوا بالعذاب تكفنوا

---

(١) ديوان الأفوه الأودي، ص ٧٠ – ص ٧١ ؛ وينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢.

(٢) الملل والنحل، ج١، ص٢٠٩.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١، ص٤٤٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٦٢.

(٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص٢٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٨، ص٤٤.

(٥) المصدر نفسه، الزبيدي، المصدر نفسه.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٢٧٨.

(٧) ابن الأثير، النهاية، ج١، ص٤٤٣.

(٨) رفغية: الافاغ: وهي اصل المغابن كالآباط والحوالب، وغيرها من مطاوي الأعضاء وما يجتمع فيه من الوسخ والعرق، ينظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤٤.

(٩) الصنعاني، المصنف، ج٣، ص٤١٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٢٧٨.

(١٠) ابن الأثير، النهاية، ج١، ص٤٣٣؛ ابن منظور، المصدر نفسه، ج٧، ص٢٧٩.

بالأنطاع وتحنطوا بالصبر لئلا يحيفوا أو ينتنوا"[1]. وارتبط الحنوط بالموت حتى قيل: "وقد حسر عن فخذيه وهو يتحنط" أي يستعمل الحنوط في ثيابه عند خروجه إلى القتال[2]. واقترن الحنوط باسم امرأة عطارة كانت تبيعه فسمي على اسمها (عطر منشم) ، وقد وردت(منشم) في أكثر من رواية منها إنها امرأة عطارة في همدان ، وابن الكلبي يذكرها من حِمير ، والجوهري ذكرها عطارة في مكة ، والأصمعي ذكرها دون أن يشير إلى نسبها ، والشيباني من خزاعة ، وتختلف الروايات في ذكر قصة منشم ، إلا أنها تجمع على انها تبيع الحنوط وسمي باسمها وارتبط بالقتال والموت[3] ، حتى قيل أشأم من عطر منشم[4].

أما عن تكفين الميت ، فالكفن: لباس الميت من قول الشاعر امرئ القيس على حرج كالقر أكفاني ، أراد بأكفانه ثيابه التي تواريه[5] ، وسمي الكفن بالجنن لستره الميت ، وأجنه كفنه ، من قول الشاعر:

ما إن ابالي، إذا ما مت، ما فعلوا ااحسنوا جنني أم لم يجنوني[6]

وكفن العرب موتاهم[7] ، فيُذكر إن عبد المطلب [جد الرسول(ﷺ)] عندما مات ، مات ، قامت قريش بغسله وتكفينه ، إذ لف في حلتين من حلل اليمن قيمتها ألف مثقال ذهب ، وطرح عليه المسك حتى ستره ، وحمل على أيدي الرجال عدة أيام إعظاماً وإكراما وإكبارا لتغيبه في التراب[8].

---

(١) ابن الأثير، النهاية ، ج١ ، ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١ ، ص٤٣٢؛ ابن منظور، المصدر نفسه.

(٣) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٢ ، ص٥٧٧؛ الزبيدي تاج العروس، ج٩، ص٧٦.

(٤) الميداني، مجمع الأمثال، ج١ ، ص٩٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ج١ ، ص١٨٨.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٥٨.

(٦) المصدر نفسه، ج١٣ ، ص٩٢.

(٧) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٠.

(٨) اليعقوبي، تاريخ، ج٢ ، ص١٣.

ويبدو أن تكفين الميت عادة قديمة ، فعندما مات الإسكندر اجتمع أصحابه فكفنوه وحنطوه وصيروه في تابوت من ذهب[1]. كما وقد شاع عند أهل الكتاب تكفين موتاهم إذ اعتادوا على "لف الجثة بأكفان من كتان ، وربط الرأس بمنديل"[2].

وكان يكفن الرجل في ثلاثة أثواب القميص والأزر واللفافة[3]. وفي رواية أخرى في ثوبين[4] ، أما المرأة تكفن في درع ولجاد ولفافة وأزر وخرقة توضع الخرقة على بطنها وتعصب بها فخذيها[5].أو ربما اكتفوا بلف الميت في أكفانه ، بلف ساقيه[6].

وحين توفي الرسول(ﷺ) كفن في ثلاثة أثواب في قميصه الذي مات فيه وحلة نجرانية(الحلة ثوبان)[7]. وقيل في ثلاثة أثواب سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة[8]. وكانت من كُرْسُف(قطن) [9]. وقد روعي في الإسلام تحسين كفن الميت ، إذ أوصى الرسول(ﷺ): "إذا كَفَّنَ أحدكم أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ"[10].

وعرف العرب قبل الإسلام الصلاة على الميت ، وكانت صلاتهم أن يحمل الميت على سرير ثم يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن[11]. وفي الإسلام نهى عن ذكر مفاخر الميت وغيرها[12]. وكانت الصلاة على

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص ١٤٤.

(٢) الكتاب المقدس، يوحنا، ٢٠/ ٧.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف، ج٣، ص١٤٧.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣٢٠؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص٢٤٨.

(٧) احمد بن حنبل، مسند احمد، ج١، ص٢٢٢.

(٨) المصدر نفسه، ج٦، ص١٦٥.

(٩) البخاري، صحيح البخاري ج١، ص٤٢٥.

(١٠) احمد بن حنبل، مسند احمد، ج٣، ص٢٩٥؛مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص٦٥١.

(١١) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٠؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٢٤٥.

(١٢) النووي، شرح مسلم، ج٧، ص٢١.

الميت دعاء له بالمغفرة والرحمة[1] كما جاء في حديث لرسول الله(ﷺ) قال: "إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء"[2]. وعندما مات النجاشي قال رسول الله(ﷺ) الله(ﷺ) صلوا على أخ لكم مات بغير بلادكم فجعل الرسول(ﷺ) من حضر الصلاة ثلاث صفوف ، وصلى بهم[3].

حمل الميت إلى القبر:

يُحمل الميت عادة إلى القبر أما على النعش أو السرير أو يوضع في تابوت (بدون غطاء) ويُحمل على أعناق الأباعد والأقارب[4] ، وقد وردت مفردة النعش في أشعار العرب ، ما نقرأه في شعر أبي حكيم المري في رثاء ابنه حكيم يقول:

وَكُنْتُ أُرَجّىَ مِن حكيمٍ قِيامَهُ　　　علَى إذا مَا النَّعش زَال ارتَدانيا[5]

والنعش شبيه بالمحفة[6] ، كان يحمل عليه الملك إذا مرض ثم كثر حتى سمي الذي يحمل عليه الميت نعشاً[7]. ومن أسماء النعش: أعواد المنايا[8] ، وسمي (آلة حدباء) كما جاء في شعر كعب بن زهير بقوله:

كل ابن انثى وإن طالت سلامته　　　يوماً على آلة حدباء محمول[9]

ومن أسماء النعش(الحرج) ، يصنع من خشب يشد بعضه إلى بعض يحمل فيه

---

(١) البيهقي، السنن الكبرى، ج٤، ص٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٤ ، ص٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٤ ، ص٥٠.

(٤) التبريزي، ديوان الحماسة شرح التبريزي، ج١ ، ص٣٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١ ، ص٤٣٤.

(٦) المحفة: مركب من مراكب النساء كالهودج، ينظر: العظيم آبادي: عون المعبود ، ج٨، ص٣٣٧.

(٧) التبريزي، ديوان الحماسة شرح التبريزي، ج١ ، ص٤٣٤.

(٨) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة، ج٨، ص٢٧٠.

(٩) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ، ج٤ ، ص٣٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٤٣٦. آلة: الحالة ، الحدباء: الصعبة.

الموتى[1]. ويبدو أن هناك تداخلاً في التسمية ما بين النعش والسرير والتابوت والإرن، إلا أن هناك ما يفرقها. فالنعش سرير الميت، سمي بذلك لارتفاعه، فإذا لم يكن عليه ميت فهو سرير[2]. وعند العامة يكون النعش للمرأة والسرير للرجل[3]. وهناك من يرى أن السرير التابوت الذي يحمل عليه الميت[4]، ويكون لا غطاء له، وله جانبان هي المضادتان وأربعة أعمدة هي أرجل السرير يرتكز إليها إذا وضع على الأرض[5]. وتترادف كلمة(شرجع) مع السرير الذي يحمل عليه الميت، أو الجنازة، أو النعش كما جاء في شعر عبلة بن الطيب:

ولقد علمت بأن قصري حفرة غبراء، يحملني اليها شرجع[6]

أما(الإران) فيرى ابن سيدة إنها سرير الميت[7]. بينما وصفه أبو عبيدة إنه خشب يشد بعضه إلى بعض تحمل فيه الموتى[8]. وذكره التبريزي إنه تابوت خشب واستشهد بقول طرفة بن العبد

امون كألواح الإرَانِ نَسَأتُها على لاحبٍ، كأنَّهُ ظهرُ بُرْجدِ[9]

وكان النصارى يحملون فيه موتاهم من السادة والكبراء دون غيرهم[10]، وربما شاع استعماله للعامة من الموتى النصارى[11].

---

(١) الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٧٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٢٢.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف، ص١٤٨.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) المصدر نفسه، ص١٥٨.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص١٧٩.

(٧) الفراهيدي، العين، ج٨، ص٢٧٨؛ ابن منظور، المصدر نفسه، ج٣، ص١٤.

(٨) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٨، ص١٧٩.

(٩) التبريزي، شرح القصائد العشر، ص٥٣؛ وينظر ديوان طرفة بن العبد، ص٢٢.

(١٠) التبريزي، المصدر نفسه.

(١١) شيخو، النصرانية وآدابها، ص٢٢٦.

أما التابوت الذي عبارة عن صندوق من خشب[١] ، وله غطاء يطابقه ، فلم يذكر استعماله للموتى إلا للنبي يوسف(عليه السلام) الذي حنطوه ووضعوه في تابوت خشب جرياً على عادة المصريين[٢]. واختلف في تسمية التابوت، فقال القريشيون: التابوت، وقال آخرون التابوه[٣]. وهناك ما يشبه التابوت يسمى(الإبزن) والتسمية فارسية معربة (آبزن)[٤].

أما الجَنازة(بالفتح) فقد أطلقت على اسم الميت على السرير، وإذا لم يكن ميت عليه فهو سرير[٥]. وإذا مات الإنسان تقول العرب: رمى في جنازته[٦]. وذكر (ابن الأثير) إن رجلاً كان له امرأتان فرميت أحداهما في جنازتها أي ماتت، لأن الجنازة تصير مرمياً فيها، والمراد بالرمي، الحمل والوضع[٧]. أما لفظة الجِنازة (بالكسر) فهي خشبة الشرجع[٨] ، أو قيل السرير من دون الميت[٩] ، وذكر ابن سيدة إن لفظة الجنازة نبطية[١٠]. والأرجح أن لفظة الجنازة عربية مأخوذة من جنز الشيء جنزاً، أي ستره[١١]. ولم يعرف أهل البوادي الجنائز، وكانوا يحملون موتاهم إلى القبور على الأعواد بعد أن يشدون عوداً إلى عود[١٢].

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، ج٦، ص١٤.

(٢) مجمع الكنائس الشرقية، قاموس الكتاب المقدس، ص٧١١- ص٧١٢.

(٣) الترمذي، سنن، ج٤، ص٣٨٤؛ البيهقي، السنن، ج١، ٢٢٣.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج٩، ص١٣٩.

(٥) الجوهري، الصحاح، ج٣، ص٧٨٠.

(٦) الفراهيدي، العين، ج٦، ص٧٠.

(٧) النهاية في غريب الحديث، ج١، ص٢٩٥.

(٨) الفراهيدي، العين، ج٦، ص٧٠.

(٩) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١، ٢٩٥.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٢٤.

(١١) ابن منظور، المصدر نفسه؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٤، ١٨.

(١٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٢٠.

وأخذ العرب عن أهل الكتاب إتباع الجنائز بالجمر[1] ، والجمر: وعاء صغير يوضع فيه جمر الفحم المشتعل ويرش فوقه البخور ليحترق ويتصاعد دخانه وريحه[2] ، ونهى الإسلام عن إتباع الجنائز بالمجامر وما يشبهها ، لأن ذلك من فعل الجاهلية[3] ، وروي إن الرسول(ﷺ) كان في جنازة فرأى امرأة معها مجمر ، فقال: اطردوها فما زال قائماً حتى قالوا: يارسول الله قد توارت في آجام المدينة[4]. وما يؤكد أنها عادة مأخوذة عن أهل الكتاب ما روي أن سعيد بن جبير رأى في جنازة مجمر ، فقال سمعت ابن عباس يقول: لا تتشبهوا بأهل الكتاب[5]. وتأثر العرب بأهل الكتاب بتزيين النعش بقطيفة حمراء[6]. وقد نهى الرسول(ﷺ) عن وضع الخمر الملونة على النعش ، ونظر(ﷺ) إلى نعش ربطت عليه خمر بين أحمر وأخضر وأصفر زين بها ، فأمر(ﷺ) بها فنزعت[7].

وفي صدر الإسلام طورت فكرة النعش بوضع غطاء من جريد النخل على السرير لستر المرأة. والتي أدخلت هذه الفكرة أسماء بنت عُميس من مشاهداتها في الحبشة إبان الهجرة إليها. وذلك حين مرضت السيدة فاطمة(عليها السلام) مرضاً شديداً ، فقالت لأسماء بنت عميس ألا ترين إلى ما بلغت احمل على السرير ظاهراً ، إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء انه يطرح على المرأة الثوب فيصفها ، فقالت أسماء يا بنت رسول الله ، ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فَحَنَتها ثم طرحت عليها ثوباً ، فقالت السيدة فاطمة(عليها السلام): ما أحسن

---

(١) ابن أبي شيبة ، المصنف، ج٣، ص١٥٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص١٥٧.

(٣) الشوكاني، نيل الاوطار ، ج٤ ، ص١٨٨.

(٤) ابن أبي شيبة ، المصنف، ج٣، ص١٥٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص١٥٧.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المغربي، دعائم الإسلام، ج١ ، ص٢٣٣.

هذا وأجمله يعرف به الرجال من النساء[1]. وبذلك أصبح السرير للرجال، والنعش للنساء. وفي رواية أخرى أن الذي عملته لفاطمة هي(أم سلمة)[2]. أو (زينب بنت جحش)[3]. ويخرج (المقدسي) عما تقدم ويرى أن أول من حملت على نعش في الإسلام هي زينب بنت جحش زوجة النبي(ﷺ)، وكانت امرأة جسيمة، وهي أول من لحق من أزواجه بعد[4]. والأقرب للصواب أن أول نعش في الإسلام كان للسيدة فاطمة(عليها السلام) على وفق أوثق الروايات[5].

ويطالعنا الجاحظ برأي يستبعد به وجود النعش قبل الإسلام، ويرى إنه من الأشياء التي جاءت من الحبشة، وهو أستر للنساء، وأصون للحرم[6]. بيد أنه يمكن أن نرجح ما ذهب إليه(د. خالد العسلي)، إن حمل جثة الميت على سرير أو نعش بالاصطلاح اللغوي كان معروفاً قبل الإسلام، وإن الفكرة التي جاءت بها أسماء بنت عُميس ما هي إلا عمل غطاء من جريد النخل يغطي بها جثمان الميت[7].

---

(١) البيهقي، السنن الكبرى، ج٤، ص٣٤؛ وينظر الرواية مع بعض الاختلاف عند: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١١٥؛ المغربي، دعائم الإسلام، ج١، ص٢٣٢ـ ٢٣٣؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣، ص١٦٢.

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣، ص١٦٢.

(٣) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص١٩٣.

(٤) البدء والتاريخ، ج٥، ص١٢.

(٥) ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٢٨؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١١٥؛ المغربي، دعائم الإسلام، ج١، ص٢٣٢ـ ص٢٣٣؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣، ص١٦٢؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج٤، ص٣٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١٣٢.

(٦) رسائل الجاحظ، ج١، ص٢٠٣.

(٧) استعمال النعش قبل الإسلام، بحث ضمن كتابه دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام والعهود الإسلامية المبكرة، ج١، ص٢٠٨.

القبر:

وهي الحفرة التي تُعمل لدفن الميت ، ومنها المقبرة والمقابر ، وأن قبر الميت دفنه ، قال ابن السكيت: أقبرته ، أي صيرت له قبراً يدفن فيه[1]. كما جاء في قوله تعالى: "ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ"[2]. والمقبرة: موضع القبر ، مثل قول الشاعر عبد الله بن تغلبة الحنفي:

لكل أناسٍ مَقبر بفنائهم　　　منهُمْ يَنقُصُونَ والقُبُورُ تَزِيدُ[3]

وترد أكثر من مفردة للقبر منها ، الجنن ، وذلك لستره الميت[4] ، والاصواء: شبهت القبور بالصوى وهي منار الطريق[5]. والجدث: كما جاء في قوله تعالى: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ "[6] ، والأجداث: جمع جدث ، وأهل نجد يقولون حدف[7]. ومن مترادفات القبر: المنهال[8] ، الكدي[9] ، الكرا[10] ، الريم[11] ، الارماس[12].

وثمة تعابير ارتبطت بالقبر منها الضريح ، واللحد ، والظليم ، فالضريح هو قبر بلا لحد ، إذ يحفر للميت الضريح ، أي الشق في وسط القبر ، وعن الضريح ، قال الأزهري: سمي ضريحاً لأنه يشق في الأرض شقاً ، وقيل الضريح القبر كله ، وقيل هو

---

(١) الجوهري، الصحاح، ج٢ ، ص٢٨٥.

(٢) سورة عبس، الآية، ٢١.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب، ج٥ ، ص٦٨؛ وينظر: التبريزي، ديوان الحماسة، ج١ ، ص٣٦٨.

(٤) الفراهيدي، العين، ج٦ ، ص٢٢؛ ابن منظور ، لسان العرب، ج١٣ ، ص٩٢.

(٥) الزمخشري، الفايق، ج٣، ص٤٠١.

(٦) سورة عبس، الآية، ٥١.

(٧) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص١٩ ، ص٢٠؛ العيني، عمدة القارئ، ص١٨٦.

(٨) ابن منظور ، لسان العرب، ج١١ ، ص٦٨٢.

(٩) ابن الأثير، النهاية، ج٤ ، ص١٥٦؛ ابن حجر، فتح الباري، ج٣، ص١١٦.

(١٠) ابن سلام، النهاية في غريب الأثر، ج٤ ، ص١٦٩.

(١١) ابن السكيت، أصلاح المنطق، ج١ ، ص٢٠٩.

(١٢) الطبري، جامع البيان، ج١ ، ص٢٤٧.

قبر بلا لحد[1]. أما اللحد فهو الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت لأنه قد أميل عن وسطه إلى جانبه، وقيل الذي يحفر في عرضه[2]. أما الظليم: فهو تراب لحد القبر، وجاءت التسمية من الأرض المظلومة التي لم تحفر قط ثم حفرت، وذلك التراب الظليم[3]. وجاءت لفظة الظليم بالصورة التي عبر عنها الشاعر في رد التراب على حفرة القبر بعد دفن الميت بقوله:

فاصبح في غبراء بعدَ إشاحةٍ ... على العيشِ مردود عليها ظليمها[4]

وقد كان أصحاب الكتاب وأهل مكة يدفنون موتاهم في الشق (القبر بلا لحد)[5]. وذلك ما ذُكر إن رسول الله(ﷺ) لما مات، اختلفوا في اللحد والشق، حتى تكلموا في ذلك، وارتفعت أصواتهم، فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد جميعاً، فجاء اللاحد، فلحد رسول الله(ﷺ) ثم دفن[6]. ومرجع الاختلاف في الدفن بين الشق واللحد، لأن المهاجرين كانوا يشقون كما يحفر أهل مكة، بينما الأنصار: يلحدون كما يحفر في المدينة[7].

وهناك عادات ارتبطت بالقبور، منها زيارة القبور والبكاء عندها، وقد جاء هذا المعنى في قول متمم بن نويرة في رثائه لأخيه مالك بن نويرة:

لقد لامَني عِندَ القُبُورِ على البُكا ... رَفيقي لِتِذرافِ الدُموعِ السَّوَافِكِ[8]

وكانت من عادات النساء عند موت قريب لهن يقمن بحلق شعرهُنَّ ووضعه فوق قبره، فعندما مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٧٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٢، ص٤٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٧٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٧٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٨، ص٢٨٥.

(٥) ينظر: العيني، عمدة القارئ، ج٨، ص١٥٩.

(٦) ابن ماجة، سنن، ج٢، ص٤٩٧.

(٧) العيني، عمدة القارئ، ج٨، ص١٥٩.

(٨) التبريزي، ديوان الحماسة شرح التبريزي، ج١، ص٢٣٠.

قبره ، يعني حلقت رأسها ووضعت شعرها على قبره[1] ، ويبدو إن ذلك استمراراً لما كان يفعلنه قبل الإسلام. ومن عاداتهم أيضا ، ضرب الخيام على القبور في الأعياد ومواسم زيارات القبور ، وتصبح المأتم بينهم ولائم[2]. ويفسر(د. جواد علي) ذلك (لاعتقادهم بإحساس روح الميت بوجودهم هناك وبمجيئهم إلى القبر لمؤانستهم هو الذي حملهم ولا شك على ضرب هذه القباب)[3].

ومن عادات العرب قبل الإسلام نحر الإبل عند قبر الميت ففي رواية أوردها الشرقي بن قطامي "لما مات عمرو بن حُممة الدّوسي ، وكان احد من تحاكم إليه العرب ، مر بقبره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام فعقروا رواحلهم على قبره"[4]. وإن شعيرة ذبح الإبل عند القبر وبخاصة قبور سادة القبائل وفرسانها باتت من من التقاليد التي يصعب تخطيها عند المرور من قبورهم ، فالشاعر عمرو بن شقيق يمر بناقته من قبر ربيعة بن مكدم وتفزع الناقة من قبره بسبب الحجارة السوداء التي بنيت عليه ، ويعتذر الشاعر من ذبح ناقته لبعد المسافة والحاجة إليها في سفره ، وهذا ما صوره في شعره قائلاً:

نَفَرَت قَلوصي مِن حِجارةٍ حَرَّةٍ — بُنِيَتْ على طَلْقِ اليدَيْن وَهُوبِ

لا تنفري يا ناقُ مِنهُ فإنَّهُ — شَرِّيبُ خمرٍ مِسْعر لحرُوبِ

لوْلا السفارُ وبُعْدُ خَرقٍ مَهْمَةٍ — لَتَرَكتَها تحبو على العرقوبِ[5]

ومن عاداتهم في الذبح عند القبور ، إنهم كانوا ينضحون جوانب القبر بالدم ، كما فعل النعمان بن المنذر عندما ذبح على كل قبر من قبري نديميه (عمرو بن

---

(١) الأصفهاني، الاغاني، ج١٦، ص٢٠٨.

(٢) ابن الأثير، المثل السائر، ج٢، ص١٤٣.

(٣) المفصل، ج٥، ص١٧٢.

(٤) القالي، الامالي، ج٢، ص١٤٣.

(٥) الثقفي، الغارات، ج٢، ص٤٢٧؛ التبريزي، ديوان الحماسة، ج١، ص٢٧٥- ص٢٧٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٤٢.

مسعود وخالد بن فضلة الاسديان) خمسين فرساً وخمسين بعيراً وغراها بدمائهما[1]. وسمي قبرا مالك وعقيل نديمي جذيمة ابن الأبرش في الحيرة بـ(الغريين) ، لأن النعمان بن المنذر يغريهما بدماء من يقتله في يوم بؤسه[2] ، وربما مرجع هذه الشعيرة إلى الغري النصب الذي دمي من ذبح القرابين عليه[3] ، وقدسية الدم عند العرب ، عندما كانوا يذبحون العتيرة(الذبائح من الشاة) ويصب دمها على رأس الصنم أو جنبه ليعلم أنه ذبح لذلك ويتقبل عتيرتهم[4] ، ويعطي(البغدادي) في(خزانة الأدب)[5] جملة أسباب لشعيرة نحر الإبل عند القبور ، منها مكافأة للميت على ما كان يُعقر من الإبل في حياته وينحر للاضياف ، أو ما يعتقد أنما يفعلون ذلك إعظاماً للميت في حياته وما ينحره للاضياف ، أو ما يعتقد أنما يفعلون ذلك إعظاماً للميت كما كانوا يذبحون للأصنام ، وقيل إنما كانوا يفعلونه لأن الإبل تأكل عظام الموتى إذا بليت فكأنهم يثأرون لهم فيها ، أو ربما أن الإبل أنفس أموالهم فكانوا يريدون بذلك أنها قد هانت عليهم لعظمة المصيبة.

وهناك عادة أخرى ارتبطت بنحر الإبل عند القبر ، إلا إن هذه المرّة بعقرها عند القبر ، وأصل العقر: ضرب قوائم البعير والشاة بالسيف ، وهناك أكثر من سبب منها من يقول: إن صاحب القبر كان يعقر للاضياف أيام حياته فنكافئه بمثل صنعته بعد وفاته فنعقر الإبل عند قبره فتأكلها السباع والطير فتكون مطعماً بعد مماته[6]. أو ما كانوا يفعلونه من عقر راحلة الرجل الكريم إذا مات ، فيعمدون إلى راحلته التي يركبها فيوقفونها على قبره معكوسة رأسها إلى يديها ، ملفوفة الرأس في وليتها[7] ، فلا

---

(١) ابن حبيب، أسماء المغتالين، ص٥٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ١٢٢؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٢٦٤.

(٣) المصدر نفسه،ج٦، ١٠٣.

(٤) الفراهيدي، العين، ج٢، ص٦٦؛ ابن منظور، المصدر نفسه،ج٤، ٣٧.

(٥) ج١٠، ص٧.

(٦) العظيم آبادي، عون المعبود، ج٩، ص٣٠.

(٧) ولية: البرذع: كانوا يقورون البرذعة ويدخلونها في عنق تلك الناقة، ينظر: ابن قتيبة، تأويل=

فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت ليركبها إذا خرج من قبره ، وكانوا يقولون: إن لم يفعل هذا ، حشر يوم القيامة على رجليه ، وتسمى تلك الناقة (البلية)[(١)]. وربما بعد موتها تحرق[(٢)] ، أو تسلخ ويملئ جلدها ثماماً[(٣)]. ويزعمون إن من مات ولم يبل عليه حشر ماشياً ، ومن كانت له بلية حشر راكباً على بليته. ويجسد الشاعر جريبة بن الاشيم الفقعسي هذه العادة بعد أن يوصي ابنه قائلاً:

لا تتركنَّ اباكَ يعثرُ راجلاً — في الحشر يُصرعُ لليدين وينكب

واحملْ اباكَ على بعيرٍ صالحٍ — وتقِ الخطيئةِ أن هو أصوب

ولعل لي مما جمعت مطية — في الحَشر اركبها إذا قيل اركبوا[(٤)]

ولعل من المفيد أن نذكر مناقشة ابن أبي الحديد للاعتقاد بعقر الناقة عند قبر الميت ليحشر عليها يوم البعث ، إذ يرى انه ليس في هذه الأبيات دلالة على هذا المعنى ، وإنما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته ، أما لكي لا يركبها غيره بعده ، أو على هيئة القربان كالهدي المعقور بمكة ، أو كما كانوا يعقرون عند القبور ، فضلا عن أن الشاعر أراد أن يوصي بأن لا تركبوا راحلتي بعدي ، وعقلوها بحيث لا يشاهدها أعدائي وأصدقائي ذاهبة جائية تحت راكبها ، فيشمت العدو ويساء الصديق[(٥)].

وعلى الرغم من أن البلية اعتقاد مشهور عند العرب قبل الإسلام ، وهناك من قرنه بفكرة البعث والحشر بالأجساد ، فالراجح على ما نعتقده ما ذهب إليه ابن أبي

=مختلف الحديث ، ص١٠٥؛ أو هي الخيط التي تشد به الناقة ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤٥.

(١) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٢٣؛ الشهرستاني ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٤٤.

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٩ ، ص٣٨٨.

(٣) ابن أبي الحديد ، المصدر نفسه ، والثمام: نبت ضعيف أو شبيه بالخوص ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٨١.

(٤) ابن أبي الحديد ، المصدر نفسه ، ويقارن مع ما جاء عند ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٢٣. ص٣٢٤.

(٥) شرح نهج البلاغة ، ج١٩ ، ص٣٨٨. ص٣٨٨.

الحديد على أن فكرة البلية لا تتعدى شعائر الذبح على قبور سادة القبائل المستمدة من فكرة النحر عند الأصنام ، يضاف إلى ذلك نرى ان الاعتقاد بفكرة البعث والحشر لم تكن واسعة الانتشار عند العرب بدليل الحوار الذي دار بين الرسول محمد(ﷺ) والمشركين كما جاء في قوله تعالى: "قَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ"[1]. "قَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً"[2]. وما يؤكد عدم انتشار فكرة الحشر ويوم الحساب ما أورده الشهرستاني من أسماء قليلة ممن كان يعتقد بذلك[3]. وهذا ما يحمل على استبعاد ربط فكرة البلية بالحشر.

وكان من عادات العرب في دعائهم للموتى الدعاء بسقيا القبر ، والسقيا تعني المطر الغزير الذي يروي الأرض اليابسة فيخضر الكلأ ويديم الحياة ، وهو يمثل آخر الدعوات بالخير والبركة والغيث لقبر هذا المرثي العزيز[4]. وهو دعاء للميت بأن تسقى الآلهة قبره بالغوادي(السحاب) ، وفسروه بأنهم قوم يعانون من الجفاف ، لذلك يؤكدون على أن المطر يسقي تربة الميت فهو أقدس له[5] ، ولعل هذا الاعتقاد يتضح في شعر قيس بن الخطيم في رثاء(ربيعة بن مكدم) بقوله:

فسقى الغوادي رَمْسَكَ ابنُ مكدَّمٍ ... من صَوبِ كل مُجلجل وكافرِ[6]

أو دعاء الخنساء إلى أخيها صخر بسقيا قبره بقولها:

سقيا لقبرك من قبر ولا برحت ... جود الرواعد تسقيه وتحتلب[7]

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٢٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٤٩؛ وينظر التغابن / الآية ٧، المؤمنون/ الآية ٣٥، الآية ٣٦ ؛ الرعد/ الآية٥؛ الدخان/ الآية ٣٤.

(٣) ينظر: الملل والنحل، ج٢، الصفحات، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥.

(٤) بشرى محمد الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، ص٤١.

(٥) د. عادل البياتي، كتاب أيام العرب،ق١، ص١٤٨.

(٦) ديوان قيس بن الخطيم، ص٢٣٧.

(٧) ديوان الخنساء، ص١٥.

وتذهب الخنساء ابعد في شعرها عندما تربط السقيا ببركات الإله ، وتضفي طابع العظمة على ضريح أخيها صخر بقولها:

سقى الإلهُ ضريحاً جُنَّ أعظمُه ... وروحَه بغزير المُزن هطّال[1]

وبالغ العرب في اعتقادهم بسقيا القبر ، فزعموا أن الكهنة إذا ماتوا رأوا على قبورهم طشاً(مطر خفيفا) ، وذلك ما قيل عن قبر الكاهن(الرباب بن البراء)[2]. كما امتد دعاء سقيا القبر ليشمل سقي أراضي شاسعة مجدبة محيطة بقبر الميت ، وذلك ما نتأمله في رثاء متمم بن نويرة لأخيه مالك يقول:

سقى الله أرضاً حلها قبر مالك ... ذهاب الغوادي المدجنات فامرعا[3]

وربما أن سقيا القبر امتداد لاعتقادات شائعة في حضارة وادي الرافدين ، فكان العراقيون القدماء يسكبون الماء لأرواح موتاهم لإرواء عطشها[4]. أو إنها بقايا تراث ديني قديم كان أصلا طقساً سحرياً يمارس على عظام الموتى ، والتي استخدمها العرب من استدعاء المطر ، ومن ثم ارتبط نزول المطر بالأرض الخراب والقبور الموحشة[5]. ونلاحظ في عادة سقيا القبر أن هنالك تشابهاً بالاعتقاد مع المصريين القدماء والفينيقيين والرومان ، كان أولئك القوم يجمعون الدموع التي تذرف من أعين النائحين في أوقات التعزية وتحفظ في قارورة تدعى(زق الدموع) وتسكب على أضرحة الموتى لتكون شاهداً على حزن الأحياء على الميت ، ومحبتهم له وشعورهم بفداحة الخسارة لفقده[6].

---

(١) ديوان الخنساء، ص١١٤.

(٢) المصدر نفسه. والرباب بن البراء: من أبناء عامر بن الديل بن شن بن افصى بن عبد القيس كان يتكهن ثم أصبح على الديانة المسيحية. ينظر: الأصفهاني، الاغاني، ج١٦، ص ٣٦٣.

(٣) ابتسام مرهون الصفار، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص١١٢.

(٤) د. سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص٨٣.

(٥) د.عليان أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، ص٨٥.

(٦) مجمع الكنائس الشرقية، قاموس الكتاب المقدس، ص٣٧٧.

ومن الشعائر التي ارتبطت بسقيا القبر شعيرة صب الخمر عليه ، ويمكن ملاحظة ذلك بما أوصى به حاتم الطائي امرأته بأن تصب الخمر على قبره بعد مماته بقوله:

امـــاويّ إمــا مــتُّ فاسْــعَيْ بنُطْفَــةٍ من الخَمر، ريّاً، فانضحِنّ بها قبرِي[١]

ومما عرف عن سيرة حاتم الطائي المعطاءة في الكرم وإقراء الضيف ، فلا يستبعد أن يكون صب الخمر على القبر من باب العرفان بالجميل لما يفعله في حياته ، والتأكيد انه كريم معطاء ، لا سيما كانت(الخمر في وعي الجاهلية باعث للكرم)[٢]. ومثل هذا الاعتقاد كان يفعله ندماء الشاعر الأعشى الكبير الذين كانوا يجتمعون إليه في منزله فيأكلون ويشربون ويصبون الخمر على قبره على نحو ما جاء في رواية سليمان النوفلي عن أبيه ، انه زار قرية منفوحة(قرية الأعشى) وسأل عن قبره فقالوا بفناء بيته ، فانتهى إلى قبره فإذا هو رطب فسأل ما لي أراه رطباً ، فقالوا: إن الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم فإذا صار إليه القدح صبوه على قبره[٣].

وقد ذهب احد الباحثين بعيداً في تحليله لشعيرة صب الخمر على قبر الميت ، في عدها من بقايا شعائر العصر الوثني المجهول ومعتقداته الغريبة ، عندما كان الخمر شراباً مقدساً ، أو بوصفها دم الإله الذي صرع ، أو تبدو نوعا من التطهير[٤]. إلا أن الراجح إن شعيرة صب الخمر على القبر لا تتعدى استذكاراً لروح المنادمة ومجالس الشرب التي كانت تجمع الميت عندما كان حياً مع ندمائه ، ووفاءً لذكراه ، فضلاً عن ذلك أنها تعبر عن كرم الميت في حياته فتأتي هذه الشعيرة احياءً لكرمه ، لا سيما أن الخمرَ اقترنت بالضيافةِ والكرم ، أو ربما أن صب الخمر على القبر مبعثه الاعتقاد بأنه يريح الميت ويرطب قبره ، وهذا ما نلمسه في قول رجل من بني أسد ، ذكروا إن رجلين من بني أسد خرجا إلى اصبهان فآخيا دهقاناً بها ونادماه فمات أحدهما وبقي الآخر والدهقان ينادمان قبره ويشربان كأسين ويصبان على قبره كأساً ثم مات الدهقان

---

(١) ديوان حاتم الطائي، ص٤٥.

(٢) د. محمود الجادر، هاجس الخلود في الشعر العربي قبل الإسلام، ص١٠١.

(٣) الأصفهاني، الاغاني، ج٩، ص١٤٨.

(٤) احمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص٢٠١.

فكان الأسدي ينادم قبريهما ويترنم بهذا الشعر:

اصُبُّ على قبْريْكُما من مُدامة فالا تُنالاها تُرو جُثاكما

اقيمُ عَلى قَبْرَيْكُما لَستُ بارِحاً طَوُل الَّليالي او يُجيب صَدَاكما[1]

ومن عادات العرب في الترحم على موتاهم عند زيارة قبورهم والتحية لهم ، أن يقولوا(عليك سلام الله) ويقدمون لفظة عليك ، والمعنى عليك تحية الله ورحمته ، واعتقدوا في تقديم عليك على السلام لأن الميت لا يجيب فجعلوا السلام عليه كالجواب[2] ، يتضح من قول الشاعر عبدة بن الطيب في تحيته لقيس بن عاصم ألمنقري:

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ قيْس بنَ عاصِم وَرَحْمتُهُ ما شاءَ ان يَتَرحّما[3]

أما في السُنة النبوية فلا تختلف تحية الأموات والأحياء فكان الرسول(ﷺ) يخرج في آخر الليل لزيارة قبور البقيع فيقول:(السلام عليكم دار قوم مؤمنين)[4].

ومن الاعتقادات التي تبدو نوعاً من الأساطير ، اعتقادهم بالهامة (يقولون: إذا قتل قتيل خرجت من رأسه هامة)[5] ، فإذا لم يؤخذ بثأره نادت الهامة على قبره اسقوني فإني صدية[6] ، وليس أدل على ذلك من وصية احد الشعراء الآتية:

ولا تزقون لي هامة فوق مرقب فإن زقاء الهام للمرء عائب

---

(١) التبريزي، ديوان الحماسة شرح التبريزي، ج١ ، ص٣٦٢. ويقال ان هذه الأبيات لقس بن ساعدة الأيادي لخليلين كانا له فماتا ، جثاكما: جمع جثوة وهو التراب المجتمع على القبر ويقال للقبر جثوة. ينظر، المصدر نفسه.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص٣٩٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٣٩٠.

(٣) التبريزي، ديوان الحماسة شرح التبريزي، ج١ ، ص٣٢٨.

(٤) ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج٣، ص٣٩٢؛ ابن حجر، فتح الباري، ج١١ ، ص٤؛ النووي شرح مسلم، ج٧، ص٤١.

(٥) أبو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، ج١ ، ص٦٥.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩ ، ص٢٩١.

تنادي الا اسقوني وكل صدى به وتلك التي تبيض منها النوائب[1]

ومن هذين البيتين يستشف ابن أبي الحديد إن الشاعر يوصي ابنه بأن لا يترك ثأري أن قتلت ، فإنك إن تركته صاحت هامتي: اسقوني فإن كل صدى . هو العطش . بأبيك ، وهو أمر صعب ، وهو مقبور إذا لم يثأر به ، وإن صعوبة الأمر عليه يعني إن ذلك عار عليك[2].

وقد أدرك الشهرستاني إن اعتقاد العرب بالهامة متأت من الاعتقاد بتناسخ الأرواح ، فإذا مات الإنسان أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة فيرجع إلى رأس القبر كل مائة سنة[3] ، ويطالعنا المسعودي عن اعتقادهم بالهامة ، فيزعمون إن النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان ، فإذا مات أو قتل مُطيفاً به متصوراً له في صورة طائر يصدح على قبره مستوحشاً له[4] ، ويزعمون إن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم تتوحش وتصدح وتوجد حيث مصارع القتلى وأجداث الموتى ، ويزعمون إن الهامة تبقى على مقربة من ولد الميت وعقبه وتجالسهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به[5].

وزعمت اليهود إنها تدور حول قبر الميت سبعة أيام ثم تذهب[6] ، ويعلل احد الباحثين زعم اليهود حول الهامة ، إنها من فتنهم للسيطرة على عرب الجاهلية لأن معنى سبعة أيام مدة كافية ليؤلب اليهود مواقع الثأر بين العرب ، أي على العربي أن يثأر ، وبذلك أشعلوا الحرب بين الأوس والخزرج باستغلال تلك المعتقدات في الوقيعة بينهم[7].

---

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ص٣٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١٩ ، ص٣٩٢.

(٣) الملل والنحل، ج٢ ، ص٢٣٧.

(٤) مروج الذهب، ج٢ ، ص٢٨٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٢ ، ص٢٨٧.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ج١ ، ص٢٠٦؛ المباركفوري، تحفة الاحوذي، ج٦ ، ص٢٩٥.

(٧) د. محمد إبراهيم الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي، ص٢٨٥.

يتبين مما تقدم إن اعتقاد العرب بهامة القبر جاء لتبرير الأخذ بالثأر والقتل ، حتى بلغ من حرصهم على الثأر أنهم رفعوه إلى درجة الأوهام والأساطير أولا ، ثم تأثر الجاهليون بالخيالات والأوهام في هذا المجال ثانية ، وقد تكون الفكرة تبريراً ودافعاً لهم في إدراك ثأرهم في أقرب وقت بشكل يحقق الراحة والاطمئنان لهامة القتيل فيسكنها عند طلب الثأر[١].

أما عن موقف الإسلام من الاعتقادات المرتبطة بالقبر ، فقد نهى الرسول الكريم(ﷺ) عما يسمى بهامة القبر في الحديث الشريف: "لا طيرة ولا عدوى ولا هامة ولا صَفر"[٢] ، ونهى الإسلام أيضاً عن عادة عقر الإبل أو الشاة أو البقر عند القبر بحديث للرسول محمد(ﷺ): (لا عقر في الإسلام)[٣].

اعتقادات ارتبطت بموت سادات العرب:

ارتبط موت سادة القبائل وملوك العرب ببعض الاعتقادات التي ارتقت في الكثير منها إلى مستوى التأليه والقداسة ، منها اعتقادهم إن الملوك خالدون ، وقد أفصح عن هذا الاعتقاد الشاعر زهير بن أبي سُلمى ، لأن موت النعمان بن المنذر بدد هذا الوهم عند قوله:

الا ليتَ شعريَ: هل يَرى الناسُ ما أرى

من الأمر أو يَبدو لهم ما بَدَا ليا؟

الم ترَ للنعمان، كان بنجْوَةٍ

من الشرّ لو أن امرأ كان ناجيا[٤]

---

(١) بشرى محمد الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، ص٤١.

(٢) البخاري، صحيح، ج٧، ص١٧؛ ابو داود، سنن، ج٢، ص٢٢٢. والعدوى: ان تأخذ الشاة الجربة فتطرحها في الغنم فتجرب الأول قال ذلك القدر، صَفر: كانوا يحلونه عاماً، ويحرمونه عاماً ويستشئمون بصفر، والطيرة: الشؤم. ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص١٨٣.

(٣) الصنعاني، المصنف، ج٣، ص٥٦٠؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج٤، ص٥٧.

(٤) ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص١٠٦. ص١٠٧.

أو اعتقادهم بعدم موت سادة القبائل ، وفي هذا المعنى عبرت إحدى النساء من بني سلول عن موت عامر بن الطفيل قائلة:

انعي عامر بن الطفيل وأبقى وهل يموت عامر من حقا[1]

وبالغوا في قولهم بأن موت الملوك هو موت الحياة ، وذلك ما نجده في الصورة التي رسمها النابغة الذبياني في اعتقاده إن موت الملك النعمان بن المنذر ، هلاك ربيع الناس وانتهاك لحرمة الأشهر الحرم في قوله:

فإن يَهْلِكْ ابو قابوس يهْلِكْ ربيع الناسِ والشهرُ الحرمُ[2]

وقرنت العرب موت السادة بحدوث ظواهر طبيعية كتصدع الجبال أو الخسوف أو الكسوف أو الجدب ، وهذا ما عبر عنه النابغة الذبياني في رثاء حصن الفزاري (سيد قبيلة فزارة من غطفان) بقوله:

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم

وكيف بحصن والجبال جنوح

ولم تلفظ الموتى الأرض القبور ولم تزل

نجوم السماء والأديم صحيح[3]

أو ما عبر عنه الشاعر اوس بن حجر في رثائه سيد بني أسد(فضالة بن كلدة) بقوله:

الم تكسف الشمس والبدر والـ كواكبُ للجبل الواضب

لفقد فضالة لا تستوي الـ فقودُ ولا خلةُ الذاهب[4]

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج١٧، ص٦٦.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص١٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩٠.

(٤) ديوان اوس بن حجر، ص١٠.

وأبطل الإسلام الاعتقاد السائد في الجاهلية إن كسوف الشمس تحدث بسبب موت احد العظماء ، ففي رواية عن النعمان بن بشير قال: "كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يصلي ركعتين ويسلم حتى انجلت الشمس فقال: إن أناسا من الجاهلية كانوا يقولون إذا كسف واحد منهما إنما ينكسف لموت من عظماء أهل الأرض وان ذلك ليس كذلك ولكنهما خلقان من خلق الله فإذا تجلى الله لشيء من خلقه خشع له فإذا رأيتم ذلك فصلوا"[١].

وعظّم العرب قبور ساداتهم ، فقد كان(ربيعة بن مكدم) يُعقر على قبره في الجاهلية وبالغوا في ذلك حتى قالوا لم يُعقر على قبر احد غيره[٢]. وارتقوا بقبور ساداتهم إلى الإله فكانوا يحلفون عندها ، وذلك ما فعلته بنو لام - من قبيلة طي - عندما ألّهت وقدست قبر سيدها(الحارث بن لأم) إلى الحد الذي كان يُحلف به ، وهذا ما سجله الشاعر بشر بن أبي خازم:

جعلتم قبر حارثة بن لأم ... الاهاً تحلفونَ به فجورُا[٣]

وتمثلت قداسة قبور ساداتهم ، عندما جعلوها حِمى يستجير بها الخائف وطالب الأمان[٤]. وهذا ما فعلته بنو عامر في قبر سيدهم وشاعرهم وفارسهم عامر بن الطفيل إذ إذ نصبت عليه أنصاباً ميلاً في ميل حمى على قبره ، لا تدخله ماشية ، ولا تنتشر فيه راعية ولا ترعى ولا يسلكه راكب ولا ماشٍ[٥]. وكان رجل من بني عامر يقال له (جبار بن سلمى) غائباً ، فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب؟ قالوا: نصبنا حِمى لقبر عامر بن الطفيل ، فقال ضيقتم على(أبي علي)[٦] ، وكانت كنيته.

---

(١) البيهقي، السنن الكبرى، ج٣، ص٣٢٣؛ابن حجر، فتح الباري، ج٢، ص٤٣٧.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص١٣٦؛ وينظر: الرامهرمزي، الحد الفاصل، ص٢٥٢.

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم، ص٩١.

(٤) ينظر: سعد عبود سمار، الإجارة عند العرب قبل الإسلام وعصر الرسالة الإسلامية، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد٢، سنة ٢٠٠٧، ص٨٥.

(٥) الأصفهاني، الاغاني، ج١٧، ص٦٦.

(٦) المصدر نفسه، ص٦٧.

ومن المزاعم التي ارتبطت بموت السيد أو الشريف إن المقلات: وهي المرأة التي تلد واحداً ثم لا تلد[1] ، أو التي لا يعيش لها ولد[2] ، إذا وطئت قتيلاً شريفاً سبع مرات بقي ولدها[3].

وقد نسجت الأوهام عن قبور سادة القبائل ، فنطالع ما نقله أبو عبيدة معمر بن المثنى لرواية الصامتي التي يروي فيها عن مشاهداته لقبر حاتم الطائي: "فإذا قدور عظيمة من بقايا قدور حجر مكفوءات ناحية من القبر من القدور التي كان يطعم فيها الناس وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعن يساره أربع جوار من حجارة كلهن صواحب شعر منثور محتجرات على قبره كالذنائحات فهن بالنهار كما وصفنا فإذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ونحن في منازلنا نسمع ذلك إلى أن يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر سكتن وهدأن ، وربما مرّ المارّ فيراهن فيفتتن بهن ويميل إليهن عجباً ، فإذا دنا منهن وجدهن أحجاراً"[4].

وامتداداً لما نسج عن قبر حاتم الطائي ، زعموا إنه يقري أضيافه حتى وهو في قبره ، وذلك ما رواه رجل يكنى أبا الخيبري إذ مرَّ في نفر من قومه بقبر حاتم الطائي فنزلوا قريباً منه ، فبات أبو الخيبري يناديه (أبا الجعد أقرِنا أقرِنا) فقال له قَومه: مهلاً ما تكلم من رِقَّة بالية؟ قال: إن طيئاً تزعم انه لم ينزل به أحد قط إلا قراه ، وناموا ولما كان آخر الليل قام أبو الخيبري مذعوراً ، (وا راحلتاه) فقال أصحابه: مالك؟ فقال: خرج حاتم من قبره بالسيف وأنا انظر حتى عقر ناقتي ، فقالوا: قد قراك ، فظلوا يأكلون من لحمها حتى أصبحوا ، ثم أردفوه وانطلقوا سائرين ، وجسد هذا الاعتقاد الشاعر سالم بن دارة في مدحه عدي بن حاتم حيث يقول:

قرى قبرُهُ الأَضياف إذ نزلوا به ... ولم يقرِ قبرٌ قَبلَه الدهر[5]

---

(١) الفراهيدي، العين، ج٥، ص١٢٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٧٢.

(٣) القلقشندى، صبح الأعشى، ج١، ص٤٦٣.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٢٩٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٩٨- ص٢٩٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٧٦.

الخاتمة:

تناول هذا البحث دراسة عقائد الموت عند العرب قبل الإسلام وموقف القرآن والسنة منها، اتضح إن مصطلح الموت يتردد في الفاظ وتعابير عدة هي: الفناء، الحتف، المنية، العلاق، الغول، شعوب، حلاق، ألحمة، طوم، أم اللهيم، أم قشعم، الحمام، القضية، اخترم، السام، القعص، وكلها تعني نقيض البقاء، وهناك مفاهيم وألفاظ ارتبطت بالموت منها القول: ضرب حتى برد، أي حتى مات، والسياق: نزع الروح، وأعنق ليموت، وركب فلان درع المنية، كما تناول البحث المفردات التي ارتبطت بالإنسان عند موته وهي(القريض، الجريض، الرمق، تزهق، الذماء، النسمة، الحشرجة).

وخلص البحث إلى أن العرب اعتقدوا بحتمية الموت وأنه قدر لا مفر منه، وان الموت أنواع، الشائع منها الموت الحتف(على الفراش) ويسمى الموت الأبيض أو (الفوات) وهناك(الموت الأحمر) و(الأسود) و(الموت القتل أما ظلماً أو قصاص)، وعرفنا جملة أسباب للموت منها: القتل، الموت في الأسر، دس السم، المرض، افتراس الحيوانات، الصاعقة السماوية، الغرق، الحرق، الشرق، (الغصة).

وضمن إطار دراسة الحزن على الميت تطرقنا إلى النعي(إعلان خبر الموت)، ونصب المآتم وهي(المناحة)، وتطرق البحث إلى عادات النساء عند الحزن منها حسر الوجه، شق الثياب عند الجيب، التفجع، وتمزيق الثياب، وحلق شعر الرأس أو نتفه، ووضع التراب فوق الرأس، وضرب الوجه أو الصدر بالنعال، ولبس السواد وثوب الصدار، وكانت مدة العزاء حولاً كاملاً، ومن عاداتهم إعداد الطعام ونحر الجزور لضيافة التعزية، وإعداد الطعام في اليوم السابع، وتطرق البحث إلى حداد المرأة وعدتها وتقاليدهم في الخروج من العدة، وعرفنا موقف الإسلام من مظاهر الحزن فجعل العدة أربعة أشهر وعشرة أيام، وما أوصى به في العدة، وتحديد لباسها في الحداد، ونهى الإسلام عن النعي الجاهلي، وندب الميت والنواح عليه، ولطم الخدود، وشق الجيوب.

وفي غسل الميت وتكفينه توصل البحث إلى أن العرب قبل الإسلام غسلوا موتاهم بالماء والسدر ، وطيبوا الميت بالحنوط ، وتطرقنا إلى تكفين الميت (للرجال والنساء) وتكفين الرسول(ﷺ) وما أوصى به ، كما عرف العرب الصلاة على الميت.

وفي معرض الحديث عن حمل الميت إلى القبر ، كان أما على النعش أو السرير أو وضعه في تابوت بدون غطاء ، وحللنا التداخل في التسمية (النعش ، السرير ، التابوت ، الجنازة ، الإرن) وتناولنا العادات المرتبطة بالجنائز وهي إتباعها بالمجمر ، وتزيين النعش ، وتطرقنا إلى تطوير فكرة النعش لستر امرأة في صدر الإسلام ، وبذلك أصبح النعش للمرأة والسرير للرجل.

وخلص البحث في مفهوم القبور انه الحفرة التي تعمل لدفن الميت وترادف مع مفردات أخرى منها الجنن ، الاصواء ، الجدث(الجدف) ، المنهال ، ألكدي ، الكرا ، الريم ، الارماس ، وفرقنا بين الشق والضريح واللحد ، ومنً يشق ومنّ يلحد ، وتطرقنا إلى العادات المرتبطة بالقبور وهي حلق الشعر ووضعه فوق القبر ، وضرب الخيام على القبور ، ونحر الإبل ونضح دمها على القبور ، وعقر البلية وما ارتبطت من اعتقادات بالحشر والبعث ، وتوصلنا إلى أنها لا تتعدى شعائر الذبح على القبور المستمدة من فكرة النحر عند الأصنام ، ومن عاداتهم الدعاء بسقيا القبر ، وصب الخمر عليه ، استذكاراً لروح المنادمة ، وتناولنا أكثر الاعتقادات شيوعاً وهي(الهامة) ، وناقشنا موقف الإسلام من هذه الاعتقادات بالنهي عن الهامة ، والعقر عند القبور.

أما عن الاعتقادات التي ارتبطت بموت سادات العرب ، فقد ارتقت إلى مستوى التأليه ، منها اعتقادهم بخلود الملوك ، وموتهم موت للحياة ، وارتباط موتهم بحدوث الظواهر الطبيعية ، وعظموا قبور ساداتهم بالعقر عندها أو جعلها (حمى) أو بالحلف عندها ، والاعتقاد بأن المرأة المقلات لكي تلد عليها أن تتخطى جثة ميت من الأشراف سبع مرات ، وكذلك تطرقنا إلى ما نسج عن قبر حاتم الطائي من أوهام.

الفصل الثالث

الإجارة عند العرب قبل الإسلام وعصر الرسالة الإسلامية

الإجارة

المعنى اللغوي للإجارة:

ترجع كلمة الإجارة إلى الفعل أجار، وهي من المنعة وعدم الاعتداء[1] والجار الذي أجرته من أن يظلم[2]. وأجاره: أغاثه[3]، ومنعه وحماه[4]، وجارك:المستجير بك[5] وأستجارك في الذمة: تجيره وتمنعه[6]، وتعطي الإجارة معنى: الأمانة والأمنة: نقيض الخيانة، لأنه يؤمن من آذاه، وقد آمنه وأمنه[7]، وتعني أيضا الكفالة، ومنها المكافل والكفيل أي المعاقد والمعاهد والمجاور[8]. والجار: المولى والحليف والشريك[9]، ومن معانيها الصحبة فإذا قال احدهم: أصحبت الرجل، أجرته وحفظته ومنعته، من قولهم صحبك الله أي حفظك وكان لك جاراً[10]. وهناك معنى أخر للإجارة، ذكره (القلقشندى) بـ(يتليه) أي يجيره، وأتليتك أجرتك[11] وللإجارة مترادفات تعطي المعنى

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ١٥٤.

(٢) المبار كفوري، تحفة الأحوذي في شرح الترمذي، ج ٩، ص٣٥٥.

(٣) العيني، عمدة القارئ، ج١٥، ص١٧٧.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٥٤.

(٥) الفراهيدي، كتاب العين، ج٤، ص١٧٦.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣، ص ١١١.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٣.

(٨) الزبيدي، تاج العروس، ج٨، ص٩٩.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ٤١١.

(١٠) الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص ٤٠٩.

(١١) صبح الأعشى، ج١، ص٤٣٧.

نفسه ، منها ما ذكر إن: (ألجار ، والمجير ، والمعيذ واحد وهو الذي يمنعك ويجيرك)[1] ، والخفرة: الضمان ، وخفرت الرجل أي أجرته[2] ، وخفير القوم: مجيرهم الذي هم في في ضمانة ما داموا في بلاده[3]. والخفرة والخفارة: الآمان ، وقيل الذمة ، يقال: خفرتك (بقوله: المخفور لخفيره. إذا لم يسلمه)[4]. وانتهاك الخفارة: إخفارها ، واخفر الذمة ، أي لم يف لمن يجير[5].

يتضح مما تقدم إن الإجارة تعني الحليف والناصر والمعيذ ، والخفير ، والكفيل والمعاهد ، ويتليه ، وآمنه ، والذمة ، والمنعة ، والصحبة ، والمولى ، والحليف ، وحملت هذه المفردات مفاهيم من القيم الاجتماعية دأب الإنسان العربي قبل الإسلام على ممارستها وحتمتها ظروف المجتمع آنذاك ، وحين جاء الإسلام عمق قسماً منها وشذب الأخرى وأضاف مفاهيم أخرى للجوار.

أولاً: الإجارة عند العرب قبل الإسلام :

أنواع الإجارة:

حفلت الحياة العربية عند العرب قبل الإسلام بألوان مختلفة من الإجارة ، تنوعت تبعاً لمعطيات الواقع العربي آنذاك ، ويمكن أن نجمل هذا التنوع بالاتي:

١- الإجارة المفردة:

وهي أن يلجأ الإنسان إلى سيد قبيلة طالباً حمايته ، لأسباب سنذكرها تفصيلاً عندما يأتي الحديث عنها في دوافع.

(١) الزبيدي، تاج العروس، ج٣،ص ١١١ .

(٢) الفراهيدي، العين، ج٤، ص٢٥٣.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ١٨٦.

(٥) الفراهيدي، العين، ج٤، ٢٥٣.

٢- الإجارة المتصلة:

أو ما يسمى بحبل الجوار، بمعنى المواصلة في طلب الأمان، ويأتي المعنى في قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً)[١]، ويعني بالحبل جل ثناؤه إنه السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة ولذلك سمي الأمان حبلا لأنه سبب يوصل به إلى زوال الخوف والنجاة من الجزع والذعر[٢].

وكان من عادات العربي قبل الإسلام، إذا أراد السفر، أنَ يأخذ عهداً من كل سيد قبيلة يمر بها، فيأمن به ما دام في تلك القبيلة حتى ينتهي إلى الأخرى فيأخذ مثل ذلك أيضا، فيقال: (إن فلان في نمتك وحبل جوارك)[٣]، أي يريد به الأمان، فهذا حبل الجوار، أي ما دام مجاور أرضه، قال الأعشَى[٤] مشيراً لذلك:

فـإذا تُجَوِّزُهـا حِبـالُ قَبيلَـةٍ ... أَخَذَتْ مِنَ الأُخْرَى إليكَ حِبالَها[٥]

ويترتب على حبل الجوار أن يأخذ المسافر عهداً يسمى بـ(عقد التلاء)وهو عقد ضمان وجوار ونمة، يكتب عليه اسم المُتلي(المجير)ويعطي للمسافر، ويُعد هذا العقد أشبه بالوثيقة التي يتنقل بها المسافر في قبيلة المُتلي أو حلفائه، فيكون في مأمن على ماله ونفسه[٦].

٣- الإجارة الجماعية:

وتحدث بعد أن تتفرق قبيلة إلى أكثر من فرقة وتطلب الإجارة من قبائل أخرى، مثلما حدث لقبيلة(بأهلة)، حين تفرقت، وطلبت الإجارة من قبائل أخرى،

---

(١) آل عمرآن/ ١٠٣ .

(٢) جامع البيان، ج٤، ص٤٢.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٣.

(٤) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل يكنى أبا بصير من أعلام شعراء الجاهلية وفحولهم: ينظر: الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٥٢.

(٥) ديوان الأعشى، ص ١٤٠.

(٦) ينظر: عرفان محمد حمور، قواعد الأمن في مجتمعات العرب القديمة، ص١٤٤.

على اثر الغارة التي قام بها المنتشر الباهلي على اليمن ، فعندما رجع ظافراً ، وجد بني جعدة قتلوا ابنا له ، وكانت باهلة في (بني كعب بن ربيعة بن عامر بـن صعصعة ثم في بني جعدة) ، فلما علم المنتشر بذلك وأتاه الخبر ، أغار على بني سبيع ، فقتل منهم ثلاثة رجال ، وعلى اثر ذلك تصدعت باهلة ، فلحقت فرقة منهم يقال لهم(بنو وائل) بـ(عقال بن خويلد العقيلي) ، ولحقت فرقة أخرى يقال لهم(بنو قتيبة) بـ(يزيد بن عمر بن الصعق الكلابي) ، فأجارهم يزيد وأجار(عقال) وائلا[1].

وتزيدنا الشواهد التاريخية إيضاحا للإجارة الجماعية ، منها التجاء قبيلة لأخرى ، في حالة عدم توازن كفتي القبائل في القتال ، كاستجارة سَلمة بن الحارث الكندي حين اقبل مع جموع من اليمن ، لملاقاة مَعد التي اجتمعت برئاسة كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرّة ، ولما رأى سَلمة كثرة القوم استجار ببعض الملوك ، فأمدوه ، فالتقوا في (خزاز) وعرف بـ (يوم خزاز)[2].

٤- الإجارة بثمن:

وتتضح فيما ذكره أبو عبيدة أن السليك[3] كان يعطي عبد الملك بن مويلك الخثعمي ، إتاوة من غنائمه على أن يجيره ، فيتجاوز بلاد خثعم[4] ، ويسمى ثمن إجارة القوافل التجارية بـ(الجَعالة من الجَعل) ، الأجر على الشيّ فعلاً أو قولاً[5] ، أي ما يعطى للخفير أجراً على خفارته. ومقابل هذا الثمن يلتزم رؤساء القبائل أو أشرافها حماية القوافل التجارية بتخصيص رجال أشداء يصحبون القوافل التجارية لتأمين

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص٣٧.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٢٥.

(٣) السليك: عمير بن يثربى السعدي ويقال له سليك بن السلكة والسلكة امه، الزمخشري، المستقصى من امثال العرب، ج١، ص٢٣٨.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص ٣٧.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ١١١.

حمايتها ، وإذا عجزوا عن توفير الأمن للقافلة التجارية يعيدوا الجُعل إلى أصحابه[1].

وكانت القوافل التجارية التي يرسلها الفرس من المدائن إلى اليمن ، يسلمها النعمان ملك الحيرة إلى خفراء من قبائل ربيعة ومُضر ، حتى تصل إلى ارض بني حنيفة ، فتكون بخفارة هوذة بن علي الحنفي حتى تخرج من أرضهم إلى بلاد تميم ، فيخفرها هؤلاء وتجعل لهم جُعالة حتى تصل إلى بلاد اليمن[2].

٥- الإجارة بالجن:

اعتقد العرب قبل الإسلام أن مواطن الجن غير محددة ، فتسكن في المفاوز والوديان الموحشة والأماكن المهجورة ، ولخشية العربي من الجن ، كان يستعاذ بها حال مروره بهذه الأماكن ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً)[3].

وكان العرب حين ينزلون واديا يطلبون من سيدهم أن يستعيذ بالجان فيردد عبارات (نعوذ بسيد هذا الوادي) أو (عزيز هذا الوادي) أو(يا عامر الوادي جارك)[4]. أو (أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه) فيبيت في جواره حتى يصبح[5]. وكان أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ، ثم من بني حنيفة ثم فشا ذلك عند العرب[6] ، وروي أن الحجاج بن علاط السلمي قدم مكة في ركب فأجنهم الليل بواد مخيف موحش ، فقال الركب: قم خذ لنفسك أماناً ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول:

---

(١) يوسف خليف، الشعراء والصعاليك، ص ١٣٨ – ص ١٣٩.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٧، ص ٣١٩.

(٣) سورة الجن، الآية ٦.

(٤) الطبري، جامع البيان، ج٢٩، ص ٦٧.

(٥) ابن الجوزي، زاد المعاد في علم التفسير، ج٨، ص ١٠٥ ؛ القرطبي، الجامع لإحكام القران، ج ١٩، ص١٠.

(٦) القرطبي، المصدر نفسه والصفحة.

اعيـذُ نفسـي واعيـذُ صَـحْبي   مـن كـلّ جـنيَ بهـذا النَّقْـب

حتـى أؤوب سَـالماً وَرَكْبِـي[1]

٥- إجارة الحيوان:

وأشهر من عرف بإجارة الحيوان هو كُليب بن ربيعة ، فبعد أن نصبته جموع مّعد رئيسا على قومه ، كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرعى حماه ، وإذا جلس لا يمر أحد بين يديه إلا بأذنه ، ولا تورد إبل أحد مع إبله ، وكان يجير على الدهر فلا تخفر نمته ، وكان يجير الحيوان ، فيقول: وحش أرض كذا في جواري ، فلا يهاج ، وكان يحمي الصيد فيقول: صيدُ كذا أو كذا في جواري فلا يصيد أحد منه شيئاً[2]. وقد تكون إجارة الحيوان وتحريم الصيد في ارض القبيلة نوعاً من العزة[3]. ويستفاد من قصة كُليب مع القُبّرَة(ضرب من العصافير) ، في إيضاح إجارة الحيوان ، إذ انه مرّ يوماً في حماه فإذا هو بقُبّرَة على بيضها فلما نظرت إليه صرصرت وخفقت بجناحيها فقال لها أمن روعك أنت وبيضك في ذمتي فناشدها:

يـا لـك مـن قُبّـرَةٍ بمعمَـرِ   خلاً لكِ الجوُّ فبيضي واصفِري

ونَقّـري مـا شـئتِ أنْ تُنَقّـري[4]

وتوجد في بلاد العرب مواضع متعددة للحِمى ، منها المعمر(حمى كليب) ، ويقال أن الحمى لا يهاج طيره ولا يرهب آمنه ، ومن لاذ به احتمى[5]. ونستطيع أن نستدل على ما تؤول إليه إجارة الحيوان من ردود أفعال تصل إلى نشوب حرب في حالة التعرض للحيوان في حمى سيد القبيلة ، مثلما حدث في حرب البسوس ،

---

(١) السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص٣٥٨ ؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص١٤٤.

(٢) أبو عبيدة، النقائض،ص٧٧٣ ؛ الميداني، مجمع الأمثال،ج١، ص٣٤٢.

(٣) أحمد إبراهيم شريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص٤٠.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٧٠،

(٥) عادل جاسم البياتي، كتاب أيام العرب لأبي عبيدة، ق١، ص٢٨٥.

وإيجازها أن خالة جساس بن مرة الشيباني كانت لها ناقة يقال لها سراب فرآها كليب بن وائل في حماه ، وقد كسرت بيض حمام كان قد أجاره ، فرمى ضرعها بسهم ، فوثب جساس على كليب فقتله ، فنشبت حرب بكر وتغلب ابني وائل بسببها أربعين سنة حتى ضربت العرب بشؤمها المثل[1]. وفي رواية أخرى للواقعة تعزي الحرب بسبب مقتل ناقة البسوس ، حين مرت إبل جساس وفيها ناقة البسوس ، فأنكر الناقة ، ثم قال: ما هذه الناقة؟ قالوا: لخالة جساس ، فقال: أو بلغ من أمر ابن السعدية يريد(جساس) أن يُجير علّي بغير أذني؟ ورمى ضرع الناقة ، مما دفع جساس أن يقتل كليباً وتدور حرب كان قطبي رحاها أبنا وائل بكر وتغلب[2].

ولعل اغرب ما جاء في إجارة الحيوان ، ما ذُكر عن إجارة الجراد حتى ضرب بها المثل: (أحمى من مجير الجراد) ، وهو مدلج بن سويد الطائي[3] ، وقصة هذا المثل أن مدلجاً رأى قوماً من طيء يطاردون جراداً في حماه ، فركب فرسه واخذ رمحه ، وقال: والله لا يعرض له احد منكم إلا قتلته ،إنكم رأيتموه في جواري ثم تريدون أخذه ، فلم يزل يحرسه حتى حميت عليه الشمس وطار ، فقال شأنكم الآن فقد تحول عن جواري[4]. ويمكن إعطاء تفسير بما يعزز الاعتقاد بإجارة الحيوان ، فيما كان يراه سادة الحمى. أن الاعتداء على الحيوانات في حماهم يعد ضرباً من التطاول والتجاسر على شرف الرياسة والعزة ، يدفعهم للذود عن الحيوانات وإجارتها في مقاطعاتهم أو حماهم ، حتى لو كانت أمثال الجراد ، ويبدو أن هذا الاعتقاد امتد للإعرابي البسيط ، عندما يجير أم عامر(الضبع) بعد ملاحقتها من مجموعة صيادين ، حتى ألجئوها إلى خباءه[5] فاقتحمته ، فأجارها الإعرابي وحال بينها وبينهم وجعل يطعمها ،

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٤٣٩.

(٢) ينظر: ابو عبيدة، النقائض، ص٧٣ ؛ وكتابه أيام العرب ص٥٤٢ وما بعدها.

(٣) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص٣٤٣.

(٤) الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١؛ الزمخشري، المستقصى، ج١، ص٨٧.

(٥) الخباء: بيت يعمل من وبر أو صوف أو شعر على عمود أو عمودين أو ثلاثة. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج١، ص ٥٢٩.

وبقيت عنده بخير حال ، فبينما هو نائم إذ وثبت عليه وقتلته ، وأصبحت هذه الحادثة مضرب المثل القائل: (مجير أم عامر)[1] ، ودلالته في بيت الشعر:

ومن يصنع المعروف في غيرِ أهله   يُلاقي الذي لاقى مُجير أم عامر[2]

ومثلما اقترنت شخصيات بإجارة نوع من أنواع الحيوانات ، منهم مدلج بن سويد الطائي(مجير الجراد) ، هناك من لقب بـ(مجير الطير) وهو ثور بن شحمة العنبري ، وكان سيداً شريفاً قد أجار الطير ، فكان لا يثار ولا يصاد بأرضه[3].

٦ - الإجارة المحددة:

وتحدد الإجارة أحياناً بنوع أو غاية تبعاً لقوة أو نفوذ الرجل الذي تُطلب منه ، كأن تحدد الإجارة لتأمين الحماية للمستجير من قبيلة معينة ، ويكون المجير في حِل من الإجارة في حالة تعرض المستجير إلى اعتداء من قبيلة أخرى غير التي أُعلن عنها في عقد الجوار. كما في إجارة ربيعة بن شكل لبني عبس بن بغيض ضد بني كلاب[4] ، أو تكون الإجارة محددة بموضوع معين ، كما في إجارة ربيعة بن مقروم لـ(هانئ بن الحارث البرجمي) ، حين استدان الأخير ديناً بايعه إلى عجرد بن عمرو فالتجأ إليه في مطالبته إياه بالدين ، فضمن له جواره[5].

٧- الإجارة المطلقة:

وهذا النوع من الإجارة لا يحدد بزمان أو مكان أو موضوع معين ، ويكون عاماً . ولا يقوى على هذا النوع من الجوار إلا من سادات العرب ، ومنهم عامر بن الطفيل

---

(١) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج١، ص٤٠١؛ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج١ ،ص ٥٢٥.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١ ، ص ٢٦٨.

(٣) الثعالبي، ثمار القلوب، ج١ ، ص٤٤٨؛ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال،ج٢ ، ص١٢٨.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج ١١، ص ١٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢٢ ، ص ١٠٥.

بن مالك بن جعفر بن كلاب. ويروى أن الشاعر الأعشى أتى علقمة بن علاقة بن عوف جعفر بن كلاب، فسأله أن يتليه (يجيره)، فقال له علقمة، أتليتك على بني الأحوص، قال الأعشى: لا يقنعني، قال: فعلى بني كلاب، قال: لا يقنعني، قال: فليس عندي أكثر، وجاء الأعشى إلى عامر بن الطفيل وطلب الإجارة منه، فأجابه: أتليتك على الجن والإنس[1] ومن الموت، قال الأعشى: نعم، وكيف تجيرني من الموت، قال: إن مت وأنت في جواري، بعثت إلى اهلك الدّية، فقال: الآن علمت انك قد أجرتني من الموت، فأمتدح عامراً[2].

٨- الإجارة المشروطة:

وفي هذا النوع من الإجارة، يشترط المجير على المجار أو يتعهد ألاّ يسيء إلى الجوار، أو سمعة المجير، وإلا يكن في حِل من جواره، فيُذكر أن أبا سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال: يا هذا إنك اخترتني جاراً أو اخترت داري داراً، فجناية يدك على دونك، وأن جنت عليك يد فأحتكم حكم الصبي على أهله[3]. أي الشرط عدم الاعتداء، وفي حالة الاعتداء عليه يجيره.

٩- اجارة الظعن[4]:

من القيم الإنسانية التي عرفها العرب قبل الإسلام المروءة، يأتي الجوار معبراً عنها حين كان يجار كل ظعينة تمر بأرض القبيلة، وممن اشتهر بهذا النوع من الإجارة ربيعة بن مكدم الكناني، حتى ضربوا به المثل فقالوا فيه: (أحمى من مجير

---

(١) القلقشندى، صبح الأعشى، ج١، ص ٤٣٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص ١٤٢.

(٣) الابشهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج١، ص ٢٩٩.

(٤) الظعن: الرحيل في الهودج، ومن ثم سميت المرأة التي كانت في هودجها ظعينة، ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٦، ص٢١٦، أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص٣٤٠.

الظعن)[1]. وقصة ذلك ما ذكره أبو عبيدة: أن نبيشة بن حبيب السلمي خرج غازياً فلقي ظعنا من كنانة بالكديد[2]، فأراد أن يحتويها فمانعه ربيعة بن مكدوم في فوارس، وكان غلاماً فشد على نبيشة فطعنه في عضده، ورجع إلى قومه وتداوى، فرجع عليهم فكشفهم، وذاد عن الظعن، وقال: إني لميت وسأحميكن ميتاً كما حميتكن حيا، ومر الظعن إلا أنه في النهاية قتل[3].

دوافع الإجارة:

هناك أكثر من سبب لنشوء هذه الظاهرة الاجتماعية، حتى غدت من القوانين التي تفرض التزاماتها على الطرفين(الجار والمجير). إذ ألقت الظروف الاجتماعية البالغة الأثر بظلالها على الإنسان العربي قبل الإسلام من عمليات ثأر قبلي سواء كان فردياً أم جماعياً، فالقتل نتيجة الحروب والغارات تدفع بالأفراد أو الجماعات إلى الالتجاء إلى قبائل أخرى طالبة الإجارة منها لتؤمن لهم الحماية، فقصة المنتشر الباهلي الذي سبق ذكرها والأخرى التي وضحت تصدع بأهلة نتيجة لعملية القتل التي قام بها سيدها لثلاثة من بني جعدة، جعلت باهلة تخشى ردود الفعل بطلب الثأر ضدها فاستجارت بـ(يزيد الكلاعي) و(عقال بن خويلد) فأجارهم فضلا عن ذلك إن حوادث القتل الفردي، ربما تدفع الفرد إلى ترك قبيلته واللجوء إلى قبيلة أخرى، يتبين بما رواه أبو عبيدة، عن قتل(الحارث بن ظالم المري) لـ(خالد بن جعفر الكلابي) غدراً، فخشى قومه، فهرب والتحاق بقبيلة تميم واستجار بهم فأجاروه[4].

وقد يجد الفرد ضعفا في نفسه عن أن يبلغ غايته فيلجأ إلى أحد يحميه ويحقق له

---

(١) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص٤٠٩ ؛ الالوسي، بلوغ الإرب، ص١٤٤.

(٢) الكديد: موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ٤٤٢.

(٣) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص ٢٢١.

(٤) أبو عبيدة، أيام العرب، ق١، ص ٤٩٥ – ٤٩٦ ؛ النقائض، ص٢٢٦؛ الأسفهاني، الأغاني، ج١١، ص ١١٨.

غايته ، ويتضح ذلك من قصة الدّين الذي كان بذمة عجرد بن عمرو ، وعدم استطاعت ضابيء بن الحارث البرجمي من استرداده ، فدفعه إلى أن يستجير بـ(ربيعة بن مقروم) لاسترداده منه ، فضمن له جواره. كما ذكرنا أنفاً. ومن الأسباب أيضاً خشية الفرد إذ ارتكب جرماً وما يترتب عليه في المجتمع العربي قبيل الإسلام ، فيدفعه إلى أن يترك قبيلته ويلتجئ إلى قبيلة أخرى ، فيطلب الإجارة منها ، وهذه العادة أصبحت من عادات العرب إذ (يلجأ إليهم المجرم من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله)[١]. وكانت التصرفات الفردية المبالغ بها ، والتي تتناقض مع الأعراف الاجتماعية للقبيلة حين يفرط الفرد بممارستها ، قد تكون مدعاة لخلعه ، كما هي الحال فيما فعلت كنانة ، حين خلعت البراض بن قيس الكناني أحد فتاك العرب[٢] ألذين يضرب بهم المثل أفتك من البراض[٣] ، وكان سكيراً فاسقاً ، فطلب الجوار من بني الدّيل(حي من عبد القيس) ، وكذلك استمر على عادته بالإفراط في شرب الخمر فخلعوه ، فأتي مكة وجاء إلى قريش ، ونزل على حرب بن أمية فحالفه وأحسن جواره ، ولكنه شرب الخمر في مكة حتى همّ حرب أن يخلعه ، إلا انه من عادات العرب ، إذا تم خلع الشخص لأكثر من مرّة من قبل مجيره ، لم يقبل فيما بعد جواره ، لذا اتفق مع حرب بن أمية أن يبقى في جواره ظاهرياً بقوله: فدعني على حلفك وأنا خارج عنك فتركه حتى لا يفتك به احد[٤].

وإن الاقتتال بين القبائل قبيل الإسلام ، يدفع أحيانا لأن تستجير قبيلة بأخرى ، حين تشعر بعدم توازن كفتي القوة والاستعداد ، مثلما حدث حين غزت بنو قيم بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة(الغطاريف – من الازد –) فاستجاروا ببني سلامان (من بني الحارث بن كعب) فأجاروهم حتى هزموا بني قيم[٥].

---

(١) احمد زكي، جمهرة خطب العرب، ج١، ص ٥٣.

(٢) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ج١ ، ص١٢٨.

(٣) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال،ج٢ ، ص١١٠.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص٦١.

(٥) المصدر نفسه، ج١٢ ، ص ٢٢٥.

وتُعد حماية القوافل التجارية من إحدى دواعي الإجارة ، فكان النعمان بن المنذر يوجه كل سنة بلَطيمَة(العيرُ التي عَلَيها اَحْمَالُهَا) إلى عكاظ للتجارة ، ولا يتعرض لها احد من العرب ، حتى قتل النعمان اخاً لـ(بلعاء بن قيس) ، فأخذ بلعاء يغير على لطائم النعمان ، فلما اجتمع عروة والبراض عنده قال:مَنْ يجير لطائمي؟ فقال البراض: أنا ، وقال عروة: أنا ، مثله ، وتنازعا كلاماً ، فلما خرجا وانصرف عروة ، عارضه البراض فقتله واخذ ما كان معه من لطائم النعمان[1]. وعُد الإيلاف نوع من أنواع الإجارة ، لحماية القوافل التجارية ، وهو إجارة بالحفارة ، يقال: آلف يؤلف: إذ أجار الحمائل بالخفارة ، والحمائل جمع حمولة. وكان أصحاب الإيلاف أربعة إخوة: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف ، فأما هاشم فإنه كان يؤلف ملك الشام أي أخذ منه حبلاً وعهداً يأمن به في تجارته إلى الشام ، وأخوه عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة ، والمطلب إلى اليمن ، ونوفل إلى فارس ، ومعنى يؤلف يجير ، فكان هؤلاء الإخوة يسمون المجيرين ، وتجار قريش يختلفون إلى الأمصار بحبل هؤلاء الإخوة ، فلا يُعترض لهم[2]. وجُعلت للأسواق التجارية خفارة(إجارة) للتجار الذين يرتادونها من أماكن بعيدة ، فقد أعطت قبائل مُضر أشبه بالتخويل إلى قبائل قريش منحتهم بموجبه حق الجوار للتجار الذين يرتادون سوق المُشقر بهَجَر[3] من خارج أحياء مُضر وحلفائها والسبب في اختيار قبائل قريش لأنهم قوامى على الحرمات بمكة[4]. ويبدو ان الوصول للأسواق التجارية يتم بخفرة القبائل التي ينعقد في أراضيها السوق أو التي يمر منها التجار وصولا للسوق ، منها ما ذُكر عن وصول التجار إلى سوق الشحر بخفرة بني محارب(من قبيلة مهرة من قُضاعة)[5]. أما إذا كانت الطرق المؤدية إلى الأسواق التجارية شاقة وطويلة فيتقاسم خفارة التجار أكثر من قبيلة يتضح

---

(١) اليعقوبي، تاريخ،ج٢، ص ١٥.

(٢) القرطبي، الجامع، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٣) هجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٥، ص٣٩٢.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٥.

(٥) المصدر نفسه والصفحة.

ذلك في وصول التجار إلى سوق الراية في حضرموت بخفارة قبائل حضرموت وأحياء من كندة[1].

طلب الجوار:

درج العرب قبل الإسلام لعقد الجوار أو طلبه أن يقوم المستجار بمراسيم أو أعمال يفهم منها طلب الإجارة ، إذ صارت هذه الإعمال من الأعراف التي أستمر عليها العرب حينما يراد طالب الجوار أن يستجير بسيد ذي شرف ومنعة. فقد تُعقد الإجارة بالطلب الصريح ، حين يشعر الرجل بأن من يستجير به كفؤ لأن يجيره ، لأن سيد العشيرة إذا أجار إنسانا لم يخفروه[2]. وإلا فما الفائدة من الاستجارة برجل ضعيف قد يكون هو نفسه في حاجة إلى الاستجارة بأحد ، فلا يجير أحدُ أنساناً إلا إذا أحس انه في إمكانه أداء الجوار[3]. ويبدو واضحاً فيما ذكر عن استجارة الأسود بن عبد يغوث لـ(المقداد الكندي) بعد أن هرب الأخير من حضرموت اثر ضربه لأحد أقيال[4] حضرموت(أبي شمر) واللجوء إلى مكة ، فنظر المقداد إلى رجل يطوف بالبيت متقلداً سيفين فقال: ما تقلد هذا سيفين إلا هو منيع ، فسأل عنه فقيل هذا الأسود بن عبد يغوث فأتاه المقداد واخبره وسأل أن يحالفه وان يجيره ففعل الأسود[5].

ومن الأعراف لعقد الجوار أيضا ، أن قوماً إذا استضافوا وأكلوا طعام الذي استضافوه فيُعد هذا من الجوار ، ويتضح ذلك حين أراد ربيعة بن شكل آن يجير بني عبس بن بغيض ضد بني كلاب ، فقال لهم أمهلوني حتى اطلع قومي ، إلا إن قومه

---

(1) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٢٦٦.

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ١٥٥.

(3) ينظر: جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٤ ، ص ٣٦٢.

(4) القيل: دون الملك الأعظم واحدهم قيل يكون ملكا على قومه ومخلافه ومحجره وسمي الملك قيلا لأنه إذا قال قولا نفذ قوله ينظر: ابن منظور: لسان العرب ج١١ ، ص٥٧٦.

(5) ابن حبيب ، المنمق ، ص ٢٦٤.

رفضوا ، مما دفعهم للاحتكام إلى الاحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم ، فقال لربيعة بن شكل:أطللتهم طلك ، وأطعمتهم طعامك قال: نعم ، قال: فقد أجرت القوم ، فأنزلوا القوم وسطهم وأجاروهم[1].

وإن الدخول إلى قبة[2] سيد القبيلة أو خبائه للاستعاذة ، يُعد عقداً لداخلها بالجوار ، ففي وادي عوف الذي كان لآل ملحم بن ذهل قبة عرفت بـ(قبة المعاذة) من دخلها أو لجأ إليها أعاذوه ، ومن أشهر رجالاتهم عوف بن ملحم بن ذهل بن شيبان ، كان مشهوراً في العرب بذمة الجوار ، وكان مروان بن القرظ يطلبه عمرو بن هند ، فدخل مروان قبة عوف بن ملحم فلم يجده وأجارته ابنته ، وبعد أن حضر عوف أبى أن يسلمه إلى عمر بن هند الذي قال قولاً ضُمن في أمثال العرب: (لا حر في وادي عوف)[3]. وتعطي رواية أبي عبيدة إيضاحا أكثر عن الإجارة بالقبة ، ففي القتال الدائر بين بني شيبان وبني تميم أسر بسطام بن قيس الشيباني من قبل عتيبة (أحد قادة بني تميم) ، فقال له: والله لأضعنك في أعز بيتين من مضُر ، في بني جعفر بن كلاب أو في بني عمرو بن جندب ، فاختار بسطام بني جعفر ، وتوسط بسطام بيوت بني جعفر وقال: واشيباناه ، ولا شيبان لي ، فبعث إليه عامر بن الطفيل إن استطعت أن تلجأ إلى قبتي فافعل ، فأني سأمنُعك ، وان لم تستطع فاقذف بنفسك إلى الركى (الآبار) التي خلف بيوتنا[4].

ومن العادات التي عرف عنها في طلب الجوار ، الدخول في خباء السيد المجير أو التمسك بأطنابه ـ حباله ـ ، ففي حرب الفجار التي دارت رحاها بين كنانة وقيس ، ضرب مسعود بن معتب الثقفي على امرأته سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناة

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج ١١، ص ١٢٨.

(٢) القبة: خيمة مستديرة من آدم، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٤، ص٣، وكانت لا تكون ألا للرؤساء والأشراف، ينظر: الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب،ج٣، ص١١٥.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٥٠؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص ٢٣٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص٤٧٤- ص٤٧٥.

خباء ، وحالما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها ، فأجار لها حرب بن أمية جيرانها وقال لها: ياعمة ، من تمسك بأطناب خبائك ودار حوله فهو آمن ، فنادت بذلك ، فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا ، فلم يبق أحدُ لا نجاة عنده إلا دار بخبائها ، وكان مسعود بن معتب قد أخرج معه يومئذ بنيه: (عروة ولوجة ونويرة والأسود) ، فكانوا يدورون وهم غلمان في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم ليجيروهم فيسودوا ، فقيل لذلك الموضع: (مدار قيس) ، وكان يضرب به المثل مما يغضب قيس[1]. ويفهم من ذلك إن المرأة قبل الإسلام يُقبل جوارها ، يؤكده ما نقرأ عن عدد من النسوة أسُتجير بهنّ منها: (جماعة بنت عوف بن محلم الشيباني) أجارت مروان بن زنباع العبسي ، و(فكهية بنت قتادة بن مشنوء) من بني مالك بن ضبيعة ، أحد بني قيس بن ثعلبة ، أجارت السليك بن السلكة السعدي ، عندما لاحقته جماعة من(بكر بن وائل) ، حتى ولج قبة فكهية فاستجارها ، فأدخلته تحت درعها ، ودافعت عنه حتى انتزعوا خمارها ، ونادت أخوتها وولدها فوفوا حتى دفعوا عنه ونجا من القتل ، فقال السليك يمدحها:

لعمـر ابيـك والأنبـاء تنمـى ... لنعم الجـار اخـت بـني عـوارا[2].

وهناك ما ابتدعه العربي قبل الإسلام في طلب الإجارة ، فعندما يأتي المستجير إلى المجير ولم يجده ، يعقد طرف ثوبه إلى جانب طنب(حبل) خباء المجير ، وإذا تحقق ذلك تُعلن إجارته ، كما حدث لـ(عبيد بن جري) ، عندما ضرب هلال بن الأسعر مما دفع عبيد أن ينزح من قبيلته ويأتي إلى موضع من بلاد بني مالك فيه ماء يقال له الوقبي ، فسأل من أعز أهل الماء ، فقيل له: معاذ بن جعدة بن زرارة فأتاه فوجده غائباً عن الماء ، فعقد عبيد طرف ثيابه إلى جانب طنب بيت معاذ ، وأعلن أن رجلاً استجار بآل معاذ بن جعدة فقُبلت إجارته[3].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ٧٢.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٢٣ص ٤٢٤ ، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ،ج١، ص ٤٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٥٩.

ولا غرابة في أن يرمي رداء من المجير إلى الجار فيخرج فيه وتعُد هذه إشارة لقبول الجوار ، مثلما ذُكر في قصة اختلاف حرب بن أمية مع رجل من تميم وتوعده حرباً في مكة ، ثم بقى التميمي دهراً ثم أراد دخول مكة ، فقال من يجيرني من حرب ، فقالوا: عبد المطلب ، فقال: عبد المطلب أعظم قدراً من أن يجير على حرب ، وعندما دخل دار عبد المطلب فقال: أجرني.. فكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم الناس فيها ، فقال أخرج: فقال: كيف أخرج وتسعة من ولدك قد أحتبوا بسوفهم على الباب ، فألقى عليه رداء كان كساه سيف بن ذي يزن ، فخرج عليهم ، فعلموا انه قد أجاره فتفرقوا عنه[١].

ومن مراسيم عقد الجوار ما أشتهر في يثرب عن(ألقواقل ، والجعادرة) ، والقواقل: هم قوم من الخزرج من بني عوف بن الخزرج ، والقواقل: (عبادة بن الصامت بن أصرم ، وأبو عبد الرحمن وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة من بني غصينة من بلى حليف لهم) ، وقيل إنهم سموا بـ(القواقل) لأنهم إذا استجار بهم رجل دفعوا له سهماً وقالوا له: قوقل بيثرب حيث شئت[٢]. أما الجَعَادِرَة: هم بَنُو مُرَّةَ بن مالك بن أَوْس ويقال كانوا إِذا أَجاروا أَحداً قالوا جَعْدِرْ حيثُ شِئْتَ أي اذْهَبْ لذا أُطلِقَ عليهم الجَعَادِرَة [٣].

وعُرِف عن العرب الإجارة بقبور سادة القبائل ، بتقديس بعض قبورهم وجعلها (حِمى) ، مثلما هو الحال في قبر عامر بن الطفيل[٤]. وهذا ما يفسر الاستعاذة ببعض القبور ، كما في القصة التي رواها (ابن حبيب) عن وفاء عمير بن الحنفي ، أن رجلاً من بني عامر بن كلاب استجار عمير بن سلمى وكانت معه امرأة جميلة ، فكان قرين اخو عمير يتحدث إليها حتى بلغ ذلك زوجها فنهاها ، فخافته فانتهت ، فلما

---

(١) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص ٥٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٩٤؛ الجوهري، الصحاح، ج٥، ص ١٨٠٣، والقوقلة: ضرب من المشي، ينظر: ابن هشام، المصدر نفسه.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٤٤٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٧، ص ٦٧.

رأى قرين ذلك وثب على زوجها فقتله وعمير غائباً ، فأتى أخو المقتول قبر سَلمى فعاذ به وقال:

وإذا استجرت من اليمامة فاستجر زيــد بــن يربــوع وآل مجمــع

واتــيت ســلميا فعــذت بقــبره واخــو الزمانــة عائــذ بــالامنع

فقدم عمير ، فأخذ أخاه ، وبلغ ذلك وجوه بني حنيفة فأتوه فكلموه ، فقال: والله لا ادعه أو يعفو عنه جاري ، فأتوا أخا المقتول فضاعفوا له الدية فأبى وعندما رفض ، اخذ عمير القصاص بقتل أخيه وفاءً للجوار[1].

وهناك إشارات يقوم بها طالب الإجارة أمام المجير يفهم منها طلب الإجارة ، كما درجت عليه العادة في تنكيس الرمح وعدم رفعه إلا أن يعقد الجوار ، مثلما هو واضح في قصة هروب الحارث بن ظالم المرّي من ملك الحيرة ، وأخذ يتنقل بين القبائل حتى وصل عكاظ وبها عبد الله بن جدعان ، فنكس الحارث رمحه أمام مضرب ابن جدعان ، ثم رفعه حين عرفوه ، وأمن ، وأقام بمكة[2]. ومن الطريف في بعض عادات الجوار ، ما ذكر عن رجلٍ انتهى إلى بئر ، فعلق رشاءه(الحبل) برشائها ، ثم صار إلى صاحب البئر ، فطلب جواره ، فقال له: ما سبب ذلك ، قال: علقت رشائي برشائك ، فأني صاحب البئر وأمرك بالرحيل ، فقال: (علقت معاقلها وصرّ الجندب– والجندب ذكر الجراد –) أي جاء الحر ولا يمكنني الرحيل فقبل جواره[3].وأصبح هذا مثل يقال للأمر إذا وقع وثبت ، وللشيء تأخذه[4].

وثمة أماكن مقدسة لها حرمة وجوار يستجير بها المرء فيجار ، مثل مكة التي حرمها سيدنا إبراهيم(عليه السلام) ودعا لها: ((رب اجعل هذا البلد آمنا))[5].وفي قوله

---

(١) المحبر، ص ٣٥١ – ٣٥٢.

(٢) البلاذري، انساب الأشراف، ج١، ص ٤٢ وما بعدها.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٦١.

(٤) المصدر والصفحة نفسهما.

(٥) سورة البقرة / الآية، ١٢٦.

تعالى: (اِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[1] ، حرمها الله سبحانه وتعالى على خلقه أن يسفكوا فيها دماً حراماً ، أو يظلموا فيها أحدا ، أو تصاد صيدها[2]. وحين سادت قبيلة جرهم على مكة وكثر بغيهم قام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث فقال: يا قوم احذروا البغي ، فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ، ولا تظلموا من دخله وجاء مُعظماً لحُرماته ، أو خائفاً أو راغب في جواره[3]. وكانت كعبة نجران في اليمن من الأماكن المقدسة التي يستجار بها ، فكان أهل نجران يعظمونها ، وكانت إذا جاءها الخائف أمِنَ أو طالب حاجة قُضيت ،أو مسترفد أرفد [4].

الالتزامات المترتبة على الإجارة:

بعد أن يُعقد الجوار بين الجار والمجير ، يُعلن عنه وعن نوع الإجارة ، وغالباً ما يتم الإعلان في الأماكن العامة ، أو عند انعقاد الأسواق التجارية ، فيترتب على عقد الجوار التزامات من كلا الطرفين(الجار والمجير) ، وأصبحت من الأعراف الاجتماعية التي ألفها العربي قبل الإسلام إلى الحد الذي لا يمكن الإخلال بها.

فمن جهة المجير يُحتم شرف الرياسة أن يحفظ الجوار ، وترى العرب ذلك ديناً تدعو إليه وحقاً واجباً تحافظ عليه[5]. فأولى واجبات المجير أن يحفظ ذمة الجوار بعد أن يدخل الرجل في ذمته أو جواره ، وينبغي على المجير أن يفي في هذه الذمة وإلا عُد ناكثاً ، وقد ضرب العرب الأمثال في الحفاظ على ذمة الجوار وعدم إخفارها ، أي نقضها منها: (ربيع الناس والشهر الحرم) ، يريد انه كالربيع في الخصب لمجتديه

---

(١) سورة النمل / الآية ٩١ ٧.

(٢) القرطبي، الجامع، ج٣، ص٢٤٦ ؛ ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج٣،ص٣٧٩.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٥، ص ١٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٣٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٨- ص٢٦٩، وعن كعبة نجران ينظر: سعد عبود سمار، قبائل مذحج قبيل الإسلام حتى نهاية العصر الراشدي، ص ١٣٢ –ص١٣٤.

(٥) الابشهي، المستطرف، ج١، ص ٢٩٩.

وكالشهر الحرام لجاره لا يوصل إلى من أجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى احد[1]. ومنها: (لا حر في وادي عوف) ، وقد سبق أن تحدثنا عنه بالتفصيل في بحثنا هذا ، ويدل على منعة عوف بن محلم للذي يجيره في هذا الوادي.

وفي ضمن ما ذكره(ابن حبيب) عن أسماء الوافين من العرب ، ترد أسماء من أوفى بذمة الجوار منهم(أوفى بن مطر المازني) ، وتظهر صورة وفائه عندما جاوره رجل ومعه امرأة له ، فأعجبت قيساً أخاه ، فجعل لا يصل إليها مع زوجها ، فقتل زوجها غيلة ، فبلغ ذلك أوفى فقتل قيساً أخاه بجاره[2]. وتتكرر صورة الوفاء بذمة الجوار في قصة المعلى الطائي الذي أجار امرأ ألقيس بعد أن طلبه المنذر ، فأدخله المعلى قبة حرمه ، وأنكر انه عنده بعد أن فتش المنذر منازل المعلى حتى انتهى إلى القبة ، فقال فيها حرم المعلى ولست واصلاً إليه ، ونادى في قومه فمنعوه[3]. وتظهر ذمة الجوار كذلك في قصة غضب النعمان على بني عامر بن صعصعة ، فقتل منهم ناساً وشرد اخرين فألجأهم عصيمة بن سنان بن منقر من بني تميم وأجارهم ، فبعث إليه النعمان: ابعث إلي بعبيدي: فأبى ونادى في قومه شعاره (كوثر) ، واقبل النعمان فأستقبله عصيمة ومنعه أن ينال منهم ، ثم أحسن عصيمة جوارهم وكساهم وبلغهم مأمنهم[4].

وتترتب على ذمة الجوار نتائج في حال تعرض الجار إلى حادث قتل ، وما تحتمه قيم الإجارة من الثأر للمستجير ، قد يقود ذلك إلى حرب تلقي بآثارها على المجير وقبيلته ، ويظهر ذلك في إجارة هانئ بن قبيصة الشيباني للنعمان بن المنذر وأهله وودائعه ، إلى توتر العلاقة بين بني شيبان وأحلافهم من قبائل العرب مع الفرس ، فبعد أن رفضت قبيلة طيء أجارة النعمان بقولهم: لاحاجة لنا في معاداة كسرى[5].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص ٣٢.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ٤٨٧.

توجه إلى بني شيبان في ذي قار واستجار بـ(هانئ) ومنعه ما يمنع نفسه[1]. وتبدو ذمة الجوار واضحة في قول هانئ للنعمان: قد لزمني ذمامك ، وأنا مانعك ، مما امنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأدنين رجل[2]. وبعد اغتيال الفرس للنعمان بن المنذر ، اتخذت بنو شيبان وحلفاؤها موقفا ضد الفرس بشن غارات على أطراف مملكة فارس[3]. وعندما رفض بنو شيبان تسليم ودائع النعمان إلى كسرى ، قاد ذلك إلى نشوب معركة ذي قار[4]. وقد وثق الشاعر ذمة الجوار بقوله:

إني إذا الجار لم تُحفَظ محارمه ولم يقل دونه هيد ولاهاد

لا اخذل الجار بل احمي مباءته وليس جاري ككعس بين أعواد

أي لا يحرك ولا يمنع من شيء ولا يزجر[5]. وفي الأعم تقود الإجارة ، وذمة الجوار ، إلى سلسلة من الحروب وسببها الذود عن المجار وعدم تسليمه ، كما حدث لإجارة الحارث بن ظالم المري من قبل تميم ، وأبو أن يسلموه أو يخرجوه من عندهم ، فجر جواره يوم رَحرَحان[6] ، وجر يوم رَحرَحان[7] يوم جبلة[8]. وتعكس قصة الخولاء ما يترتب عليه عندما يحدث للمجار اعتداء أو تجاوز فيّعد ذلك تطاولا على

---

(١) الطبري، تاريخ،ج١ ، ٤٧٨.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٢ ، ص١١٨.

(٣) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص٢٦١.

(٤) ينظر: تفاصيل الواقعة ، محمود عبد الله العبيدي، بنو شيبان ودورهم في التاريخ، ص١٣٨- ص١٥٢

(٥) ابن منظور ، لسان العرب، ج٣ ، ص٤٤١ ، وهيد ولا هاد: أي لا يحرك، والمباءة: المنزل، وكعس: عظم السلامي، المصدر نفسه.

(٦) أبو عبيدة، النقائض،ج١ ، ص٢١؛ ج٢ ،ص١١٥؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص ١١٨.

(٧) بين قيس و تميم، ورحرحان: اسم جبل قريب من عكاظ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣ ،ص٣٦.

(٨) لعامر (من قيس) وحلفائهم من عبس، على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرها ،ينظر: محمد احمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية ، ص٣٤٩ . وجبلة: جبل طويل في نجد له شعب عظيم لا يرقى إلا من قبله، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠٤.

المجير، والحولاء كانت خبازة في بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم فمرت بخبزها تحمله على رأسها، فتناول رجل منهم من رأسها رغيفاً فقالت: ما أردت بهذا إلا إهانة رجلاً كانت في جواره، فثأر القوم فتقاتلوا بينهم حتى ضرب بذلك المثل: (أشأم من رغيف الحولاء)[1].

ويعامل المجار معاملة الصريح، فتفرض الدّية على من قتله، أو تسبب في قتل احد أفراد عائلته، مثلما حدث في إجارة الشاعر الجاهلي الحارث بن همام بن مرّة لـ(أبي دواد الأيادي)، فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير فغمسوا ابناً لأبي دواد فقتلوه، فخرج الحارث فقال: لا يبقى في الحي صبي إلا غرق في الغدير، أو يرضى أبو دواد بعشر ديات، فرضي أبو دواد بالدّية، وضرب بذمة جاره المثل القائل: (كجار أبي دواد)[2]، وفي هذا انشد قيس بن زهير العبسي:

اطوف ما اطوف ثم آوي ... إلى جارٍ كجار ابي دواد

فصارت العرب إذا حمدت جاراً يُحسن جواره، قالوا (كجار أبي دواد)[3]. وتتلخص ذمة الجوار والحفاظ عليها بما أعلنه كعب بن إمامة من حقوق للجوار: أن يقدم للمُجار ولعياله بكل ما يصلحه ويحميه ممن يطلبه، وإذا هلك له بعير أو شاة أو عبد يخلف عليه، وإن مات يعطى لعياله الدّية[4].

أما الواجبات المترتبة على المجار تجاه مجيره فتتلخص بعدم الإساءة إلى سمعة مجيره أو أرتكاب جرمٌ يخالف به عقد جواره، وهذا ما يعلل إنهاء حرب بن أمية جواره للبراض بن قيس – وهو رجل من بني ضمرة – لقتله رجلاً من هُذيل، وبذلك خالف البراض شروط عقد جواره مع حرب بن أمية[5]. وعلى المُجار لا يغدر

---

(١) ابو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص٥٥٧، الثعالبي، ثمار القلوب، ج١، ص١٨٢؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٨٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ٢٠٢.

(٣) الثعالبي، ثمار القلوب، ج٢، ص١٥.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٥.

بمن يجيره ، لأن ذلك يعرضه لانتهاك الجوار أو للقتل ، كما في قصة الحارث بن ظالم الذي استجار بملك من ملوك الغساسنة يقال له يزيد بن عمرو الغساني فأجاره ، وكانت للملك ناقة محماة ، وكان يختبر بها رعيته ، هل يجرؤ عليه احد منهم ، فقام الحارث بن ظالم فقتلها ، وعندما عرفت بأمره امرأة قتلها هي الأخرى ، ودفنها في داره ، وبذلك ارتكب جرمين ، فأمر الملك بقتله ، فقال له الحارث بن ظالم: أنك قد أجرتني فلا تغدر بي ، فقال له الملك: لا ضير! إن غدرت بك مرة ، فقد غدرت بي مرارا[1]. وكانت العرب أذا أرادوا إلغاء الجوار ، أجلو الجار ثلاثة أيام ، يخرج فيها من أرض القبيلة[2].

ثانيا: الإجارة في عصر الرسالة الإسلامية:

الإجارة في القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم آيات ذكرت فيها الإجارة بمفهومها عند العرب قبل الإسلام ، كما في قوله تعالى:(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُم)[3]. وفي إيضاح معنى الإجارة في هذا النص القرآني ما أشارت إليه الروايات ، أن إبليس جاء كفار قريش وهم في طريقهم إلى بدر ، وقد لفهم الخوف من بني بكر وكنانة لحروب كانت بينهم ، فجاءهم في صورة سُراقة بن مالك بن جشعم ، وهو سيد من كنانة فقال لهم: إني جار لكم ، ولن تخافوا من قومي وهم لكم أعوان على مقصدكم ولن يغلبكم احد ، ولما التقى الجمعان (المسلمون من جهة والمشركون من جهة أخرى في بدر)كانت يد سراقة في يد الحارث بن هشام ، فلما رأى سراقة الملائكة ، نكص فقال الحارث: أتفر يا سراقة ، ووقعت الهزيمة ، فتحدثوا هُزم الناس سُراقة ، فبلغ ذلك سُراقة بن مالك فأتى مكة ، فقال لهم: والله ما علمت بشيء من أمركم حتى بلغني هزيمتكم ولا رأيتكم ولا كنت معكم ،

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب، ق١،ص٥٣٥ – ص٥٣٨.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج١٥، ص ٣٥٨.

(٣) سورة الأنفال / الآية ٤٨.

ولما أسلموا علموا انه الشيطان[1]. ويلغي القرآن الكريم نوعاً من الإجارة كان شائعاً عند العرب قبل الإسلام وهو(الإجارة بالجن) ، فيأتي الخطاب موجهاً للرسول محمد(ﷺ): (قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً)[2]. وفي تفسير هذه الآية تشير الرواية التاريخية إلى أن حضرمياً ذكر له أن جنياً من أشرافهم ذا تبع ، قال: إنما يريد محمد أن نجيره وأنا أجيره ، فنزلت هذه الآية[3]. وفي رواية أخرى عن ابن مسعود قال: انطلقت مع النبي(ﷺ) ليلة وفد الجن إليه ، فازدحموا عليه ، فقال سيدهم يقال له وردان: أنا أرحلهم عنك ، فقال(ﷺ): أنني لن يجيرني من الله احد[4]. أما مركز الاهتمام الذي ركز عليه القران الكريم لنوع الإجارة في الإسلام ، فجاء الخطاب ليوضح أن الإسلام ارتقى بمفهوم الإجارة ، وان الله(ﷻ)المجير الأول الذي يجير الإنسان و يكون له خفيراً مما يخاف[5] ، ويغيث – يجير – الله(ﷻ) ممن يجار ولا يغيث احد منه [6]. وهذا ما جاء في قوله تعالى: (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[7].

ويخص الخطاب القرآني على لسان النبي محمد(ﷺ) بما يوضح أن الله(ﷻ) يجير المؤمنين من العذاب دون الكافرين: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)[8] ، وهنا يوجه القرآن الكريم خطابه للمشركين بالله الجاحدين بنعمه أن يُخلصوا أنفسهم ، فإنه لا منقذ لهم إلا التوبة

---

(١) الصنعاني، تفسير القران، ج٢ ، ص٣٦؛ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القران، ج٣، ص١٤٣.

(٢) سورة الجن / الآية ٢٢.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢٩، ص١٢٠.

(٤) القرطبي، الجامع، ج١٩، ص٣٦.

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص٣١.

(٦) الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص٤٩٦.

(٧) سورة المؤمنون / الآية ٨٨.

(٨) سورة الملك / الآية ٢٨.

والرجوع إليه[1] ،وتظهر المؤمنين مع إيمانهم يخافون عذاب الله ويرجون رحمته فمن يحمي المشركين من عذاب الله وهم كافرين[2]. وفي التعامل مع إجارة المسلمون للمشركين حددها القرآن الكريم بالزمان والمكان والشرط ، تتضح من قوله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ)[3]. وفي هذه الآية يتوجه الله(ﷻ) بخطابه إلى الرسول محمد(ﷺ) ، إن استجارتك أحد من المشركين حتى يسمع كلام الله منك ويتدبره حق تدبره ، ويقف على حقيقته فتدعو إليه ثم ابلغه مأمنه ، أي إلى الدار التي يأمن فيها بعد ان يسمع كلام الله ، إن لم يسلم بعد أن تبلغه مأمنه قاتله فقد خرج من جوارك ورجع إلى ما كان عليه من إباحة دمه ووجوب قتله حيث يوجد[4] ، وفي رواية رواية أوردها الطبري في تفسيره لهذه الآية إيضاح أكثر ، إذ تشير إلى خروج الرسول(ﷺ) غازيا ، فلقي العدو ، واخرج المسلمون رجلا من المشركين واشرعوا فيه الأسنة ، فقال الرجل: (أرفعوا عني سلاحكم واسمعوني كلام الله ، فقالوا: تشهد أن لا اله إلا الله وان محمد عبده ورسوله ، وتخلع الأنداد وتبرأ من اللات والعزى ، فقال: فإني أشهدكم إني قد فعلت)[5].

الإجارة في أحداث الدعوة الإسلامية في مكة:

لم يستطع الرسول(ﷺ) من الجهر بدعوته إلا بفضل إجارة بني هاشم لاسيما عمه أبو طالب له وتتجلى منعة أبي طالب مخاطبا الرسول(ﷺ): اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لشيء أبدا[6]. وحين اشتدت قريش والقبائل التي

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٤٠٠.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢٩، ص١٣.

(٣) سورة التوبة / الآية ٦.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٣٣٨.

(٥) ج١٠، ص ٨٠.

(٦) الكلاعي، الاكتفاء، ج١، ص ٢١٧.

معها على أصحاب رسول الله الذين اسلموا ، ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويقتلونهم عن دينهم ، قام أبو طالب حينما رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع (إجارة أو حماية) رسول الله(ﷺ) والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وأقاموا معه وأجابوا إلى ما دعاهم ، إلا ما كان من أبي لهب[1]. وتلقي الرواية التي أوردها (ابن سعد) الضوء على مدى منعة بني هاشم وبني المطلب للرسول(ﷺ) ، عندما خطط زعماء قريش لاغتياله(ﷺ) ، عندها دفع أبو طالب فتيانا من بني هاشم وبني المطلب ، وطلب منهم أن يأخذ كل واحد منهم حديدة صارمة ثم يتبعه إلى الكعبة ، وحالما وصل ، اخذ بيد النبي(ﷺ) ، ووقف على أندية قريش ، ومعه الفتيان ، فقال: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا ، لا ، فأخبرهم الخبر ، وقال للفتيان: أكشفوا عما بأيديكم ، فكشفوا ، فإذا كل فتى منهم معه حديدة صارمة ، فقال: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحدا ، حتى نتفانى نحن وأنتم ، فانكسر القوم ، وكان أشدهم انكساراً أبو جهل[2].

وسمت الدعوة الإسلامية في طبيعة الإجارة عما كانت عليه قبل الإسلام ، فعلى الرغم من تطرف المشركين في مواقفهم المضادة لنشر الإسلام ، إلا أن الإجارة سرعان ما ترد من المستجير ، لأنه لا يرتضي المسلم الجوار لنفسه بينما الآخرين من المسلمين يتلقون أقصى صنوف التعذيب من قبل المشركين ، ويتضح منحى الإجارة تلك في قصة إشهار عمر بن الخطاب(ﷺ) لإسلامه في الكعبة وضربه من قبل المشركين ورده عليهم ، فرآه أبو جهل فأشار بكمه إني قد أجرت ابن أختي عمر فأجاروه وكفوا عنه ، إلا أن عمر بن الخطاب(ﷺ) سرعان ما ألغى جواره ، بعد أن رأى ما يتعرض له المسلمون من العذاب والضرب ، فقال: ما هذا بشيء حتى يصيبني مثل ما يصيب المسلمين ، فقال لخاله: جوارك عليك راد[3].

---

(١) ابن إسحاق، السيرة، ج٢، ص١٢٩، الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص٥٤٥.

(٢) الطبقات، ج١، ص٢٠٢- ص٢٠٣.

(٣) احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج١، ص٢٨٨ ؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١، =

وحين يُبتلي المسلمون بأذى المشركين ويُحاصر بني هاشم والمطلب في شعب أبي طالب ، نسمع عن قصص للإجارة منها إجارة ابن الدَغُنَةَ[1] لأبي بكر(ﷺ) ، بعد أن أذن الرسول(ﷺ) لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة ، خرج أبو بكرﷺ نحو ارض الحبشة ، حتى سار يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة فقال له: أين تريد يا أبا بكر ، قال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن اسيح في الأرض فأعبد ربي ، فقال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نواب الحق ، وأنا لك جار ، فارجع فاعبد ربك ببلدك ، فرجع ابن الدغنة ، وطاف في أشراف قريش وقال لهم: أن أبا بكر لا يخرج مثله.. وهو في جواري فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة أي لم يرد جواره ، وقالوا له: مرّ أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصُل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فمكث أبو بكر(ﷺ) يعبد ربه في داره ولا يستعان بصلاته ولا يقرأ في غير داره[2]. ويستفاد مما تقدم أن الجوار يعلن على أشراف قريش ، وتكون الإجارة من سيد وشريف لقبيلة أمثال ابن الدغنة ، ونوعية الجوار المحدد والمشروط ، وان الإخلال بشروطه يقود إلى إلغاء الجوار ، كما حدث عندما ابتنى أبو بكر(ﷺ) مسجدا في فناء داره ، واخذ يمارس عبادته وقراءته للقرآن بصوت مرتفع ، مما أثار حفيظة مشركي قريش ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة وذكروه في شروط موافقتهم على إجارة أبي بكر ، فمشى ابن الدغنة إلى أبي بكر(ﷺ) وذكّره بالعمل بشروط الجوار المتفق عليها وإلا فيردد عليه جواره ، فاختار أبو بكر(ﷺ) إلغاء الجوار ، فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد رد عليّ جواري ، فشأنكم

=ص١٦١- ص١٦٢؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج٢، ص١٧.

(١) ابن الدُغُنَّة: وهو رَبيعَةُ بن رُفَيْع بن اهْبَان بن ثَعْلَبة، وهو سيد القارة قبيلة مشهورة كان يضرب بهم المثل في قوة الرمي، والدغنة اسم أمه، ينظر: ابن هشام، السيرة، ج٢، ص١٢٢؛ الحلبي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٨٤.

(٢) ابن إسحاق، سيرة، ج٤، ص٢١٨ – ص٢١٩؛ ابن عبد البر، الدرر، ج١، ص٤١؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج١، ص٢٦٧.

بصاحبكم، وبعدها تعرض أبو بكر(ﷺ) لأذى سفهاء قريش[1].

وفي خضم السجالات بين الرسول(ﷺ) والمشركين، وصلت شائعات إلى المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، أن قريشاً قد أسلمت، فعاد عدد من المهاجرين إلى مكة، وعددهم ثلاثة وثلاثون حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم عدم صحة إسلام أهل مكة، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخف[2]. نذكر منهم عثمان بن مظعون الذي دخل مكة بجوار الوليد بن المغيرة[3]. إلا انه بعد أن وجد ما عليه أصحاب الرسول(ﷺ) من البلاء وهو في جوار رجل من المشركين، جاء إلى الوليد فقال له: ياأبا عبد شمس وفت ذمتك، وقد رددت إليك جوارك، ولا أريد أن أستجير بغير الله(ﷻ)، فطلب منه الوليد أن يعلن ذلك في الكعبة، فأتيا الحرم، فقال الوليد بن المغيرة: هذا عثمان قد جاء يرد عليّ جواري، قال صدق، وقد وجدته وفيا كريم الجوار، ولكنني أحببت ألا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره[4].

وبعد إخفاق محاولة الرسول(ﷺ) لنشر الإسلام في الطائف، عُدّ خروجه من مكة نوعاً من الانخلاع أو التخلي عن قبيلته وبالتالي أصبح أمر عودته من الأمور المحفوفة بالمخاطر[5]. لذا حتم عليه أن يدخل مكة طالباً الإجارة من احد سادتها. وتتجلى في تجربة الطائف، أن مفاهيم الإجارة باتت مستمرة لما كانت عليه قبل الإسلام، فعندما طلب الرسول(ﷺ) الاستجارة بـ(ألاخنس بن شريق) عن طريق وسيط بعثه الرسول(ﷺ) يجيبه الاخنس: إن الحليف لا يجير على الصريح. وبعدها يطلب الإجارة من سهيل بن عمرو فيرفض إجارته بقوله: أن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب. وأخيرا طلب الرسول(ﷺ) من المطعم بن عدي أن يجيره فوافق

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج٣، ص٥٩؛ الكلاعي، المصدر نفسه، ص٢٦٨.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٢١٣.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص١٥٣.

(٤) ابن إسحاق، سيرة ج٢، ص١٥٨- ص١٥٩؛ ابن هشام، السيرة، ج١، ص٢١٣- ص٢١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٩٢٠.

(٥) هاشم يحيى الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ص١٦٧.

على أن يدخل الرسول(ﷺ) مكة في جواره ، فلبس المطعم بن عدي سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد ، فلما رآه أبو جهل قال: أمجير أم متابع ، قال: بل مجير ، فقال: قد أجرنا من أجرت فدخل الرسول(ﷺ) مكة وقال له مطعم: طف واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف[1]. بيد أن اضطرار المسلمين طلب الإجارة من المشركين لغاية محددة ، لذا سرعان ما يفض عقد الجوار وعدم البقاء في جوار المشرك ، لذلك بعد أن فرغ الرسول(ﷺ) من طوافه وسعيه جاء إلى المطعم وقال: يا أبا وهب أجرت وأحسنت ، فرد علّي جواري ، فقال: وما عليك أن تقيم في جواري ، فقال: ألا أقيم في جوار مشرك أكثر من يوم ، فقال المطعم: يا معشر قريش قد خرج محمد من جواري[2].

الإجارة بعد الهجرة إلى المدينة:

تبدل مفهوم الإجارة بعد الهجرة إلى المدينة ، فبعد أن كان المسلمون في مكة مستضعفون يحتاجون لمن يأمنهم ويجيرهم ليبلغوا رسالة ربهم ؛ أصبحوا بعد الهجرة أمة ذات قوة منظمة وفق دستور أعلنه الرسول(ﷺ) نظم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من ساكني المدينة. وقد نّصت الصحيفة على الإجارة بمفهومها الإسلامي الجديد: (ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم)[3]. وفي ضوء هذا الفهم أصبح حق الجوار لجميع المسلمين دون التفريق بين سيدهم وأدناهم. ولم تحاول الصحيفة جعل الإجارة مطلقة ، وإنما مشروطة تجاه مشركي قريش إذ أكدت: (انه لا يجير مشرك مالأ لقريش ولا يعينها على مؤمن)[4]. ويوضح ذلك انه ليس من حق اليهود الذين وادعهم الرسول(ﷺ) أن يجيروا أموال أعدائه ولا يعينوهم عليه[5]. والسبب لأن مشركي قريش

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٢٢٥.

(٢) الرواندي، قصص الأنبياء، ص ٣٢٩.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٢٢٥ .

(٤) أبو عبيد ، الأموال،ج١ ،ص٢٦٢.

(٥) المصدر نفسه ،ص٢٦٤.

في حالة عداء مع المسلمين.

ولم يعرف عن المسلمين إجارتهم المشركين في بدايات صراعهم المسلح معهم ، ففي معركة بدر كان عبد الرحمن بن عوف تربطه علاقة حميمة مع أُمية بن خَلف قبل الإسلام ، وعندما وقعت المعركة أدرك الأنصار وبلال معهم أمية بن خلف فقال عبد الرحمن لأمية: ابرك ، فبرك ، فألقيت عليه نفسي لأمنعه منهم ، فتجللوه بالسيوف وطعنوا بها من تحتي ، وقُتل أمية. يفهم مما تقدم أن مشركي قريش لم يكن لهم أمان يوم بدر ، ولهذا لم يجز بلال ومن معه من الأنصار أمان عبد الرحمن ، وقد نسخ هذا بحديث: (يجيرُ على المُسْلمينَ أدْنَاهُمْ)[1].

وفي غزوة بئر معونة[2] ألتي وقعت بعد أربعة أشهر من غزوة أُحد ، يلاحظ فيها عدم إخفار جوار سيد القبيلة ، عندما قَدَم عامر بن مالك(أبو البَراء) الملقب (ملاعب الأسنَة) على الرسول(ﷺ) وكان مشركاً ، وطلب من الرسول(ﷺ) أن يبعث معه جماعة من الصحابة إلى بني عامر ليجيبوا دعوة الرسول(ﷺ) ، وكان يخشى عليهم أهل نجد ، فقال عامر لا تخف عليهم. أنا لهم جارٌ أن يَعرِض لهم احد من أهل نجد[3]. فبعث الرسول(ﷺ) أربعين رجلاً من الصحابة عليهم المنذر بن عمرو حتى نزلوا بئر معونة ، فلما نزلوا ، بعثوا حرام بن ملحان بكتاب الرسول(ﷺ) إلى عامر بن الطفيل ، إلا انه لم ينظر في الكتاب وقتل(حراماً)على الفور ، ثم استصرخ عليهم بنو عامر ، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا: لن نخفر ابا براء ، فقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فأستصرخ عليهم قبائل من بني سُليم ، فأجابوه وأحاطوا بجماعة الصحابة ثم قاتلوهم حتى قتلوهم ولم يبقى إلا المنذر[4]. ويتضح أيضا في قصة بئر

---

(١) سنن الدارمي ج٢، ص٢٠٧؛ البيهقي، سنن البيهقي الكبرى،ج٩، ص٩٥.

(٢) بئر معونة: ارض بين بني عامر وحرة بني سليم، وهي إلى حرة بني سليم اقرب، ينظر: الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٤٦.

(٣) الواقدي، المصدر نفسه،ج١،ص٣٤٦- ٣٤٧ ؛ خليفة بن خياط، تاريخ، ج١،ص٧٦.

(٤) موسى بن عقبة، المغازي،ص٢٨٨- ص٢٨٩ ؛ الواقدي، المصدر نفسه،ج١، ص٣٤٧ – ٣٤٨؛ الطبري، تاريخ، ج٣، ص٨١ وما بعدها.

معونـة الجـوار المؤقت والمشـروط ، إذ بعـد انتـهاء القتـال ، قـالوا للمنـذر بـن عمـرو: إن شئت أَمناك ، فقال: لن أُعطى بيدي ولن اقبل لكم أمانا ، حتـى أتـي مقتـل حَرم ثـم بُريءَ منّي جواركم ، فأمنوه حتى أتى مصرع حَرم ، ثم برئوا إليه من جوارهم ، ثم قاتلهم حتى قُتل[1]. ويلاحظ في قصة بئر معونـة كذلك ردود أفعال المجير تجاه ما يتعرض لـه مـن استجار بـه ، ومـا يتطلبـه الجـوار من الوفـاء بذمـة الإجـارة ، فجـاء رد الفعل مـن ربيعـة ابن أبـي براء فشق عليـه مـا تعـرض لـه أصـحاب رسـول الله(ﷺ) ، فطعن ربيعة عامراً بالرمح فاخطأ مقاتله ، وقال قُضيت ذمّةُ أبـي بَـراء ، وقـال عـامر بـن الطفيل قد عفوت عن عّمي ، هذا فعله[2].

وتستمر ردود الأفعال تجاه واقعة بئـر معونـة وهـذه المرة مـن جانـب المسلمين ، إلا أنها تكشف عن الوفاء من قبل الرسول(ﷺ) ، وما يترتب على الإجارة من حقوق في دفع الدّية ومعاملة المستجير معاملة الصريح ، وتأتي بما فعله عمرو بن أمية عندما عـرف بما جرى في بئر معونة من قتل جماعة المسلمين ، وصادف أن وجـد رجلين مـن بنـي عامر ، قد نـزلا على الرسول(ﷺ) وأعطاهم الأمـان وأجارهم ، ولـم يعـرف عمـرو بما جرى للرجلين مع الرسول(ﷺ) ، فوثب عليهمـا فقتلهما للذي أصاب بنو عامر مـن أصـحاب بئـر معونـة ، وقـدم علـى الرسـول(ﷺ) وأخـبره بمقتلـه العـامريين ، فقـال الرسول(ﷺ) له: بئس ما صنعت ، قتلت رجلين كان لهما مني أمان وجوار ، فكتب إليـه عامر بـن الطفيـل ، وبعـث نفـراً مـن أصحابه يخبر الرسول(ﷺ) ، أن رجـلاً مـن أصحابك قتل رجلين من أصحابنا ، ولهمـا منـك أمان وجـوار ، فـاخرج الرسول(ﷺ) ديتهما ، دّية حُرين مسلمين ، فبعث بها إليهم[3].

وفي قصة غزوة الرجيع التي حدثت بعد معركة أحد في صفر من سنة(٤ هـ/ ٦٢٥م) يُلاحظ تأكيد رفض المسلمين للاستجارة بالمشركين ، من خلال ما ذكرته

---

(١) الواقدي، المصدر نفسه، ج١ ، ص٣٤٨.

(٢) الواقدي، المغازي، ج١ ، ٣٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٥١- ص٣٥٢ ؛ ابن سعد،طبقات،ج٤ ،ص٢٤٨.

المصادر التاريخية أن نفراً من عَضَل والقارة - وهم من بني لحيان- قدموا على الرسول(ﷺ) فقالوا: إن فينا مسلمين فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا ، فبعث الرسول(ﷺ) عدد من الصحابة معهم حتى نزلوا بالرجيع ، واستصرخوا عليهم هذيلاً واخذوا سيوفهم وقالوا لهم: ما نريد قتالكم ، وإنما نريد أن نصيب منكم من أهل مكة ثمناً ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم ، فأسروا ثلاثة ، إما الأربعة الآخرين فأبوا أن يقبلوا جوارهم ولا أمانهم ، وقال احدهم وهو عاصم بن ثابت: إني نذرت ألا أقبل جوار مُشرك أبدا ، وقتلهم المشركون ، أما الثلاثة الأخرون فاحدهم حرر نفسه وقاتلهم فقتلوه ، أما الآخرون تم بيعهم بمكة وبعدها تم قتلهم[1].

وفي الحوارات التي سبقت صلح الحديبية ، ولتوضيح وجهة نظر المسلمين بأنهم متوجهون لأداء العمرة وليس لإغراض حربية ، أرسل الرسول(ﷺ) عثمان بن عفان(ﷺ) ليخبر قريشاً بذلك ، حتى أتى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فأجاره ليؤمن له دخوله مكة حتى يبلغ رسالة الرسول(ﷺ)[2]. ويبدو واضحاً أن دافع الإجارة كان لأغراض محددة هي تبليغ رسالة.

وفي جمادى الأولى من سنة(٦ هـ/٦٢٧م) يحدث ما يؤكد الاستمرار بقبول أجارة المرأة ، فيجيز الإسلام أجارتها ، بعد أن أعلن الرسول(ﷺ): (يجير على المسلمين أدناهم)[3]. وذلك بعد أن اسر أبو العاص بن الربيع ، وكان مشركاً وهو ابن أخت خديجة بنت خويلد وصهر الرسول(ﷺ) فاستجار أبو العاص بامرأته زينب بنت رسول الله ، فإجارته ، ونادت بأعلى صوتها ، أني قد أجرت أبا العاص بن الربيع ، فأجابها

---

(١) موسى بن عقبة ، المغازي،ص٢٨١- ص٢٨٤؛ الواقدي، المصدر نفسه،ج١ ، ص٢٥٤- ص٢٦٣؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٢ ، ص٧٧ وما بعدها

(٢) الواقدي، المصدر نفسه،ج٢ ،ص٦٠١؛ البيهقي، سنن البيهقي، ج٩ ، ص٢٢١؛ ابن كثير، التفسير، ج٩، ص٢٢١.

(٣) الدارمي، سنن الدارمي،ج٢ ،ص٣٠٧ ؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٢ ، ص٤٢٦ ؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٢ ،ص١٥٢.

الرسول(ﷺ): يجير على المسلمين أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت[1]. ويتأكد جوار المرأة في إجارة أم هانئ بنت أبي طالب يوم الفتح(٨ هـ/٦٢٩م) لرجلين حموين لها أراد قتلهما علي بن أبي طالب(ﷺ) بعد أن أجابها لم نؤمن المشركين ونجيرهم ، فأتت الرسول(ﷺ) وقالت له: (أني أمنت حموين لي ، وان علي بن أبي طالب(ﷺ) يريد قتلهما ، فقال الرسول(ﷺ): ما كان له ذلك ، قد أجرنا من أجرت)[2]. وتعطي حادثة نقض قريش لاتفاقية الحديبية إيضاحا أكثر عن مفاهيم الإجارة في الإسلام ، فبعد أن ألبت قريش حليفتها قبيلة بني بكر ضد قبيلة خزاعة المتحالفة مع المسلمين ودفعتهم للاقتتال بينهما. أرادت قريش أن تعيد ترتيب الأمور وتأكيد احترامها لمعاهدة الصلح ، فأرسلت زعيمها أبا سفيان إلى المدينة ، فجاء إلى الرسول(ﷺ)فكلمه فلم يرد عليه ، وطلب الإجارة من أبي بكر(ﷺ) ليكلم الرسول(ﷺ) فرفض وأجابه: (جواري في جوار رسول الله) ، ومن ثم طلب الأمر نفسه من عمر بن الخطاب(ﷺ) ومن ثم من عثمان بن عفان(ﷺ) ، ألا إنهم أجابوه بمثل ما أجابه أبو بكر(ﷺ). فذهب إلى بيت علي بن أبي طالب(ﷺ) ، وطلب أجارته في أن يكلم الرسول(ﷺ) إلا انه رفض بقوله: ((لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه)). فالتفت إلى فاطمة(عليها السلام) فقال: ((يا ابنة محمد هل لك أن تأمري ابنك هذا - الحسن(ﷺ) - فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر فإجابته: ما بلغ بُني ذلك أن يجير بين الناس ، وما يجير احد على رسول الله). وبعدها اقترح عليه علي بن أبي طالب(ﷺ) أن يجير بين الناس ويلتحق بقومه ففعل[3]. ونخلص مما تقدم انه لا يجرئ احد أن يجير على رسول الله(ﷺ) وبخاصة في القضايا التي تمس أمن المسلمين وتحالفاتهم ، كذلك إن فاطمة(عليها السلام) لم تعمل بالعرف السائد قبل

---

(١) ابن سعد ، اطبقات، ج٨، ص٣٢ ؛ الزرعي، زاد المعاد، ج٣،ص٣٨٣ وينقل لنا رواية اخرى.

(٢) احمد بن حنبل، فضائل، ج١، ص٥٠٦؛ وينظر: الأزرقي، أخبار مكة، ج٥، ص٢٣١.

(٣) ابن هشام، السيرة،ج٥،ص٥١ ؛ الطبري، تاريخ الطبري،ج٢،ص١٥٤ ؛ ابن عبد البر، الأستيعاب،ج١، ص٢١٢؛ الكلاعي، الأكتفاء، ج٢،ص٢١٧.

الإسلام بقبول فكرة إجارة الصبي وان إجارته لسيد من سادات العرب يتسيد هو الأخر. ولم نسمع في الإسلام عن جواز إجارة الصبي غير البالغ. كما ويتضح أن أبا سفيان أعطى الأمان بشكل عام للمسلمين من طرف واحد ، ولم يبادله المسلمون ذلك.

وفي فتح مكة تتجلى صفة التسامح التي عليها الرسول محمدﷺ حتى مع من ناصبه اشد العداء ، فيقبل جوار أبي سفيان بعد أن أجاره العباس بن عبد المطلب[1]. وكذلك سامح عبدا لله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله ﷺ ، فأزله الشيطان فلحق بالكفار ، فأمر النبي(ﷺ) أن يقتل يوم فتح مكة ، فاستجار له أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهما فأجاره النبي(ﷺ)[2].

وحين دخل الرسول محمد(ﷺ) مكة خطب على درجة الكعبة ، وأعطى إيضاحا للفهم النهائي للإجارة في الإسلام من قوله: (... يد المسلمين واحدة على من سواهم تتكافأ دماؤهم ولا يقتل مؤمن بكافر ودية الكافر لنصف دية المسلم. يجير على المسلمين أدناهم ويرد على المسلمين أقصاهم ثم نزل)[3]. أي أن ذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[4]. ونحن نعرف حرمة الكعبة ومن دخلها فهو آمن ، إلا انه في فتح مكة ، احل الله(ﷻ) حرمتها يومئذ ، ليقاتل الرسول محمد(ﷺ)المشركين فيها ، حيث قتل يومها عبد الله بن خطل[5] صبراً ، وهو آخذ بأستار الكعبة ، فلم تحل لأحد من الناس بعد رسول الله(ﷺ) أن

---

(١) ابن سلامة ، شرح معاني الآثار ، ج٢ ، ص٣٣١.

(٢) السيوطي ، الدر المنثور ،ج٤ ،ص١٣٢ ؛ الشوكاني ، فتح القدير ، ص١٩٨.

(٣) احمد بن حنبل ، فضائل أحمد ، ج٢ ، ص٢١٥ ؛ ابن الجارود ، المنتقى ، ج١ ، ص٢٦٣ ، ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة ، ج٤ ، ص٢٦.

(٤) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٢١٢ ،٩ ؛ الشوكاني ، نيل الاوطار ، ج٨ ، ص.

(٥) عبد الله بن خطل: رجل من بني تميم بن غالب كان مسلما فبعثه رسول الله ﷺ مصدقا ، فقتل المولى الذي يخدمه لأنه لم يصنع له طعاما ، فأرتد عن الإسلام ، وله قينتان تغنيان بهجاء الرسول رسول الله ﷺ ، فامر الرسول بقتله. ينظر: ابن هشام ، السيرة ،ج٥ ،ص٧١.

يتقاتل فيها[1]. أي إنها أحلت للرسول(ﷺ) ساعة في النهار، وقد عادت حرمتها كما كانت عليه[2]، كما جاء في قوله تعالى: (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)[3].

وبعد فتح مكة بدأ الرسول(ﷺ) يستقبل الوفود لإعلان إسلامها، أو التفاوض معه، ولكي يؤمن وصولهم إلى دار الإسلام، أجاز إجارة الرّسل الذين يأتون برسالة أو مهمة لحين انتهاء مهمتهم، ويتضح ذلك من الحوار الذي جرى بين الرسول محمد(ﷺ) وموفد مسيلمة الكذاب إليه، فقال للرسول محمد(ﷺ): اشهد أن مسيلمة رسول الله، فأجابه الرسول محمد(ﷺ): لولا أن الرّسل لا تقتل لضربت عنقك[4].

الخاتمة:

تناول هذا البحث دراسة (الإجارة عند العرب قبل الإسلام وعصر الرسالة الإسلامية)، واتضح في معنى الإجارة: المنعة، وعدم الاعتداء، والإغاثة، والذمة، والخفرة. وأصبحت من القيم الاجتماعية التي دأب العربي على ممارستها قبل الإسلام، وعمقها الإسلام، وأكدها وشذب بعضها.. وأضاف إليها.

وأوضح البحث أنواع الإجارة عند العرب قبل الإسلام، وهي الإجارة المفردة، والمتصلة، والجماعية، والإجارة بثمن، والإجارة بالجن، وإجارة الحيوان، والمحددة، والمطلقة، والمشروطة، وإجارة الظعن.

وخلص البحث إلى معرفة دوافع الإجارة، وهي عمليات الثأر القبلي والقتل نتيجة الحروب التي تدفع بالإفراد أو الجماعات للالتجاء إلى قبائل أخرى، وحوادث القتل الفردي، أو ارتكاب حالات جرم تدعوا إلى خلع الفرد من قبيلته والالتجاء إلى

---

(١) الطبري، جامع البيان، ج٢، ص١٩٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القران، ج٤، ص ٥١٤.

(٣) سورة البلد / الآيتين ١، ٢.

(٤) ابن قدامة، المغني،ج١٠، ص٤٣٦؛ابن كثير، البداية والنهاية،ج٢،ص٢٢٨.

أخرى ، أو لحماية القوافل التجارية.

أما عن طلب الجوار فاتضح من خلال البحث ، أن هناك مراسيم وأعراف درج عليها العربي قبل الإسلام لطلب الإجارة ، منها الطلب الصريح ، أو استضافة القوم والأكل من طعامهم فيلزم إجارتهم إذا طلبوا ، أو الدخول في قبة المجير ، أو في خبائه ، أو رمي رداء من المجير على الجار ، أو الاستجارة بقبر سيد القبيلة فيجار طالب الجوار ، أو تنكيس الرمح من قبل الجار ولا يرفعه حتى يعقد له الجوار ، أو الإجارة في الأماكن المقدسة.

وتناول البحث الالتزامات المترتبة على الجار والمجير ، وبخاصة الحفاظ على ذمة الجوار ، ومعاملة المستجير معاملة الصريح ، بالمقابل عليه أن يحافظ على سمعة مجيره ، وعدم الإخلال بما اتفق عليه في عقد الجوار.

أما الإجارة في الإسلام ، فتناول البحث مفهوم الإجارة في القران الكريم ، وبّين أن الخطاب القرآني ركز على أن الله سبحانه وتعالى المجير الأول (يجير ولا يجار عليه) ، وجواز إجارة الكافر ليسمع كلام الله ويبلغ مأمنه ، وإلغاء الاستجارة بالجان.

وبّين البحث الإجارة في أحداث الدعوة الإسلامية في مكة ، واتضح أن ضعف المسلمين في هذه المرحلة دفعهم للالتجاء بالسادة الأقوياء ، أما بعد هجرة المسلمين إلى المدينة ، فقد تطور مفهوم الإجارة وأصبحت(ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم) لذا قبل جوار الصحابة حتى جوار المرأة. إلا انه لا يمكن الإجارة على الرسول محمد(ﷺ).

الفصل الرابع

التمائم والرقى عند العرب قبل الإسلام
وموقف القرآن والسنة منهما

التمائم والرقى قبل الإسلام

أولاً: التمائم

ثانياً: الرقى

موقف القرآن والسنة من التمائم والرقى

أولاً: موقف القرآن

ثانياً: موقف السُنة

التمائم والرقى

يتناول هذا البحث بعض المعتقدات السائدة عند العرب قبل الإسلام ، والتي تدخل ضمن دائرة الميثولوجيا ، تتمثل بتعليق التمائم وكتابة وقراءة الرقى ، للاستعانة بها لدفع الضرر والأذى ودرء المفاسد.

ومما حملنا على الكتابة عن التمائم والرقى ، لما لمسناه من تأثير هذه المعتقدات في واقعنا الراهن ، وبخاصة الاعتقاد بالتمائم والرقى الشركية التي لايفقه معناها كالخرز والعظم وتعليق ولبس المعادن والحلي والتعويذات والنشرات وغيرها.

وكان اعتقاد العرب قبل الإسلام بتعليق التمائم والتعامل مع الرقى الشركية متأتي ربما من جهلهم بالتوحيد ، أو من اعتقادهم بعالم الجن والشياطين والاستعاذة منهم بالتمائم والرقى لحمايتهم من تأثيرات الأرواح الشريرة عليهم ، وتعليلهم لكثير من النتائج المحسوسة سواء عليهم أو على دوابهم إلى فعل تلك الأرواح.

ولكن بماذا نُعزي للمسلمين المعاصرين ، عندما نرى مَن يمارس الاعتقاد بتعليق (التمائم والرقى) ، ويرى إنها وسيلة وغاية لحمايته من الأضرار أو دفع الشر عنه. على الرغم من إشارات القران الكريم الصريحة ، والسنة النبوية الشريفة في النهي والإكراه بالتعامل مع هذه المعتقدات ، أو ما أجازه منها. وذلك ما سنسلط عليه الضوء.

التمائم والرقى قبل الإسلام:

أولا: التمائم:

المفهوم اللغوي للتمائم: هي كل ما يعلق[١]، أما مفهومها الواقعي فتشمل الخرز التي تتخذ عوذا[٢]، والقلائد من السيور[٣]، وكل أنواع القلائد التي تعلق في سيور لدفع العين[٤]، وتصرف البلاء عنهم[٥]. وتشمل كل ما يعلق أو يحمل لدفع الضرر وهي: الخرز بأنواعها، والمعادن، والحلي، والأحجار، والقلائد، والأوتار، والخيوط، والنفرة. ويبدو أن التمائم التي عرفها العرب قبل الإسلام قد انتقلت إليه من الحضارات المجاورة، ولا سيما حضارة بلاد الرافدين، إذ إن أقدم ظهور للتمائم كان في العصر الحجري القديم في قرية (زاوي جمي – شمال العراق)، فقد عُثر على قلائد حجر الادواز المزين بالخروز[٦]. وفي العصر الحجري الحديث عُثر في قرية (جرمو ٦٧٥٠ق.م – شمال العراق) على تميمة ذات بدن بيضوي[٧]. ويمكن تفصيلات أنواعها على الشكل الأتي:

١- الخرز:

تُعد من التمائم التي تعلق في العنق أو العضد، وهي أنواع:

أ- خرز العين (الحسد):

إن الإصابة بالعين(الحسد) من الاعتقادات التي لها تأثير كبير في حياة العرب قبل الإسلام، مما حملهم على الحد من تأثيرها أو التغلب عليها، بتعليق التمائم

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٦٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الفراهيدي، العين، ج٨، ص١١١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٦٩.

(٥) ابن عبد البر، التمهيد، ج٧، ص١٦٤.

(٦) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص ١٨٧.

(٧) ينظر تفصيلات أكثر: منى حسن عباس، الدلايات والتمائم في المتحف العراقي، ص١٣ومابعدها.

والتعاويذ وقراءة الرقى ، وكانوا يخشون عين الجن والإنس ، إذ شبهوا عين الجن بأنها أنفذ من أسنة الرماح ، والشياطين تقتل بيدها وعيونها كبني ادم[1]. ومن أنواع خرز العين هي:

- التميمة :

وهي خرزة رقطاء تنظم وتعلق في سير في العنق[2] ، تعلق على الصبيان يتقون بها العين في زعمهم[3]. وكانت العرب إذا نشأ الصبي في حي حتى شب وقوي فيهم عقت تميمته في بني فلان ، بمعنى أن الصبي مادام طفلا تعلق أمه عليه التمائم (الخرزة) التي يتعوذ بها من العين ، فإذا كبر قطعت عنه[4].

وهناك من يعتقد أن التميمة تعلق في العنق أو في العضد ، وان تأثيرها لا يقتصر على (العين) ، وإنما يتوقى بها عن العاهات ، بل يذهب بعضهم ابعد بأنها تدفع المنية حينا[5].

- الأترجة :

وهي خرزة من ذهب ، تكون في عنق الصبي ، لوقايته من العين[6].

- الودع أو الودعة :

خرزة بيضاء ، تجلب من البحر[7] ، أو شبيه للصدف[8] ، وشقها كشق النواة[9] ، وتتفاوت بالصغر والكبر ، وتعلق على الأولاد ، لوقايتهم من العين والسحر[10].

---

(١) المناوي، فيض القدير، ج١، ص ٤٩٠ .

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٦٩ .

(٣) السيوطي، شرح السيوطي لسنن النسائي، ج٨، ص١٣٩ .

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٥٩؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٢٦، ص١٨٠ .

(٥) ابن الأثير، غريب الحديث، ج١، ص١٨٢ .

(٦) الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ج١٠، ص٢٣٧ .

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٢٤٢ .

(٨) المناوي، فيض القدير، ج٦، ص٢٣٤ .

(٩) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٣، ص٩٢ .

(١٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٢٤٢ ؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه.

ـ القبلة:

وهي خرزة، أو قطعة مستديرة من العاج المتلألئ، تجعلها المرأة في صدرها لدفع العين أو نحوه[1].

ـ الوتيرة:

خرزة بيضاء، تعلق في أعناق الصبيان لدفع العين[2].

ـ الكحلة:

وهي خرزة سوداء تعلق على الصبيان، سوادها كالرب والسمن، تعلق للوقاية من العين والنفس من الجن والإنس، فيها لونان بياض وسواد اختلطا[3].

ـ القررة:

وهي خرزة تعلق من العين[4].

ـ الجزع اليماني:

خرزة ربما كانت شائعة للوقاية من العين تعلق في أعناق الصبيان، وتذكر بعض الروايات أن حليمة السعدية كانت تعمد الرسول(ﷺ) في صغره إلى خرزة يمانية تعلقها في عنقه من العين[5].

ب ـ خرز المحبة:

وهناك صنف أخر من الخرز يعلق للمحبة، شاع استعماله عند النساء لجذب محبة الرجال، وبعض خرز الحب كان يرقى عليها، وتكون هذه الرقية خاصة بها

---

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج١، ص٤٩٩؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص٧١٢

(٢) الفراهيدي، العين، ج٨، ص١٣٣ ·

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٤٢٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٨٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٣٠، ص٣١٨ ·

(٤) الأزهري، تهذيب اللغة، ج١، ص١٤٨ ·

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣، ص٤٧٤ ·

ليزيد من فاعليتها ، ومن أنواعها:

ـ الفطسة :

وهي خرزة من خرز الأعراب ، تزعم النساء إنهن يؤخذن بها الرجال ، وفيها يقول الشاعر:

جَمَعـنَ مـن قَبـل لهُـنّ وفطسـة ... والـدردبيسُ مقـابلاً في المـنظَمِ[1]

ـ السلوة أو السلوانة :

وهي من أشهر خرز الحب ، ولونها بيضاء وشفاف[2]. ويقال: إذا دفنت بالرمل وبحثت عنها رأيتها سوداء[3]. وكانت خرزة السلوة تُدلك على صخرة فيخرج من بين ذلك ماء فيسقى المهموم أو العاشق فيسلو وينسى[4] ، وهناك من يعتقد أن خرزة السلوانة إذا صُب عليها ماء المطر فيشربها العاشق سلا كما جاء في قول الشاعر:

شَـربت علـى سُـلوانة مـاء مزنـة ... فلا وجديد العَيشِ يَامّي ما اسْلُو[5]

وقول الشاعر:

ياليَـت ان لقلـبي مَـن بعَللُـةٍ ... او سـاقياً فسـقاهُ اليـوم سُلوانـا[6]

وهناك من يرى إنها حُصاة يسقى عليها العاشق الماء فيسلو ، أو يأخذ من تراب القبر ، فيذر على الماء فيسقاه العاشق[7]. ويقال أنها كانت عند بني عُذرة[8].

---

(١) ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج١٩ ، ص٤٢٦ ؛ ابن منظور ، لسان العرب، ج٦ ،ص١٦٥ ؛ الزبيدي ،تاج العروس ،ج٦ ،ص٢٢٧ .

(٢) ابن أبي الحديد ، المصدر نفسه ،ج١٩ ،ص٤٢٥ .

(٣) الرازي، مختار الصحاح، ص١٦٦؛ ابن منظور ، لسان العرب ،ج٤ ،ص٣٩٥ .

(٤) الفراهيدي، القاموس المحيط ،ج٧ ،ص٢٩٧ .

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ،ج١ ،ص٩٨ .

(٦) ابن طباطبا ، عيار الشعر ،ج١ ، ص٥٤.

(٧) الرازي، مختار الصحاح ،ص١٦٦؛ ابن منظور ، لسان العرب ،ج١٤ ،ص٣٩٥ .

(٨) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ، ج١ ،ص١٩٦ .

- الرامة:

وهي من خرز المحبة التي كانت تعلقها النساء[1].

- العطفة:

خرزة للعطف[2]. تعلقها النساء لتعطف بها الرجال، أو ربما علقها الرجال لتجلب العطف لصاحبها[3].

- الدرّيس:

وهي خرزة سوداء، سوادها يشبه لون الكبد، إذا رفعت واستشفت، يرى تشف مثل لون العنبة الحمراء، وكانت من الخرز التي تعلقها النساء، لتأخذ بها الرجال[4]. وقيل أن النساء كان يتحببن بها إلى بعولتهن، وتوجد في القبور العادية، وكانت لها رقية يقرأ عليها:

"أخذته بالدريس، تدر العرق اليبيس، وتذر الجديد كالدريس".

وأنشد الشاعر بوصفها:

قطعت القيد والخرزات عني فمن لي من علاج الدريس[5]

ولهذه الخرزة تأثير كبير، ويرجع أصلها إلى الداهية[6].

- الهمرة:

وهي من خرز الحب[7]. وكانت تعلقها النساء ليستعطفن بها الرجال[8]. ورقيتها:

---

(1) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص١٤٣٤ .

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج١، ص٥٥٢ .

(3) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، ص٥٥٢ .

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٨١؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٦، ص٦٣ .

(5) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٤٢٦ .

(6) المصدر نفسه، ص٤٢٧ .

(7) الأزهري، تهذيب اللغة، ج٦، ص١٥٩ ؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٦٦ .

(8) ابن سيدة، المحكم والمحيط، ج٤، ص٣١٥ .

(يا همرة اهمريه ، من أسته إلى فيه)[1].

- الصحنة:

خرزة تؤخذ بها النساء الرجال[2].

- الهصرة:

خرزة تؤخذ بها الرجال ، وهي من خرز المحبة التي يسحر بها الرجال[3].

- الصدحة:

خرزة يستعطف بها الرجال ، وقال اللحياني: هي خرزة يؤخذ بها النساء[4].

- القبلة:

خرزة من خرز نساء الأعراب اللواتي يؤخذن بها الرجال ، ورقيتها: (يا قبلة أقبلية ، ويا كراركريه)[5].

- كرار:

خرزة للتأخيذ والمحبة ، ورقيتها: (يا كرار كريه ، وياهمرة اهمريه ، إن اقبل فسريه ، وإن أدبر فضريه)[6].

- القرزحلة:

وهي من الخرز التي تعلقها الضرائر ، إذ تلبسها المرأة ، ويميل إليها بعلها دون ضرتها[7]. ولا يبتغي غيرها ، ولا يجعل معها احد. وفي وصفها انشد ابن بري:

لا تنفع القرزحلة العجائز اذا قطعنا دومها المفاوزا[8]

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج١٩ ،ص٤٢٧ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ،ج٣ ،ص٢٤٥؛ الزبيدي ، تاج العروس ،ج٣٥ ،ص٣٠٤ .

(٣) ابن سيدة ، المحكم والمحيط ،ج٤ ،ص٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه ،ج٣ ،ص١٤٣؛ ابن منظور ، لسان العرب ،ج٢ ،ص٥٠٩ .

(٥) ابن منظور ، المصدر نفسه ،ج٥ ،ص٧٢ .

(٦) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج١٩ ،ص٤٢٧ ؛ ابن منظور ، المصدر نفسه ،ج٥ ،ص١٧٣

(٧) المصدر نفسه ، ج١٩ ،ص٤٢٧

(٨) الزبيدي ، تاج العروس ،ج٣٠ ،ص٢٣٤

- التولة:

خرزة تحبب معها المرأة إلى زوجها[١]. أو هي نوع من السحر[٢].

- ومن خرز الحب أيضا: الكبدة[٣] ، والأخذة[٤] ، والمهرة[٥] ، والهبرة[٦] ، والعطفة[٧] ، والزرقة[٨] ، والكلة[٩] ، والرأمة[١٠] ، وهلعة[١١] ، والصرفة[١٢] ، والصرة[١٣] ، والعمرة[١٤] ، والهمنة[١٥] ، والقليب[١٦] .

- ومن خرز الحب والبغض: الصخبة[١٧] ، السلوانة[١٨] .

---

(١) الزبيدي، تاج العروس ،ج٢٨ ،ص١٤٦

(٢) الشوكاني نيل الاوطار ،ج٩ ،ص١٠٤

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط،ج١ ،ص٤٠١؛ الزبيدي، تاج العروس،ج٩ ،ص٢٣٤

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢١

(٥) المصدر نفسه، ج١ ، ص ٦١٥؛ الزبيدي، تاج العروس،ج١٤ ،ص١٥٨

(٦) ابن منظور، لسان العرب،ج٥ ،ص٢٦٥؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه،ج١ ، ص ٦٢٦ ؛ الزبيدي، المصدر نفسه،ج١٤ ،ص٣٨٧

(٧) الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٣

(٨) ابن منظور، لسان العرب،ج١٠ ،ص١٤٠؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه،ج١ ، ص١١٤٩

(٩) الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ج١٠، ص ١٣٦٠

(١٠) المصدر نفسه، ج١ ، ص ١٤٣٤

(١١) المصدر نفسه، ج١ ، ص ١٥١٢

(١٢) ابن منظور، لسان العرب،ج٩ ،ص١٨٩

(١٣) المصدر نفسه، ج٤ ، ص ٤٥٥

(١٤) الأزهري، تهذيب اللغة، ج٢ ،ص٢٣٦

(١٥) الرازي، مختار الصحاح، ج٥ ،ص٢٠٦٢

(١٦) ابن سيدة، المحكم والمحيط،ج٦ ،ص٤٢٥

(١٧) الفيروز آبادي، القاموس المحيط،ج١ ،ص١٢٤

(١٨) الزبيدي، تاج العروس،ج٢٨ ،ص٢٩٦ – ص٢٩٧

جـ- خرز الوقاية من الأمراض:

كان اغلب العرب قبل الإسلام يعتقد أن سبب الأمراض لم يكن محسوسا ، وإنما هناك قوى خفية تؤثر على الأجسام فتصيبها بالأمراض ، وللوقاية من الأمراض توصل إلى أن تعليق الخرز تبعد أو تقي شر الأمراض ، ومن هذه الخرز:

- اليشب:

وهي خرزة مائلة إلى الصفرة يتخذ بها ، وتفيد أوجاع البطن والمعدة[1].

- الوجيهة:

خرزة حمراء للتوقي من الأمراض[2].

- وهناك خرز يكون تأثيرها مضاد للأخر ، وهي: الفطسة ، التي تعلق ليمرض بها العدو ويقتل ، ولها رقية خاصة بها: (أخذته بالفطسة ، بالثوباء والعطسة ، فلا يزال في تعسة ، من أمره ونكسة ، حتى يزور رَسمه)[3].

د- الخرز التي تعلق على الإبل والخيول مخافة العين:

كانت للإبل والخيول أهمية في حياة العــرب قبل الإسلام ، ومن اعتقاداتهم أن العين(الحسد) لاتصيب الإنسان فحسب ، وإنما تصيب الدواب أيضا ، ولدرء مخاطر العين ، اخذ بتعليق بعض الخرز عليها منها:

- الينجلب:

خرزة تعلق على الإبل ، وتفيد الرجوع بعد الفرار[4].

- الوتيرة:

تعلق على الإبل ، بمثابة التميمة مخافة العين[5].

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٥٢

(٢) ابن منظور، لسان العرب،ج١٣،ص٥٦٠

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٩،ص٤٢٧

(٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ج١،ص٨٨

(٥) الفراهيدي، العين، ج٨،ص١٣٣

- القبيل او (القبلة):

خرزة شبيهة بالفلكة، تعلق في أعناق الخيل[1]، أو في صدر الفرس أو نحوه[2].

هـ- خرز الدخول على السلطان:

وهناك صنف من الخرز يفيد الدخول على السلطان أو من هم بمنزلته، لاعتقاد العرب قبل الإسلام أن هذا الصنف يُسهل أمر الدخول أو المواجهة وقضاء الحاجة منهم، ومن هذه الخرز:

- الوجيهة:

خرزة معروفة حمراء أو عسلية لها وجهان، يتراءى فيها الوجه كالمرآة، يَمسح بها الرجل وجهه إذا أراد الدخول عند السلطان كـ(الوجيهة)[3].

- الخصمة:

خرزة حمراء للدخول على السلطان، تجعل تحت فص الخاتم أو في زر القميص، أو في حمائل السيف، وقال بعضهم:

يعلق غيري خصمة في لقائهم ... ومالي عليكم خصمة غير منطقي[4].

و- خرز لمنع الحمل:

ومن هذا النوع من الخرز، ما ذكر عن(العاقرة) التي كانت تشدها المرأة على حقويها أي في وسطها فتمنع الحمل[5].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٧٢؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٣٠، ص٢٦٦

(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج١، ٤٩٩

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج٣٦، ص٥٢٩

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٤٢٧

(٥) ابن السكيت، إصلاح المنطق، ج١، ص٤٣٠؛ النيسابوري، مجمع الأمثال، ج٢، ص٣٢؛ الزمخشري، أساس البلاغة، ج١، ص٤٤٩؛ السيوطي، المزهر، ج٢، ص١٤٥.

٢ ـ تعليق المعادن والحلي والأحجار:

ومن الاعتقادات السائدة عند العرب قبل الإسلام، تعليق المعادن ومنها الصفر، وخلاخل الحديد، والحلي، والأحجار، ظنا منهم إنها تقيهم من العين أو المرض، وما ذكر منها:

ـ الحلي:

وتعلق على السليم(اللديغ)، ويقولون: إنه إذا علق عليه أفاق، فيعلقون الأسورة، ويتركونها عليه سبعة أيام، ويمنع النوم[١]؛ وذلك لأنهم أرادوا شغله بصلصالها حتى لا ينام فيسري السُّمُّ فيه فيهلك على زعمهم[٢]. والأدل على ذلك قول النابغة:

فَبِتُّ كأنّي ساورتْني ضَئيلةٌ ... من الرُّقْشِ في أنيابها السُّمُّ نَاقِعُ

يُسهّد في ليلِ التمام سليمُها ... بحلي النساء في يَدَيْهِ قَعَاقِعُ[٣]

وإن العرب توارثت هذه العادة حتى ارتكزت في معتقداتهم الجماعية، بدليل قول بعض الأعراب: أتريدون أن يسهر؟ فقال: إنّ الحليّ لا تُسهر ولكنها سنّةٌ ورثناها. وبعضهم يقول: إنه إذا عُلِقَ عليه حلي الذهب برأ وإنْ عُلق الرصاص أو حلي الرصاص مات[٤].

ـ الواهنة:

وجاءت تسميتها من الوهن، المرض الذي يصيب الإنسان في العضد، أو عرق يأخذ في المنكب وفي اليد[٥]. ويتم تعليق الوهنة حينما يشعر الإنسان بألم في يده،

---

(١) النويري، نهاية الإرب، ج٣، ص١٢٤

(٢) ينظر: صبح الأعشى: ١، ٤٦٣.

(٣) ديوان النابغة الذبياني: ص٨٠. ضئيلة: أفعى دقيقة اللحم، الرقش: الواحدة رقشاء: التي فيها نقط بيض وسود. الناقع: القاتل. يسهّد: يمنع من النوم. ليل التمام: ليل الشتاء. السليم: الملدوغ. قعاقع: أصوات.

(٤) ينظر: الالوسي، بلوغ الأرب: ٢/ ٣٠٤.

(٥) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٠، ص٧٤

وهي حلقة من نحاس[1] ، أو خاتم من صفر[2] ، اعتقادا منه إنها ستزيل الألم منه.

- تعليق خلخال الحديد:

وكانت تعلق على الأطفال مخافة العين[3] ، التماسا لطرد الأرواح الشريرة كالجن والشياطين ، فقد كان الرأي الشائع منذ العصور القديمة ، أن الجن تهرب عند سماع صوت ينبعث من معدن سـواء أكان هذا الصوت صليل من الأجراس الصغيرة أو قعقعة متواصلة[4]. وبسبب الضجيج تبتـعدالأرواح الشريرة[5].

- تعليق الأجراس:

دفع اعتقاد العرب السائد بأن القرقعة وأصوات الحديد تنفر منها الأرواح الشـريرة والجن ، فعمدوا إلى تعليق الأجراس على الإبل مخافة العين ودرء الشر عنها[6].

٢- تعليق القلائد وأوتار القسي:

كان من عادات العرب في رد العين عن الإبل. أن يقلدونها أوتار القسي[7]. وذلك بعد أن يتقادم العهد على وتر القوس ، ثم يقلدون البالي عنق الدابة أو البعير[8] ، وكانوا يشدون بتلك الأوتار والقلائد التمائم ويعلقون عليها العوذ ويظنون إنها تقي إبلهم من الآفات[9]. على الرغم من أن وضع أوتار القسي على الدواب ربما يؤدي إلى اختناقها عند شدة الركض ، ويضيق عليها النفس ، أو تعلقت بشجرة فاختنقت عند شدة الركض ، ويضيق عليها النفس ، أو تعلقت بشجرة فاختنقت أو تعوقت عن

---

(١) ابن الأثير، غريب الحديث، ج٥، ص٢٣٣

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٠، ص٧٤

(٣) ابن عبد البر، التمهيد، ج١٧، ١٦٤٧

(٤) جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم، ج٢، ص٢٢٨

(٥) دير لاين، الحكاية الخرافية، ص٨٥

(٦) العظيم ابادي، عون المعبود، ج٧، ص ١٦٢

(٧) ابن عبد البر، فتح الباري، ج٦، ص١٤٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٧٥

(٨) يحيى الشامي، الشرك الجاهلي، ص ٢٠٠.

(٩) العظيم أبادي، عون المعبود، ج٧، ص١٦٠

السير ، إلا أن هاجس الخشية من العين يجعلهم يقلدونها الأوتار[1].

٤ـ تعليق الخيوط:

الخيوط من التمائم التي اعتقد العرب قبل الإسلام بتعليقها ، أو ربط الخرزات والتعويذات بها ، لدرء المخاطر وبخاصة العين. ومن الخيوط التي علقت هي:

ـ الرتيمة:

خيط يربط في العنق أو اليد لدفع المضرة عن النفس[2] ، وهي غير الرتيمة (الخيط) التي تعقد في الأصابع لاستذكار به الحاجة[3].

ويدخل في ضمن مفهوم الرتيمة الاعتقاد السائد في السفر ، إذ يعهد المسافر قبل سفره إلى غصنين من شجرتين تقرب احدهما من الأخرى فَيَعقد احدهما بصاحبه ، فإذا عاد ورأى الغصنين قد انحلا قال: امرأته قد خانته[4].

ـ البريم:

خيط فيه لونان مزين بجواهر ،أو ينظم فيه خرز فتشده المرأة على وسطها ، وقيل حبل فيه لونان أسود وأبيض ، وقال أبو عبيده: البريم: خيط فيه ألوان ، تشده المرأة على وسطها أو عضدها ، وفيه انشد الأصمعي للكروس بن زيد:

وقائلة نعم الفتى انت من فتى إذا المرضع العرجاء حال بريمها[5]

وقال الجوهري: البريم ، الحبل المفتول يكون فيه لونان ، وربما تشده المرأة على وسطها وعضدها ، وقد يعلق على الصبي تدفع به العين[6].

---

(١) ينظر: ابن عبد البر، فتح الباري،ج٦،ص١٤٢

(٢) ابن عابدين، حاشية رد المختار،ج٦،ص٦٨٠

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ابن جني، سر صناعة الإعراب،ج١،ص٤٢٤؛ ابن نجيم الحنفي، الرائق،ج٨، ص٢١٧.

(٥) ابن منظور، لسان العرب،ج١٢،ص٤٤ ؛ الزبيدي، تاج العروس،ج٣١،ص٢٦٧

(٦) الصحاح، ج٥،ص١٨٧

- التحويطة:

والحوط: خيط مفتول من لونين احمر واسود، فيه خرزات وهلال من فضة، يشد على وسط حامله، لئلا يصاب بالعين[1] وهو اسم لما يعلق على الصبي تدفع به العين[2].

- العقاب:

خيط يشد في وسط الصبي تدفع به العين[3].

٥- النفرة:

وهي ما يعلق على الصبي؛ لخوف النظرة، أي لدفع العين[4]، وكانت العرب قبل الإسلام اعتقادات في النفرة منها:

- تعليق أعضاء الحيوانات:

ولتنفير الأرواح الشريرة، اعتقد العرب قبل الإسلام بتعليق أعضاء الحيوانات التي تنفر منها الجن، لأن الأخيرة تركب كثير من الحيوانات كالطيور والزواحف والحشرات، وعرفت كل هذه بـ(مطايا الجن)، ولم يستثنوا منها سوى الأرنب لحيضها، والضباع لقذارتها، والقردة لزينتها[5]. لذا علقوا:

- كعب الأرنب:

ومن عادات العرب تعليق كعب الأرنب، ذكر ابن الإعرابي: إنهم يقولون من علق كعب أرنب لم تقربه جنان الدار ولا عمار الحي، ولا شيطان الحماطة [6]، ولا

---

(١) ابن منظور، لسان العرب،ج٧،ص٢٨٠

(٢) الزبيدي، تاج العروس ج١٩،ص٢٢٦

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص ٧٤٣ ٠

(٤) ابن منظور، لسان العرب،ج١،ص٣٢٥؛ الزبيدي، تاج العروس،ج٢،ص٢٩٩ ٠

(٥) ينظر: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء،ج٢،ص٢٨١ ٠

(٦) الحماطة: كانت العرب تقول لجنس من الحياة: شيطان الحماطة، وقيل الحماطة بلغة هذيل: شجر عظام تنبت في بلادهم تالفها الحيات، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص ٢٧٨.

جار العشيرة ، ولا غول[1] القفر[2] ، واعتقدوا أن من علق كعب أرنب لم تصبه عين ولا سحر ، لأن الجن تهرب من الأرنب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن[3].

أ: سن الثعلب وسن الهرة:

كانت العرب تعلق على الصبي سن ثعلب ، وسن هرة ، خوفا من الخطفة(أي من خطف الجن للأطفال ومن حسدها لهم)[4] ، ويزعمون: أن جنية أرادت صبي قوم فلم تقدر عليه ، فقالت: تعتذر إليهم ، كان عليه نفره ثعالب و هررة [5] ، أو ما جاء جاء قولها بشعر:

كَانَتْ عليه سنّة من هرة　　　وثعلبٌ، والحيضُ حيضُ السَّمُرَة[6]

ب: تعليق الأقذار وعظام الموتى:

وكان يطلق على تعليق الأقذار بـ(المنجسة) ، ويقال للمعوذ: (منجس)[7] ، وتبدو هذه من أغرب الاعتقادات قبل الإسلام ، إذ كانت تعلق مَنّ يُخاف عليه من ولوع الجن به كالصبيان وغيرهم ، الأقذار وعظام الموتى ، ويقولون: إن الجن لا تقربها وتنّفر منها. وأطلق على ذلك(التنجيس) ، وكانت العرب تفعله كالعوذة ، تدفع بها العين[8]. يتبين ذلك من رفض الشاعر الممزق العبدي لهذه الخرافات ؛ لأنها لا تدفع الأمر الواقع بقوله:

---

(١) الغول: جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول تتراءى للناس فتتغول تغولا أي تتلون تتلون في صو شتى، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص ٣٩٦.

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج١٩ ،ص٤٠٣

(٣) الابشهي، المستطرف في كل فن مستظرف،ج٢ ،ص١٧٩

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦ ،ص٧٤٦

(٥) ابن أبي الحديد ، المصدر السابق،ج١٩ ،ص٤٠٤

(٦) ينظر: بلوغ الأرب: ج٢ ،ص ٣٥٨.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج٤ ، ص٢٥٤.

(٨) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ١ ، ص ٧٤٣.

ولو كان عندي حَازيانٍ وكاهنٌ وعلّق انجاساً على المنجّسُ

اذاً لأتَتْني حيثُ كُنْتُ مَنيتي يَخُبُّ بها هادٍ الـيّ مُعَفْرَسُ[١]

ومن اعتقاداتهم ، إن سبب الجنون ، هو روح شريرة تحل في الرجل فيُجن ، فزعموا أن تعليق رؤوس القتلى ، تبعد عنهم الأرواح الشريرة ، وتقيهم من الإصابة بالجنون[٢].

ج : السمرة:

من نفراتهم السمرة ، إذ أن هناك شجرة تسمى السمر ، يسيل منها شيْ يسمى السمرة كدم الغزال ، وكانت العرب إذا وَلدت المرأة اخذوا من دم السمرة ، وهو أشبه بالصمغة يسيل منها ، فينقطونه بين عين النفساء ، وُينفر بها الصبي ، إذ يخط على وجه خطاً ، ويسمى هذا الصمغ السائل من السمر بالدوام[٣]. ويرجح أن هذا الصمغ ينفر منه الجن ، لذا تنفروا به.

وربما جاء هذا الاعتقاد من أن العرب قبل الإسلام كانوا يعظمون الشجر[٤]. وان عبادتهم للعزى التي هي أعظم الأصنام عند قريش كانت بثلاث شجرات سمرات بوادي نخلة ، أي أنها سَمُرة كانت لغطفان ، ولها منحر يسمى الغبغب ينحرون فيه هداياهم[٥]. لهذا فأن ما يسيل من شجرة السمر يُعد مقدساً لعظمة الشجرة عندهم ، فتنفروا بهذه السمرة ، لدفع الأخطار عنهم.

ثانياً ـ الرقى:

والرقية: هي قراءة كلمات وترديدها على المريض والنفث عليه ، وأحيانا تؤخذ في قراءة الرقية خيطاً ويعقد عليه عقداً بعد عقد ، وينفث في تلك العقد ، واشتهر بهذا

---

(١) حماسة البحتري: ١٣٩. الحازي: الخبير بالأمور. معفرس: غالب.

(٢) ابن الأثير، المثل السائر، ج١ ، ص ٩٨ ، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ ، ص٣٢٨.

(٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٩ ، ص٤٠٤.

(٤) الازرقي أخبار مكة ،ج١ ، ص١٣٠

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤ ، ص١١٦

النوع من الرقى النساء ، لأنهن يعقدن وينفثن ، والغاية من ذلك ربط القلب بذلك الأمر وإحكام الهمة والوهن فيه[1].

ويرقى الإنسان بالرقية من الفزع ، أو الجنون[2] ، أو مرض أو آفة كالحمى والصدع وغير ذلك[3]. وكانوا يرقون بأسماء الأصنام ، ويتوكلون عليها توكلاً كاملاً ، ويعظمون أمرها ويعدونها تشفي المريض[4]. واستعملت الرقى للمحبة ، وما تريده المرأة أن يتعلق بها الرجل.. ومن أمثلة تلك الرقى:

"هوا به هوا به، البرق والسحابة، اخذته بمركن، فحبه تمكن،

اخذته بإبرة، فلا يزال في عبرة، ليته بأشقى، فقلبه لا يهدا،

خليته بمبرد، فقلبه لا يبرد"[5].

ويبدو أن هذه الرقية تلهب قلب الرجل وتهيجه ، ويعمل على وفق إرادة المرأة التي استعملت تلك الرقية[6].

ومن رقاهم للمرأة التي تفارق زوجها إذا سافر ولا تريد رجوعه:

"بأفول القمر، وظل الشجر، شمال تشمله،

ودبور تدبره، ونكباء تنكبه، شيك فلا انتعش"[7].

ثم ترمي في أثره بحصاة ونواة و بعرة ثم تقول: "حصاة حصت أثره ، ونواة أنأت داره ، روثة راث خبره ، لقعته ببعرة"[8]. وهناك من يفسر قذف الحصاة والنواة خلف الزوج المسافر كالعوذة له ، لا كما تفعله الفارك التي تتمنى فراق زوجها. ويفهم ذلك من قول الشاعر:

---

(١) الرازي، التفسير الكبير،ج٣٢،ص١٧٩

(٢) ابن منظور ، لسان العرب،ج٣،ص٤٩٩

(٣) المباركفوري، تحفة الأحوذي،ج٦،ص١٧٩

(٤) العيني، عمد القارئ،ج٢١،ص٢٤٥

(٥) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة،ج١٩،ص٤٢٨

(٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج٦،ص ٧٤٨

(٧) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة،ج١٩،ص٤٢٨

(٨) المصدر نفسه.

لا تقـذنـي خلفـي إذا الركـب اغـتـدى روثـــة عـــير وحصـــاة ونـــوى

لــن يــدفع المقــدر اســباب الرقـــى ولا التهاويـل علـى جـن الغـلا[١]

واحتفظ العرب بأسماء للرقى ، فمنها(الرعب) ، وهي رقية تستخدم للوقاية من السحر[٢]. فضلاً عن ذلك ، هناك ضروب من الرقى:

١.النشرة:

وهي رقية تكتب في ورقة ثم توضع في الماء ، ويشرب ماءها[٣]. وتعني نشر ما طوى الساحر وتفريق ما جمعه[٤]. وقيل سميت نشرة لأنه ينشرها عنه ، أي يحل عنه ما خامره من الداء[٥].

وُذكر إن النشرة حل السحر من المسحور ، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر[٦]. ويعالج بالنشرة من كان يظن به مس من الجن[٧]. أو من كان به طب أي سحر ، كأن يحبس عن امرأته ولا يصل إلى جماعها ، وعلاج ذلك على حد اعتقادهم أن يأخذ حزمة قضبان وفأساً ذا قطارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ، ثم يؤجج ناراً في تلك الحزمة ، حتى إذا ما حمى الفأس استخرجه من النار وبال على حره فإنه يبرأ[٨] ، وفي علاج آخر أن يجمع ما قُدر عليه من ورد البستان في أيام الربيع ثم يلقيها في إناء نظيف ، ويجعل الماء فيه ماء عذباً ، ثم يغلي ذلك الورد في الماء غلياً يسيراً ، ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه فإنه يبرأ[٩].

---

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج١٩ ،ص٤٢٨

(٢) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ،ج١١٥ ،١ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ،ج٢ ،ص٥٠٦

(٣) ابن ابي داؤد ، السنن ،ج٢ ،ص٢٢١ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ،ج٤ ،ص٤١٨

(٤) العيني ، المصدر السابق ،ج٢١ ،ص٢٨٤ ؛العظيم آبادي ، عون المعبود ،ج١٠ ،ص٢٤٩

(٥) القرطبي ، جامع احكام القران ،ج١٠ ،ص٣١٩ ؛ الالوسي ، روح المعاني ،ج١٥ ،ص١٤٥

(٦) ابن حجر ، فتح الباري ،ج١٠ ،ص٢٣٣

(٧) البيهقي ، سنن ،ج٩ ،ص٣٥١

(٨) ابن حجر ، فتح الباري ،ج١٠ ،ص٢٣٤

(٩) المصدر نفسه.

٢ـ العوذة:

ومن أنواع الرقى العوذة ، وأصلها الالتجاء إلى الغير ، وفي الغالب تعلق على الصبيان[1]. وهناك أنواع من العوذ منها(الحلبة)التي يحرز عليها الجلد ، و(المجلب) الذي يجعل العوذة في جلب ثم يخاط على الفرس[2]. ومنها (الحرز)[3] ، وسميت العوذ بالحرز وجمعها (الاحراز) لأنها تحرز حاملها من الشيطان ، ومن العين ، وغالباً ما تكتب الإحراز بخط دقيق[4].

ومن العوذ ما تسمى(المجول)[5] ، وكذلك(التولة) ، وهي من العوذ التي تصنعها النساء يتحببن بها إلى أزواجهن عن طريق السحر ، وقيل هي: خيط يقرأ فيه من السحر ، أو قرطاس يكتب فيه شيء منه يتحبب به النساء إلى قلوب الرجال ، أو الرجال إلى قلوب النساء[6].

ومن العوذ(التأخيذ) ، وأخذته أي رقته ، وكان نساء العرب قبل الإسلام يفعلنه ، والعامة تسميه(الرباط والعقد) ، ورجل مُؤخذ عن النساء أي(محبوس) ، وهي أن تحتال المرأة بحيل في منع زوجها عن جماع غيرها بواسطة السحر[7].

وكان الكهان يقوم بقراءة أو كتابة التعاويذ ، حتى أن العرب زعموا في عشاقهم أنهم أصابهم مس من الجنون ، فيعلقون على رؤوسهم الرقى والتعاويذ والعزائم ، ويطوفون بهم في المعابد والأضرحة ، وعلى الكهان والعرافين[8].

---

(١) الالوسي، روح المعاني،ج٣،ص١٣٧

(٢) الفراهيدي، العين، ج٦،ص١٣٢

(٣) الزمخشري أساس البلاغة،ج١ص١٢١؛ الفيروز آبادي،القاموس المحيط،ج١،ص٦٥٣

(٤) العبكري، ديوان المتنبي،ج٢،ص١٧٣

(٥) الأزهري، تهذيب اللغة،ج١١،ص١٢٩؛ ابن منظور، لسان العرب،ج١١،ص١٣٤

(٦) الشوكاني، نيل الاوطار،ج٩،ص١٠٤

(٧) الزبيدي، تاج العروس،ج٩،ص٢٣٦

(٨) عادل جاسم البياتي، تراث الحب في الأدب العربي قبل الإسلام، مجلة الآداب الجامعة المستنصرية، العدد٧، سنة١٩٨٣، ص٩٤

٣ـ التسخير والعزائم:

وتُعد من الرقى ، وكان العرب حينما يعملون السحر يقرؤون الرقى ، ويستعينون بالأرواح الأرضية وهم(الجن) ، لأن اتصال النفوس الناطقة على حد زعمهم أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية ، لما بينها من المناسبة والتقرب ، ويتم اتصال السحرة بالأرواح الأرضية عن طريق أعمال الرقى ، ويسمى ذلك بالعزائم وعمل التسخير[١]. لهذا عُدت العزائم من الرقى التي يعزم بها على الجن والأرواح[٢].

أما عن استعمال الرقى ، ففضلاً عما ذكر من استعملها في السحر والوقاية منه ، وللمحبة ، وللعين ، أو من أصابهم مس من الجن ، كان العرب يرقون بها من الحمة (السم)[٣]. وجاءت تسمية ألحمة على إبرة العقرب ، لأن السم يخرج منها[٤]. واشتهر (آل حزم) قبل الإسلام برقية الحية ، فكانوا يرقون بها من لدغة الحية والعقرب[٥].

وعلى الرغم من استعمال الرقى في العلاج من لدغة الحية أو العقرب ، إلا أن هناك من الحيات لا تفد بها الرقية ، ومنها حية تسمى(الاعيرج) وهي صماء حيث إنها تثبت وتصير مع الفارس في سرجه وكذلك(ألصل) الذي لا تنفع معه الرقية[٦]. وحية وصفت بالخبث أطلق عليها(الصمعرية)[٧] ، حتى أطلقت تسمية(الصمعري) على كل من لا تعمل فيه الرقية[٨].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص١٤٦

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٠٠

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٤، ص١٨٣

(٤) المباركفوري، المصدر السابق، ج٦، ص١٨٠

(٥) الزرعي، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج ٤، ص١٨٥

(٦) الرازي، مختار الصحاح، ص١٩٥.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٦٨.

(٨) المصدر نفسه

هـ- اعتقادات أخرى في الرقى:

كان العرب يرقون دوابهم بكلمات حتى لا تنفر من أصحابها ، فكانت(التأييه) أن يؤيه بالفرس إذ نفر فيقول له: (أيه إيه)[1]. ولزجر البعير حتى لا ينفر(ته ته)[2] ، ويقال لصغار الإبل أذا نفرت كلمة (هدع)[3].

ومن اعتقاداتهم لتنفير الجن يقومون بتغيير أسماء أبنائهم ، وتغريبها ، ووصف أعرابي هذا الاعتقاد بقوله: لما ولدت قيل لأبي نفر عنه فسماني قنفذاً ، وكناني أبا العداء ، لأنهم يداوون أولادهم بمراكب الجن[4].

ومن طرائف اعتقادات العرب إنه إذا أراد رجل دخول قرية مخافة وباءها أو جُنيها ، وقف على بابها قبل أن يدخلها فينهق نهيق الحمار ، وسموا هذا النهيق (التعشير) ويتضح ذلك في قول الشاعر:

لا يَنفَعُ التعشيرُ إنْ حُمَّ واقِعٌ ولا زَعْزَعٌ يغني ولا كعبُ أرنبِ[5]

وهناك مَن رفض هذا المعتقد ، يتضح بما جاء في قصة عروة بن الورد حينما خرج مع أصحابه إلى خيبر ، فلما قربوا منها عشروا ، وأبى عروة أن يفعل ذلك ، فقال:

وقالوا احْبُ وانهق لا تَضرُك خيبر وذلك من دينِ اليهودِ وَلُوعِ

لعمري لئن عَشَّرْتُ من خِشْيةِ الرّدَى نُهاقَ الحميرِ إنني لَجَزُوعِ[6]

(١) ابن منظور ، لسان العرب، ج٤ ، ص ٤٦٨.

(٢) المصدر نفسه ،ج١٣ ،ص٤٩١

(٣) الجوهري، الصحاح،ج٤ ،ص١٥٠٥

(٤) ابن أبي الحديد ، المصدر السابق،ج١٩ ،ص٤٠٤ ٠ومن مطايا الجن، الثعالب المسنة ، والعظاء ، والجرذ ، والفأرة ، والورل ، والجندب ، ينظر:الجاحظ ، الحيوان ،ج٤ ،ص٧ ٠

(٥) الالوسي،بلوغ الإرب،ج٢ ، ص٣١٥

(٦) ديوان عروة بن الورد : ٨٠. انهق: أي كما يقولون من دخل خيبر ونهق عشر مرات لم تضره الحمى. وهذه خزعبلات لا أساس لها من الصحة لأنها تخالف العلم والمنطق السليم.

ومن اعتقاداتهم أذا قتلوا ثعباناً خافوا من الجن، أن يأخذوا بثأره، فيأخذون روثة ويفنونها على رأسه ويقولون: روثة راث ثائرك[1].

موقف القران والسنة من التمائم والرقى:

اولاً- موقف القرآن:

تدعوا التمائم والرقى التي اعتقد بها العرب قبل الإسلام إلى الشرك، لأنهم يظنون إنها تقيهم، وتصرف عنهم البلاء فعلقوها، واعتقدوا بها لحماية أنفسهم ودوابهم من الإمراض وإصابة العين وإبعاد الأرواح الشريرة.

وفي ظهور الإسلام، تغيرت كثير من المفاهيم والاعتقادات التي كانت سائدة عند العرب، فألغى قسماً منها بدواعي الشرك وأبقى القسم الأخر بما يتفق مع صفة التوحيد لله ﷻ، لأن العباد تلجأ إليه لتحصل المنفعة أو لدفع كل شر. إذ جاء في محكم كتابه: ((إِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ))[2]. وقوله ﷻ : ((وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))[3]، وقوله ﷻ: ((وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ))[4]. يتضح من هذه النصوص القرآنية العلاقة بين الخالق والمخلوق والاعتقاد الصحيح بها بما لا يدعو أي مجال للاعتقادات المنحرفة عن كتاب الله بالتوكل عل الرقى والتمائم الشركية.

---

(١) الالوسي، بلوغ الإرب، ج٢، ص٣٥٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٧

(٣) سورة يونس، الآية ١٠٧

(٤) سورة النحل، الآية ٥٣

ثانياً ـ موقف السُنة :

١ـ في تحريم التمائم والرقى :

هناك نصوص حديثية تدل بوضوح على قطعية تحريم التمائم والرقى منها:

أ ـ عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك"[1]. وقصة هذا الحديث: أن زينب امرأة عبد الله بن مسعود أصابها حمرة في وجهها ، فدخلت عليها عجوز فرقتها في خيط فعلقته عليها ، فدخل ابن مسعود عليها فقال: ما هذا ؟ فقالت: استرقيت من الحمرة ، فمد يده فقطعها ، ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك ، قالت: ثم قال: إن رسول الله ﷺ حدثنا: إن الرقى والتمائم والتولة شرك[2]. وفي رواية أخرى: دخل ابن مسعود على بعض أمهات أولاده ، فرأى في عنقها تميمة فلوى السير حتى قطعها ، أفي بيوتي الشرك ، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "التمائم والرقى والتولة شرك أو طرف من الشرك"[3].

ب ـ وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: "من علق ودعة فلا ودع الله له ، ومن علق تميمة فلا أتم الله له"[4].

ج ـ وعن عيسى ـ وهو ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى ـ قال: "دخلت على عبد الله بن عكيم أبي معبد الجهني أعوده ، وبه حمرة فقلت: ألا تعلق شيئاً؟ قال: الموت اقرب من ذلك ، قال النبي ﷺ: من تعلق شيئاً وكل إليه"[5].

د ـ ونهى الرسول ﷺ عن النشرة بسؤاله عنها فقال: "هو من عمل الشيطان"[6].

هـ ـ وفي السيرة النبوية ، هناك ما يؤكد أن الرسول ﷺ نهى عن تعليق التمائم

---

(١) أبو داؤد ، سنن،ج٤ ،ص٩؛البيهقي، سنن،ج٩ ،ص٣٥٠

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرك،ج٤ ،ص٤٦٣

(٣) الطبراني، المعجم الكبير،ج٩ ،ص١٧٤

(٤) ابن حبان، صحيح ابن حبان،ج١٣ ،ص٤٥٠؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك،ج٤ ،ص٢٤٠

(٥) الطبراني، المعجم الكبير،ج٩ ،ص١٧٤

(٦) البيهقي، سنن،ج٩ ،ص٣٥١

والأوتار ، ففي رواية لأبي بشير الأنصاري قال: انه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر ، أو قلادة إلا قطعت[1].

وما يؤكد النهى عن تعليق التمائم ما جاء في رواية عقبة بن عامر الجهني إذ قال: "أقبل رهط إلى رسول الله فبايع تسعة ، وأمسك عن واحد ، فقالو: يارسول الله بايعت تسعة وتركت هذا! قال: إن عليه تميمة فأدخل يده فقطعها ، فبايعه"[2]. وكذلك ما روي عن الصحابي السائب الغفاري: "أن أمه أتت به رسول الله وعليه تميمة قال: فقطع رسول الله تميمتي"[3].

و ـ وعن كراهية عقد التمائم والرقى وحرمتها ، ما روي عن عبد الله بن مسعود: قال: "كان رسول الله يكره عشر خصال: التختم بالذهب وجر الأزرار ، والصفرة يعني الخلوق وتغيير الشيب والرقى إلا بالمعوذات وعقد التمائم والضرب بالكعاب والتبرج بالزينة لغير بعلها وعزل الماء عن محله وإفساد الصبي عشر محرمة)[4].

٢ ـ في احكام جواز التمائم والرقى:

لا بأس بالرقى التي لم تكن فيها شيء من الشرك ، وجوز الرسول ﷺ الرقى والتطبب من العين أو الحمة والدغه ، والمرض ، وما جاء في السنة النبوية الشريفة عن هذه الرقى وأسبابها نذكر منها:

---

(١) مالك ابن انس، الموطأ، ج٢، ص٩٣٩

(٢) احمد بن حنبل، مسند، ج٤، ص١٥٦؛ القرطبي، الجامع، ج٣، ص٢١٩

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٥٧٤؛ابن حجر، فتح الباري، ج٤، ص٢٧٣

(٤) احمد بن حنبل، مسند، ج١، ص٣٨٠؛النسائي، السنن، ج٨، ص٦٨٥؛ أبو يعلى، المسند، ج٩، ص١٥٦، البيهقي، سنن، ج٧، ص٢٣٤ .

أ ـ الرقى من العين:

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب﷛ قال: رقى النبي ﷺ حسناً وحسيناً (عليهما السلام) فقال: أعيذكما بكلمات الله التامات وأسمائه الحسنى كلها عامة من شر السامة والهامة ومن شر كل عين لامة ومن شر حاسد أذا حسد، ثم التفت النبي ﷺ إلينا فقال: هكذا كان يعوذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق(عليهما السلام)[1].

وعن أم سلمى(رضي الله عنها)، أن رسول الله ﷺ دخل بيتها، ووجد صبي لم يَسم يبكي فذكروا له أن به عين، فقال رسول الله ﷺ (ألا تسترقون له من العين)[2].

وعن أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ قالت يا رَسُولَ اللَّه إِنَّ وَلَدَ جَعْفَرِ(الطيار) تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ الْعَيْنُ أَفَأَسْتَرْقِي لهم فقال نعم فإنه لو كان شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ[3].

ب ـ الرقى من السم:

أجاز الرسول ﷺ الرقية من ألحمة ولدغة القرب، والنملة في قوله: "لا رقية إلا من نفس أو حمة أو لدغة"[4]. وعن عمر بن حَزم قال: عرضتُ النهشة(الرقية) من الحية على رسول الله فأمر بها[5]. وعن عائشة(رضي الله عنها) قالت: رخص رسول الله في الرقية من الحية والعقرب[6].

وفي رواية للزهري قال: لدغ بعض أصحاب رسول الله ﷺ حية، فقال النبي: من راق فقالوا: يا رسول الله أن آل حزم يرقون رقية الحية، فلما نهيت عن الرقى تركوها، فقال: أدعوا عمارة بن حزام فدعوه، فعرض عليه رقاه فقال رسول الله ﷺ: لا بأس بها فأذن له فيها فرقاه[7].

---

(١) الكليني، الأصول من الكافي،ج٢،ص٥٦٩؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣،ص١٨٣

(٢) الزرقاني، شرح الزرقاني،ج٤،ص٤١١

(٣) الترمذي، السنن،ج٤، ص٣٩٥ ؛ الشوكاني، فتح القدير،ج٩،ص١٠٧

(٤) احمد بن حنبل، المسند،ج٣،ص١١٨

(٥) العيني، عمدة القارئ،ج٢١،ص٢٦٢؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي،ج٦،ص١٨٠

(٦) ابن ماجه، سنن ابن ماجه،ج٢،ص١١٦٣

(٧) الزرعي، زاد المعاد،ج٤،ص١٨٥

ج ـ الرقية من الوجع:

وعن الرقية من الألم ما رواه كعب بن مالك: قال رسول الله ﷺ: إذا وجد أحدكم ألما فليضع يده تحت ألمه ثم ليقل: سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته على كل شيء من شر ما أجد[1].

وعن ابن عمر"إن النبي وجد وجعاً في رأسه ، فأبطأ على أصحابه ثم خرج اليهم ، فقال له عمر: ما الذي أبطأك يارسول الله عنا ، فقال: وجع وجدته في رأسي ، فهبط علّي جبريل ، فوضع يده على رأسي ثم قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك أو يصيبك ، ومن شر كل معلن أو مسر ، ومن شر الجن والإنس ، ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد. قال: فبرأت)[2].

وعن عائشة(رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ كان يرقي بهذه الرقية: اذهب البأس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت[3].وروي عنها أيضاً: إن النبي ﷺ كان أذا أشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات ، وينفث ، فلما اشتد وجعه ، كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها[4].

وعن ابن عباس: "إن النبي ﷺ كان يُعلمهم الرقى من الحُمى ومن الأوجاع كلها أن يقول: بسم الله الكبير ، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار(أي فوار الدم) ومن شر حر النار"[5].

وعن عثمان بن أبي العاص انه أتى رسول الله ﷺ وبه وجع كاد يهلكه فقال رسول الله ﷺ: امسحه بيمينك سبع مرات ، وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد ، قال ففعلت ذلك ، فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم[6].

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد،ج٥،ص١١٤

(٢) السيوطي، الدر المنثور،ج٨،ص٦٩٠

(٣) مسلم، صحيح مسلم،ج٤،ص١٧٢٣

(٤) المصدر نفسه.

(٥) احمد بن حنبل، مسند،ج١،ص٣٠٠؛ ابن ماجه، سنن،ج٢،ص١١٦٥ ؛ الترمذي، سنن،ج٤، ص٤٠٥؛ الطبراني، المعجم الكبير،ج٩،ص١٧٤

(٦) الترمذي، سنن،ج٤ ، ص٤٠٨

د ـ الرقية من الجن والسحر:

عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان ، وعين الإنسان ، حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا اخذ بهما وترك ما سواها[1].

هـ ـ جواز رقى الجاهلية ما لم يكن به شرك:

عن عوف بن مالك الاشجعي ، قال: كنا نرقي في الجاهلية ، فقلنا يا رسول الله ، كيف ترى في ذلك ، فقال: أعرضوا علّي رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك[2].

وعن محمد بن زيد عن بن زيد عن عُمرو مولى آبى اللحم ، قال: شهدت خيبر مع سادتي ، فكلموا رسول الله ﷺ إني مملوك ، قال: فأمر بي فقلدت السيف ، فأمر لي بشيء من خُرثي(المتاع والغنائم) وعرضت عليه رقية كنت أُرقي بها المجانين ، فأمرني بطرح بعضها وحبس بعضها[3]. أي بإسقاط بعض كلماتها التي تخالف القرآن والسُنة ، وإبقاء بعضها التي ليست كذلك ، وفيه دليل على جواز الرقية من غير القرآن والُسنة ، بشرط أن تكون خالية من كلمات شركية وما يتعارض مع الشريعة الإسلامية[4].

وما يوضح جواز الرقى الجاهلية التي تخلو من الشرك ، ما جاء في رواية عن كريب الكندي قال: "اخذ علي بن الحسين بيده ، فانطلقا إلى شيخ من قريش يقال له ابن أبي حثمة يصلي إلى اسطوانة ، فجلسا إليه ، فلما انصرف قال له علي: حدثنا بحديث أمك في الرقية ، فقال: حدثتني أمي ، إنها كانت ترقى برقية لها في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ، قالت لا أرقي بها حتى أستأذن رسول الله ﷺ ، فأتيته ،

---

(١) الترمذي، سنن،ج٤، ص٣٩٥

(٢) ابن ماجه، سنن،ج٢،ص١١٧٥ ،وينظر: مسلم، صحيح،ج٤، ص١٧٢٧؛ ابن حبان، صحيح،ج١٣،ص٤٦١.

(٣) احمد بن حنبل، مسند،ج٥،ص٢٢٣

(٤) المباركفوري، تحفة الأحوذي،ج٥،ص١٤٢

فأستأمرته ، فقال: أرقي مالم يكن فيها شرك "[1].

فضلا عن جواز رقى الجاهلية الخالية من الشرك ، رخص الرسولﷺ الرقى إذا كانت تنفع المسلم ولا تضره بقوله: "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل"[2]. وقصة هذا الحديث ما رواه جابر قال: كان لي خال يرقي من العقرب فنهى رسول الله عن الرقى ، فأتاه ، فقال يارسول الله: انك نهيت عن الرقى ، وأنا ارقي من العقرب ، فقال من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل[3].

ح- جوز الرقية بكتاب الله القرآن :

إذ رخص الرسول ﷺ الرقية بالقرآن كالمعوذتين وآية الكرسي[4].

ط - جوز الرقية بأسماء الله وصفاته :

وتكون باللسان العربي ، وبما يعرف معناه ، بشرط الاعتقاد أن الرقية لا تؤثر بنفسها بل بتقدير الله[5].

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير،ج٢٤ ،ص٣١٦

(٢) احمد بن حنبل، مسند ، ج٣ ،ص٣٩٢ .

(٣) المصدر نفسه، ص٣٩٣ .

(٤) الجصاص، أحكام القران،ج٥ ، ص٣٧٩ ؛ المناوي، فيض القدير،ج٦ ،ص٤٠٨ ٠

(٥) الزرقاني، شرح الرزرقاني،ج٤ ،ص٤١٧

الفصل الخامس

عادات الحرب

عادات الحرب

حظيت الحرب عند العرب قبل الإسلام باهتماماتهم، فضمنوها في أشعارهم ومرويات أخبارهم ؛ لانعكاساتها الخطيرة والمؤثرة في حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وإن تفصيلات الحروب وما خلفته من نتائج في المجتمع العربي قبل الإسلام من السعة والتشعب، بات من الصعب بمكان الإلمام بها في بحث، وإنما في أكثر من دراسة. لذا ارتأينا أن يُكرس الحديث في جانبٍ منها، يتمثل بالعادات التي اقترنت بها الحروب أو ما أفرزتها.

لقد وصلتنا أغلب أخبار حروب العرب قبل الإسلام برواية أبو عبيدة معمر ابن المثنى(ت ٢٠٩ هـ)، جُمعت في كتاب وسم بـ(أيام العرب قبل الإسلام لأبي عُبيدة) من قبل الدكتور عادل جاسم البياتي[١]، وقدم له بدراسة غاية في الأهمية ؛ للباحث في مادة حروب العرب قبل الإسلام من الوجهة الأدبية والتاريخية، إذ نجد فيها قراءة تاريخية معمقة لمادة أيام العرب مع موازنتها للملاحم العالمية القديمة منها (كلكامش، وعصر البطولة الإغريقي..). كما وصلتنا روايات الأيام في عدد من المظان الأدبية والجغرافية والتاريخية منها: نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر بن المثنى[٢]، والعقد الفريد لابن عبد ربه(ت ٣٢٨هـ)[٣]، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)[٤]، والأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي(ت٣٨٠هـ)[٥]، والعمدة في

(١) ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة دار الجاحظ، (بغداد، ١٩٧٦).

(٢) تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية (بيوت، ١٩٩٨م).

(٣) دار أحياء التراث العربي، ط٣، (بيروت، ١٩٩٩م).

(٤) تحقيق سمير جاسم، ط٢، دار الفكر، (بيروت، د.ت).

(٥) أبو الحسن علي بن محمد، تحقيق، صالح مهدي العزاوي، ط٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧م).

محاسن الشعر لابن رشيق(ت ٤٥٦هـ)[١] وشرح ديوان الحماسة للتبريزي (ت ٥٠٢هـ)[٢] ، ومجمع الأمثال للميداني(ت ٥١٦هـ)[٣] ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ)[٤] ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)[٥].

ومما يؤسف له فقدان مؤلفات اختصت بأيام العرب منها: كتاب الأيام لمحمد ابن السائب الكلبي(ت ١٤٦هـ)[٦]. وكتب الأيام لهشام بن محمد السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ) وهي: كتاب الأيام ، داحس والغبراء ، وقائع بني شيبان ، وقائع الضباب وفزارة ، وأيام بني حنيفة ، وأيام قيس بن ثعلبة ، وكتاب الكلاب الأول ، وكتاب الكلاب الثاني[٧]. وكتاب الأيام ، وكتاب أيام بني يشكر وأخبارهم لأبي عبيدة معمر بن المثنى[٨]. وكتاب أخبار العرب وأيامها للزبير بن البكار(ت ٢٥٦هـ)[٩].

ومن الدراسات الحديثة التي عنيت بأيام العرب ، كتاب أيام العرب قبل الإسلام لمحمد جاد المولى وآخرين[١٠] ، جُمع فيه المادة الخام لأيام العرب قبل الإسلام من مصادرها الأصلية ، وقد تم تصنيفها تبعا للقبائل العدنانية والقحطانية مع تعليقات في الهوامش عن أسماء الأعَلام والمواقع. وهناك دراسة عن الحرب عند القبائل العربية في الجاهلية للدكتور صالح موسى نرادكة[١١] ، أثبت فيها الباحث إن المؤسسة العسكرية

---

(١) تحقيق محمد محيي الدين عبد المجيد ، ط٤ ، دار الجيل، (بيروت، ١٩٧٢م).

(٢) تحقيق محمد عبد القادر سعيد الرافعي، دار القلم، (بيروت، د.ت).

(٣) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، (بيروت، د. ت).

(٤) دار الفكر، (بيروت، د.ت).

(٥) تحقيق عبد الله القاضي، ط٢ ، دار الكتب العلمية ،(بيروت، ١٤١٥ه).

(٦) ص ٨٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٤٢- ص ١٤٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(١٠) دار أحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت).

(١١) الحرب عند القبائل العربية في الجاهلية ، مجلة المؤرخ العربي، العدد٢٩ ، سنة ١٩٨٦ ، ص ١١٤ وما بعدها.

في الإسلام لم تأت فجأة ، ودونما سوابق في النواحي الفنية والفكرية ، وإن الماضي العسكري له أثر في البناء العسكري الشامخ الذي انتصب أمام الأنظار في مطلع الدعوة الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى الدراسات الأدبية التي عُنيت في شعر أيام العرب ، وقد ركزت على الجانب الفني فيه ، ولكن فيها ما يفيد الباحث في حروب العرب قبل الإسلام ، لا سيما أن الشعر الجاهلي يُعد مصدرا مهما من مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام ، نعلم منها: دراسة الدكتور علي الجندي ، شعر الحرب في العصر الجاهلي[1]. ودراسة الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن ، الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي[2]. ودراسة الدكتور نوري حمودي القيسي ، الفروسية في الشعر الجاهلي[3]. ودراسة منذر خلف الجبوري ، أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي[4]. وثمة دراسة ماجستير وسمت بـ(صورة الحرب وأبعادها الأسطورية) للباحثة ابتسام نايف صالح أبو الرب[5] ، تناولت فيها: الحرب في الموروث القديم ، والأبعاد الإنسانية والطبيعية للحرب ، ناقشت فيها الجذور الأسطورية المتعلقة بهذه الحروب ، وعلى الرغم من أنها دراسة للحرب في الشعر الجاهلي ، إلا أنها فيها مادة تاريخية اهتمت بحروب العرب ومعتقداتهم. فضلا عن استنطاقها للموروث العربي القديم الذي استند إليه الشاعر الجاهلي ، وهذا ما تفتقر له الدراسات التي سبقتها إلى حد بعيد.

ولا مندوحة قبل معالجتنا لمدلولات العنوان(عادات الحرب) ، أن نناقش الآراء التي توصلت لها الدراسات السابقة عن أيام العرب ، إذ غلب على بعضها سمة الغلو والمبالغة ، فقد صورت الإنسان العربي على إنه سادي متعطش للدماء ، لا

---

(١) مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٨.

(٢) دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.

(٣) مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٤م.

(٤) دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٤.

(٥) مقدمة إلى جامعة النجاح الوطنية في نابلس،كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدابها ٢٠٠٦م.

يتهاون في القتل والبطش ، وكأن جزيرة العرب ساحة للمنازلات الدموية ، تدق فيها الأعناق ، وتسيل فيها الدماء[1]. وسارت على خطى هذه المبالغات بنعت حروب العرب قبل الإسلام بالحروب الدموية ، مضيفة لها مبالغات أخرى ، ولكن هذه المرّة في مدد الحروب ، وصل حد الإسراف بالمبالغة على إنها دامت قرنين من الزمن ، جاءت على الأخضر واليابس[2].

إن دراسة أيام العرب بحاجة إلى إعادة نظر موضوعية ، تغربل هذا الكم من المبالغات ، وتضع الأيام في صورتها الصحيحة. على سبيل المثال تعطي روايات الأيام انطباعاً للوهلة الأولى على أن حرب البسوس(بين بكر وتغلب) استمرت قرابة أربعين عام ، ولكن في الواقع استحالة القتال بينهما لهذه المدة الطويلة نسبيا ، إذ ما أخذنا بعين الاعتبار الإمكانات البشرية والمادية للعرب حينذاك ، فهي لا تتعدى العداوات بينهما ، فالملاحظ من مرويات حرب البسوس أن أيام القتال الفعلي فيها ، لم تتجاوز الستة أيام[3] ، أو تسعة أيام في رواية أخرى[4] ، وكانت أياما متباعدة. وأنصاف لعرب قبل الإسلام ، إن الاقتتال والحروب ، لم يكن مقتصرا على العرب آنذاك. إنما نقرأ عن حروب واقتتال في أمم أخرى منها: (الهنود القدماء ، والإغريق ، والرومان...)[5] ، ومهما اختلفت أسبابه ، حتى إنها كادت سمة لازمت تاريخ هذه الأمم.

---

(١) يمثل هذا الرأي: شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، ينظر على سبيل المثال، ص١.

(٢) يمثل هذا الرأي: عفيف عبد الرحمن، الشعر وأيام العرب، ينظر على سبيل المثال، ص٧٢.

(٣) ينظر: عبد بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق ثروة عكاشة، دار المعارف، (القاهرة د.ت)، ص ٦٥٠.

(٤) ينظر تفاصيل هذه الأيام: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٦٠٥، وما بعدها.

(٥) ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ج١، ص٦٣.

مصطلح الحرب ومدلولاته:

وردت مفردة الحرب في القرآن الكريم في قوله تعالى: "كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ"[1]. والحرب نقيض السلم[2]، وجاءت مفردة الحرب بصيغة المؤنث؛ لأنهم ذهبوا بها إلى المحاربة، وقوم محربة، ورجل محرب أي محارب لعدوه[3]. ولفظة (الحرب)، دارجة قبل الإسلام وتعني محاربة العدو ومقاتلته سواء في الهجوم أم في الدفاع. ومن المفردات التي تدخل في أطار الحرب، الغزو: ويعني السير إلى قتال العدو[4].

وقد وصلتنا مرويات الحروب بين القبائل العربية وغيرهم(الفرس والبيزنطيين) قبل الإسلام تحت مسمى(أيام العرب). بمعنى الوقائع والنعم بحسب قول ابن السكيت. والسبب في تسميتها بـ(الأيام) لأن العرب تعني باليوم، النهار، وكانت هذه الحروب في الأغلب تقع في يوم واحد، وتنتهي بانتهائه، وإذ استمرت لأكثر من يوم، فإنهم لا يتقاتلون ليلا[5]، وإنما يواصلون القتال في الصباح الثاني، وهكذا، كما حدث في يوم فَيَف الريح الذي استمر القتال فيه ثلاثة أيام[6]. أو ما حدث في يوم الكُلاب الثاني الذي امتد لأكثر من يومين[7].

وعرفت الأيام بأسماء الأماكن التي دارت رحى المعارك فيها: مثل يوم عين أباغ، وشعب جبلة، ورحرحان[8]، أو بأسماء الأشخاص كيوم

---

(١) سورة النحل، الآية ٢٧.

(٢) محمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ج١، ص ٣٠٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١٥، ص١٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١٢، ٦٥١.

(٦) أبو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، ج١، ص ٣٣٧.

(٧) أبو عبيدة، كتاب أيام العرب، ص ٤٣٨- ص ٤٣٩.

(٨) عين أباغ: هو واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام، وكان عندها في الجاهلية يوم لهم بين ملوك غسان ملوك الشام وملوك لخم ملوك الحيرة قتل فيه المنذر ابن المنذر بن امرىء القيس اللخمي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٦١.

حليمة[1] أو الحوادث البارزة فيها كيوم تحلاق اللمم[2]، أو أسماء حيوانات كيوم داحس والغبراء[3].

وعلى الرغم من تسمية وقائع العرب بالأيام، إلا أننا استخدمنا مصطلح (الحروب القبلية)، لكي نستبعد الحديث عن الأيام التي وقع فيها قتال محدود، مثل يوم الكديد[4]، أو مسبباتها عرضية وبسيطة، طغى على أحداثها النزاعات الفردية والمهاترات، وانتهت بمصالحة وتراجع، مثل يوم الفجار الأولى[5]. لذا سيتشكل بحثنا من الشواهد التاريخية التي تهتم بالوقائع الحربية التي أشتعل أوارها بين قبائل شمال

=شعب جبلة الموضع الذي كانت فيه الوقعة المشهورة بين بني عامر وتميم وعبس وذبيان وفزارة، وجبلة هذه هضبة حمراء بنجد بين الشريف والشرف والشريف ماء لبني نمير والشرف ماء لبني كلاب، هو واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام، وكان عندها في الجاهلية يوم لهم بين ملوك غسان ملوك الشام وملوك لخم ملوك الحيرة قتل فيه المنذر ابن المنذر بن امرىء القيس اللخمي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٠٤.

رحرحان: اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات قيل هو لغطفان وكان فيه يومان للعرب أشهرهما الثاني وهو يوم لبني عامر بن صعصعة على بني تميم أسر فيه معبد بن زرارة أخو حاجب بن زرارة رئيس بني تميم وكان سببه أن الحارث بن ظالم قتل خالد بن جعفر ثم أتى بني فزارة بن عدس فاستجارهم فأجاره معبد بن زرارة فخرج الأحوص ابن جعفر ثائرا بأخيه خالد فالتقوا برحرحان فهزم بنو تميم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦.

(١) هو اليوم الذي قتل فيه الحارث بن أبي شمر الغساني المنذر بن ماء السماء وجعلت حليمة بنت الحارث تخلق قومها وتحرضهم على القتال. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٦.

(٢) يوم لبكر على تغلب، سمي بذلك لأن بني بكر حلقوا فيه جميعا رؤوسهم) محمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، هامش، ص ١٤٢.

(٣) بين عبس وذبيان، وداحس والغبراء، أسماء فرسين لقيس بن زهير، المرجع نفسه، هامش، ص ٢٤٦.

(٤) قتل فيه ربيعة بن مكدم أحد فرسان مضر المعدودين من قبل نبيشة بن حبيب السلمي. التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ج١، ص ٣٧٥.

(٥) حدث فيه قتال شخصي بين بدر بن معشر الغفاري، والأحمر بن مازن في سوق عكاظ، وتحاور الحيان حتى كاد أن يكون القتال بينهما، ثم تراجعوا بعد أن رأوا الامر يسير. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢١٦.

الجزيرة فيما بينهم ، أو فيما بين قبائل جنوب الجزيرة ، أو بين قبائل من الشمال وقبائل من الجنوب ، وقد ازدادت أحيانا هذه الوقائع حدة ؛ بسبب التحالفات القبلية على اختلاف أهدافها سواء المصلحية منها أم بسبب الاشتراك في النسب الأعلى للقبائل.

وإكمالا لتوضيح دلالة العنوان(عادات الحرب) ، لذا نجد بُداً لتبيان ما يعنيه مصطلح عادات ، ومفردها(عادة) ، وهنا لا يعنينا المفهوم المعاصر لتلك المفردة ، إذ هناك تعريفات كثيرة لها ، تتمحور حول سلوك جمعي متكرر ، يُكتسب ويتوارث اجتماعيا ، فهي ظاهرة اجتماعية تمثل أسلوبا اجتماعيا[1]. الذي يعنينا الأصل اللغوي للمفردة –عادة– وردت في لسان العرب ، في مادة (عود): و تعود الشيء وعاده وعاوده معاودة وعوادا و اعتاده واستعاده ، وأعاده أي صار عادة له ، وعودة الشيء جعله يعتاده ، والمعاود المواظب[2]. فدلالتها الرجوع إلى الشيء مرّة إثر مرّة ، أي المواظبة على الرجوع ، وترتكز على الشيوع في السلوك الاجتماعي.

عاداتهم في الحروب:

عُدّت الحروب عند العرب قبل الإسلام هاجسا لازم الفرد في أغلب أوقاته ، فكانت ظروف البيئة القاسية التي يعيش فيها اغلب قبائل العرب جعلتهم يتزاحمون على الموارد الاقتصادية فيما بينهم ، فحتم عليهم أن يكونوا حذرين يخشون إزاحتهم من مواطنهم ، طمعا في الكلأ والماء وما إلى ذلك من أهمية لموطن القبيلة. كما ترتب على هذه المزاحمة والاحتكاك قيماً ومعتقدات ، منها: (الثأر ، العصبية القبلية ، الإجارة...) شكلت بدورها بواعثا إضافية لحدوث وقائع أخرى. لذا نظر العرب إلى الحرب بقدسية ، وتعايش معها ؛ لأنها حياة أو موت ، دفاعا عن العِرضِ أو المال أو الأرض ، في المقابل هناك من يريد أن يسلب هذا المقدس ، لكي ينعم في عيشة أفضل

---

(١) فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار الكتاب العربي، (القاهرة د.ت)، ص١٠٥، ص١١٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣١٧.

ويوسع من نفوذه.

ولأهمية هذه الحروب ، وتعايش العرب معها أفرزت عادات كثيرة منها:

كانت العرب إذا أرادت حربا أوقدت نارا لتصير إعلاما للناهضين فيها ، وكذلك إذ توقعوا جيشا أوقدوا نارا على جبلهم ليبلغ الخبر أصحابهم[1] ، حتى ضمنوها في أمثالهم: "نارُ الحرب أسعرُ"[2]. وجاءت أوصافهم للحرب بتشبيهها بجمرة النار ، وكثيرا ما يطلقون الحمرة على الشدة[3] ، وكذلك: شبت الحرب ، واشتعلت نارها ، واستطار شرارها ، وثار عجاجها ، وهال ارتجاجها ، وفي أوصاف أخرى: حمي وطيسها واغتبطت نفوسها[4]. والدال على أضرامهم نار الحرب ، إذا جدوا وأعجلوا ، أضرموا نارين كما في يوم خزاز[5] ، وفيه اجتمعت ربيعة وعلى مقلمتهم السفاح التغلبي وهو سَلَمَة بن خالد بن كعب ، وأمرهم أن يوقدوا على خزاز نارا ليهتدوا بها ، وقال له: إن غشيك العدو فأوقد نارين ، فبلغ قبائل مَذحِج اجتماع ربيعة ومسيرها ، فأقلوا بجموعم ، واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا إليهم ، فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا إلى ربيعة ، ووصلت مذحج إلى خزاز ليلا ، فرفع السفاح نارين ، فلما رأى كُليب النارين أقبل إليهم بجموع فصبحهم فالتقوا بخزاز ، فاقتتلوا قتالا شديدا أكثروا فيه القتل ، فانهزمت مذحج ، وانفضت جموعها ، فقال السفاح في ذلك:

---

(١) أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق عبد القادر زكار ، (دمشق، ١٩٨١م)، ج١ ، ص٤٦٧.

(٢) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢ ، ص٣٤٦.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب، ج٤ ، ص٢١١.

(٤) أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، (القاهرة د. ت)، ج١ ، ص٥٧٦.

(٥) جبال ثلاثة بطخفة ما بين البصرة إلى مكة فمتالع عن يمين الطريق للذاهب إلى مكة وكير عن شماله وخزاز بنحر الطريق إلا أنها لا يمر الناس عليها ثلاثتها وقيل خزاز جبل لبني غاضرة خاصة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢ ، ص٣٦٥.

وليلة بت أوقد في خزاز هديت كتائبا متحيرات[1]

ومن الشواهد الأخرى عن أضرامهم للنار على المناطق المرتفعة ، ليبلغ الخبر حلفاؤهم ، ما كان في يوم اليَحَاميم ، ويعرف أيضا بقارات حوق ، وهو بين قبائل طيء بعضها في بعض ، فلما تجهز أوس للحرب وأخذ في جمع جديلة ولفها ، وبلغ الغوث جمع أوس لها ، وأوقدت النار على مناع وهي ذروة جبل اجأ ، وذلك أول يوم توقد عليه النار ، فأقبلت قبائل الغوث كل قبيلة وعليها رئيسها منهم زيد الخيل وحاتم ، وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لأم ، وحلف أوس أن لا يرجع عن طيء حتى ينزل معها جبليها أجأ وسلمى وتجبى له أهلها ، وتزاحفوا والتقوا بقارات حوق على راياتهم ، فاقتتلوا قتالا شديدا ودارت الحرب على بني كباد بن جندب[2]. ويتبين مما تقدم في عادة أضرام نار الحرب هو إيذانا لأفراد القبيلة ببدئها ، أو وسيلة لإيصال خبر استنفار القبيلة الأم إلى بقية بطونها ، أو إلى أحلافها من القبائل الأخرى.

وكان العرب يفاجئون عدوهم صباحا ، وإذ استغاثوا للمعركة كان قولهم (وصباحاه) ، لأن العدو يُصبح القومِ ويأتيهم حال الغرة والأمن[3]. وهناك من يرى في قولهم (وصباحاه) فيه أمران: أحدهما ، أنهم كانوا يغيرون وقت الصباح ؛ فكأن القائل يا صباحاه يقول قد رهقنا العدو ، والثاني ، أن المتقاتلين كانوا يرجعون عن القتال في الليل ؛ فإذا جاء النهار عاودوا ، فكأن قوله ياصباحاه يريد به جاء وقت الصباح ، فتأهبوا للقتال[4].

وإذا داهمهم خطر الحرب ورأى أحدهم الغارة قد فاجأتهم وأراد إنذار قومه تجرد

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٠٧- ص ٤٠٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٠٣.

(٣) أحمد بن محمد بن كريم الخطابي (٢٨٨هـ)، غريب الحديث، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الفرياوى، جامعة أم القرى، (مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ)، ج١، ص ٣٢٩.

(٤) أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي(ت ٥٩٧هـ)، غريب الحديث، تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي، (مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ)،ج١، ص ٥٧٧.

من ثيابه وأشار بها ليعلم قومه بالخطر[1]. وغدت مثلا: "أنا النَّذيرُ العُريانُ" ، يُقال لكلِّ شيءٍ يُخافُ مُفاجأتُه[2]. أي إنه أراد إنذار قومه وأعلامهم بما يوجب المخافة ، لذا نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدا منهم ليخبرهم بما دهمهم ، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم ، وهو طليعتهم ورقيبهم ، وكان يفعل ذلك ؛ لأنه أبين للناظر ، وأغرب وأشنع منظرا ، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو ، وقيل معناه أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا أنذركم عريانا[3]. واختلفت الروايات في أصل النذير العُريان ، فقيل: أن النذير العريان امرأة من بني عامر بن كعب ، لما قتل المنذر بن ماء السماء أولاد أبي داود وكان جار المنذر ، خشيت على قومها ، فركبت جملا ولحقت بهم ، وقالت: أنا النذير العريان. وفي رواية لأبي بشر الآمدي ، إن زنبرا بن عمرو الخثعمي كان ناكحا في آل زبيد ، فأرادوا أن يُغزوا قومه وخشوا أن يُنذر بهم ، فحرسه أربعة نفر ، فصادف منهم غِرة ، فقذف ثيابه وعدا ، وكان من أشد الناس عدوا فأنذر قومه[4] ، فقال:

أَنـا المُنْـذِرُ العُريـانُ يَنْبِـذُ ثوبَـه إذا الصِّدْقُ لا يَنْبِذْ لكَ الثَّوْبَ كاذِبُ[5]

ويأتي رمز التعري ، بالكشف عن جزء من الجسم ، هذا ما نقرئه في مسببات حرب البسوس ، فبعد أن قتل كليب بن وائل(وأسمه وائل وكليب لقبه ، سيد ربيعة) من قبل جساس بن مُرة ، لازم الأخير يقينا تاما ، إنه ارتكب فعلا سيقود

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ص ٤٨.

(٢) مجد الين أبو الفيض الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية (بيروت د. ت)، ج ١٤، ص ٢٠١.

(٣) أبو زكريا يحيى النووي(ت ٦٧٦هـ)، شرح النووي على صحيح مسلم، ط٢، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٣٩٢ه)، ج١٥، ص ٤٨.

(٤) أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢ه)، فتح الباري على صحيح البخاري، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، د. ت)، ج١١، ص ٢١٧ ؛بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥هـ)، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، (بيروت،د.ت)، ج٢٣، ص ٧٥.

(٥) الزبيدي، تاج العروس، ج ١٤، ص ٢٠١.

قبيلته إلى الحرب لا محال ، فجاء راكضاً كاشفا ركبتيه ، فلما نظر أبوه مُرة إلى ذلك ، قال: لقد أتاكم جساس بداهية مارأيته قط بادي الركبتين إلى اليوم ، فلما وقف على أبيه ، قال: ما لك ياجساس ، قال: طعنت طعنة يجتمع بنو وائل غدا لها رقصا ، قال: ومن طعنت لأمك الثكل ، قال: قتلت كليبا ، قال: أفعلت ، قال: نعم ، قال: بئس والله ما جئت به قومك ، فقال جساس:

فإني قد جنيت عليك حربا تغص الشيخ بالماء القراح[1]

وفي سياق الحديث عن إنذار القوم ، ثمة شخص يقوم بمهمة النذير لقومه ، ولكن هذه المرّة في أبلاغ قومه حين يقترب العدو منهم ، يقال له الصريخ. ويقال: الصَّارخةُ لصَوْتُ استِغَاثته ، ومنه قولهم سَمِعْتُ صارِخَةَ القَوْم ، والصَّارخَةُ ، بمعَنى الصَّرِيخ المُغِيث[2]. ويتبين أثر الصريخ في يوم جدود ، الذي حدث بين بكر بن وائل وبني منقر من تميم ، وكان من حديثه أن الحوفزان واسمه الحارث بن شريك الشيباني كانت بينه وبين بني سليط بن يربوع موادعة ، فهَمَّ بالغدر بهم ، وجمع بني شيبان وذهلا واللهازم وعليهم حمران بن عبد عمرو بن بشر بن عمرو ، ثم غزا وهو يرجو أن يصيب غرة من بني يربوع ، فلما انتهى إلى بني يربوع نذر به عتيبة بن الحارث بن شهاب ، فنادى في قومه ، فحالوا بين الحوفزان وبين الماء ، وقال لعتيبة: إني لا أرى معك إلا رهطك وأنا في طوائف من بني بكر فلئن ظفرت بكم قل عددكم وطمع فيكم عدوكم ، ولئن ظفرتم بي ما تقتلون إلا أقاصي عشيرتي ، وما إياكم أردت فهل لكم أن تسالمونا وتأخذوا ما معنا من التمر ووالله لا نروع يربوعا أبدا..... ، فأخذا ما معهم من التمر ، وخلى سبيلهم ، فسارت بكر حتى أغاروا على بني ربيع بن الحارث ، فأصاب سببا ونعما ، فبعث بنو ربيع صريخهم إلى بني كليب فلم يجيبوهم ، فأتى الصريخ بني منقر بن عبيد فركبوا في الطلب فلحقوا بكر بن وائل وهم مقاتلون ، فما شعر الحوفزان وهو في ظل شجرة إلا بالأهتم بن سمي بن سنان

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج١ ، ص٤١٢.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج ٧، ص ٢٩١.

المنقري واقفا على رأسه، فركب فرسه، فنادى الأهتم: يا آل سعد، ونادى الحوفزان: يا آل وائل، ولحق بنو منقر فقاتلوا قتالاً شديدا فهزمت بكر(١).

ويتجلى أثر الصريخ في استنفار بطون القبيلة الأخرى التي ينتسب إليها البطن الذي أُغيرَ عليه، بدلالة ما جاء في يوم المَروت (وهو يوم بني تميم على عامر بن صعصعة)، إذ جمع بُجير بن عبد الله بني عامر وسار بهم، فأغار على بني العنبر بن عمرو بن تميم، فاستاق السبي والنعم ولم يلق قتالاً شديدا، وأتى الصريخ بني العنبر بن عمرو بن تميم وبني مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبني يربوع بن حنظلة؛ فركبوا في الطلب(٢). ويتم اختيار الصريخ من الفرسان، إذا طرق الحي من الغزو، وكان الصريخ يمتاز بالصوت الغليظ الأجش، ويُذكر إنه إذا شُن هجوما على القبيلة "صهلو الأجش الغليظ الصوت"(٣). وأحيانا يكون أكثر من شخص، يتخذا مكاناً مرتفعاً يستطلعا قدوم العدو، وهذا ما نجده في يوم فلج (وهو يوم لبكر بن وائل على تميم)، وكان بنو عجل قد خلفوا رجلين على فرسين سابقين ربيئة ليخبراهم بخبرهم إن ساروا إليهم تميم، فلما وصلت إلى الرجلين، أجريا فرسيهما وسارا مجدين؛ فأنذرا قومهما، فأتاهم الصريخ بمسير تميم عند وصولهم إلى فلج (٤). فضلا عن الصريخ، كانت لهم عيون في القبائل التي يختلفون معها، وفي حديث بعض الغزوات، أنهم كانوا يتحسبون الأخبار أي يتطلبونها(٥).

ولأهمية الصريخ على نتائج الغزو، اتخذ المغيرون كل وسائل الحذر والتكتم والبحث عن النذر والصريخين؛ لكيلا يفلتوا منهم فيذهبوا إلى قومهم وهم هدف الغزو أو إلى غيرهم ممن قصدوا بالغزو فيحذرونهم منهم، ويكونوا عندئذ في حالة تأهب واستعداد لمقابلة المغيرين، أو لمباغتتهم بهجوم معاكس عليهم، أو بنصب

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج١، ص٤٨٣- ص٤٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٠٠.

(٣) ابن منظور، لسان العرب ج٦/ص٢٧٤

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٥١٤.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣١٧.

كمائن لهم قد تلحق أذى بهم، وقد تؤدي إلى الضد ما قصد من ذلك الغزو[1].

واستعملوا الرمز في إشعار القوم بالهجوم، أو تهيء العدو لشن غارة على القوم، فمن الرموز التي وظفوها؛ ولها دلالاتها: الرمل أو التراب للدلالة على كثرة العدو، والشَوْك دلالة على بأس العدو وشدته، واللون، إذ كان للقبائل أو ساداتها ألوان يُعرفون بها، وعدد الأحجار للدلالة على عدد الأيام المحتملة لوصول العدو، ونبات الحنظل رمزاً لرؤساء القوم، والشمس وضوح الأمر كوضوح النهار. وترسل هذه الإشارات من قبل الأشخاص المتواجدين في قبيلة لأي سبب كان، وتزمع بالهجوم على قبيلتهم الأصلية. ويضيف(د.جواد علي) إلى ما تعنيه رمزية الشوك الذي تُكسر رؤوسه، بشوكة العدو، إلا أنه عدو لا يخشى جانبه، لأنه غير متحد ولا متفق[2]. وتتضح هذه الرموز في يوم الوقيط(لبكر من ربيعة على تميم)، وكان من حديثه أن اللهازم(حلف يضم: قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة من بكر بن وائل، وعنزة بن أسد بن ربيعة، وعجل بن لجيم) تجمعت، ومعهما عجل بن لجيم وعنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار لتغير على بني تميم، فرأى ذلك الأعور وهو ناشب بن بشامة العنبري وكان أسيرا في قيس بن ثعلبة، فقال لهم: أعطوني رجلا أرسله إلى أهلي أوصيهم ببعض حاجاتي، فقالوا له: ترسله ونحن حضور، قال: نعم، فاتوه بغلام، قال أتعقل، قال: نعم إني لعاقل، قال: فالنيران أكثر أم الكواكب، قال: الكواكب ولك كثيرة، فملأ كفه رملا، وقال كم في كفي، قال: لا أدري فإنه لكثير، فأومأ إلى الشمس بيده، وقال: ما تلك، قال: الشمس، قال: ماأراك إلا عاقلا فابلغهم السلام، وقل لهم فليعروا جملي الأحمر، ويركبوا ناقتي العيساء، وليرعوا حاجتي في بني مالك، وأخبرهم أن العوسج قد أورق، وأن النساء قد اشتكت، وليعصوا همام بن بشامة؛ فإنه مشؤوم مجدود، وليطيعوا هذيل بن الأخنس؛ فإنه حازم ميمون، واسألوا الحرث عن خبري، وسار الرسول، فأتى قومه، فأبلغهم، فلم يدروا ما أراد، فأحضروا

---

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة،بغداد (١٩٦٦م)، ج٥، ص ٤٠٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٣٧.

الحارث وقصوا عليه خبر الرسول ، فقال للرسول: اقصص علّيَ أول قصتك ، فقص عليه أول ما كلمه حتى أتى على آخره ، فقال: أبلغه التحية والسلام وأخبره أنا نستوصي بما أوصى به فعاد الرسول ثم قال لبني العنبران صاحبكم قد بين لكم ، أما الرمل الذي جعله في كفه فإنه يخبركم أنه قد أتاكم عدد لا يحصى ، وأما الشمس التي أومأ إليها فإنه يقول ذلك أوضح من الشمس ، وأما جمله الأحمر فالصمان فإنه يأمركم أن تعروه يعني ترتحلوا عنه ، وأما ناقته العيساء فإنه يأمركم أن تحترزوا في الدهناء ، وأما بنو مالك فإنه يأمركم أن تنذروهم معكم ، وأما إيراق العوسج فإن القوم قد لبسوا السلاح ، وأما اشتكاء النساء فإنه يريد أن النساء قد خرزن الشكاء وهي أسقية الماء للغزو ، فحذر بنو العنبر وركبوا الدهناء وأنذروا بني مالك فلم يقبلوا[1].

وتضيف الشواهد التاريخية بما يؤكد رمزية الإشعار بنية العدو للهجوم واستعداداته ، كما جاء في يوم شِعْب جَبَلة بين تميم وأحلافها(أسد ، وغطفان ، وبنو فزارة) ضد بني عامر وحليفتها عبس ، بعد أن سارت تميم وأحلافها بإمرة لقيط بن زرارة ، فلقي في طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدي وكان شريفا ، فقال: ما منعك أن تسير معنا في غزاتنا ، قال: أنا مشغول في طلب إبل لي ، قال: لا بل تريد أن تنذر بنا القوم ولا أتركك حتى تحلف أنك لا تخبرهم فحلف لهم ثم سار عنهم وهو مغضوب ، فلما دنا من عامر أخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكا وترابا وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ، ثم رمى بها حيث يسقون ، ولم يتكلم ، فأخذها معاوية بن قشير ، فأتى بها الأحوص بن جعفر وأخبره أن رجلا ألقاها وهم يسقون ، فقال: الأحوص لقيس بن زهير العبسي ما ترى في هذا الأمر ، قال: هذا من صنع الله لنا هذا رجل قد أخذ عليه عهد على أن لا يكلمكم ، فأخبركم أن أعداءكم قد غزوكم عدد التراب ، وأن شوكتهم شديدة ، وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم ، وأما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم ، وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة ، وأما الأحجار فهي عشر ليال يأتيكم القوم إليها ، قد

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١ ، ص ٤٩٧- ص ٤٩٨.

أنذرتكم فكونوا أحرارا فاصبروا كما يصبر الأحرار منكم[1].

وكانت تضرب لسيد القوم قبة(وهي مستديرة ، لتنفرد عن الخباء) ، عند التهيؤ للمعارك بانتظار قدوم العدو ، وتُعدّ رمزا للسيادة ، يذود أفراد القبيلة عنها ، وكان المقاتلون ينزلون حولها ، كما حدث في(يوم فلج) المار ذكره ، فحين سمع حنظلة بن يسار العجلي بقدوم تميم لغزوهم ، ضرب قبته ، أي اتخذ موقع القيادة ، وعسكر مقاتلي قبيلته معه وتهيؤا للقتال معه[2]. وفي السياق ذاته ، كانت لقريش قبة ، إلا أنها تختلف عن قباب سادة القبائل ، ولكن لها من الأهمية ، فأصبحت من ضمن وظائف مكة التي أوجدتها قريش ، وكانت هذه الوظيفة لبطن من بطونها وهم بني مخزوم ، وأسندت إلى أحد قادتها وهو خالد بن الوليد ؛ وكانوا يضربون القبة (أي يقيموها على أوتاد مضروبة في الأرض) ، ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش ، وفضلا عن القبة ، هناك وظيفة الأعنة التي أُسندت إلى خالد نفسه ؛ فإنه كان على خيل قريش في الحرب[3].

وكانت العرب أذا أرادت الخروج للحرب ، تلبس الدروع ، والموشى من الثياب ، وتتطيب ، حتى ضمن العرب كنى الحرب بثلاثة أشياء ، وردت في قول ابن السكيت: (عطر منشم ، وثوب محارب ، وبرد فاخر) ، ومحارب رجل كان يتخذ الدروع ، يتضح في قولهم: "لبست مع البردين ثوب محارب". وفاخر رجل من تميم كان صاحب حرب وهو اول من لبس الموشى ، فكل من اراد حربا لبس مثل لباسه. وقيل منشم امرأة من خزاعة كانت تبيع الحنوط فتشاءموا بها وعطرها[4].

وللتشاؤم والتيامن حيزاً في عادات العرب بحروبهم ؛ فكانوا يحبذون غزو أعدائهم من جهة اليمين ، لأنهم يتشاءموا في غزوهم من شق اليسار ، إذ اعتقد العرب إن

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج١، ص ٤٦٣- ص ٤٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥١٤.

(٤) الحسن بن سهل أبو هلال العسكري (ت القرن الخامس الهجري)، جمهرة الأمثال، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٨م)، ص٤٤٥

طبع الإنسان داعيةٌ إلى الهرب من شق الشمال ، لذا حبوا أن يأتوا أعدائهم من شق اليمين[1]. ومن عادة العرب أن يستشيروا الكهنة قبل غزواتهم لِتَنبئهم في نتائجها ، ونستدل على ذلك بما ذكره(ابن حبيب): إن امرأة من طيء يقال لها رقاش الكاهنة تغزو ويتمنون برأيها ، ولها حزم ورأي ، فأغارت طيء على إياد بن نزار فظفرت بهم وغنمت[2]. وكذلك ما قيل عن سجاح التميمية التي تكهنت ، فأتبعها قوم من بني تميم وقوم من أخوالها بني تغلب ، ثم إنها سجعت ذات يوم فقالت: إن رب السحاب يأمركم أن تغزوا الرباب فغزتهم فهزموها ولم يقاتلها أحد غيرهم[3]. وهناك من الشواهد التي تُبيّن ما يؤول إليه مصير القبيلة في حال عدم الأخذ بمشورة الكاهن إلى نهايةٍ لا يُحمد عُقباها ، منها ما جاء في استشارة كاهن بني الحارث(المأمور الحارثي) لقبائل مَذحِج وأحلافها قبل اندلاع يوم الكلاب الثاني ، فحذرهم من غزو قبيلة تميم ، بيد أن غرورهم بسبب جموعهم الكبيرة قادهم إلى الهجوم ، فكانت الغلبة على وفق ما اعتقده الكاهن في هذا اليوم لقبيلة تميم[4].

وما درج عليه العرب في حروبهم ، المبارزة بين قادة الطرفين المتقاتلين ، أو شجعانهم ، قبل التحام الجيشين ، فإذا ماكسب أحد المتبارزين النزاع ، ترتفع معنويات جيشه وتزيد من دافعيتهم على القتال ؛ أما الطرف الضدّي - الذي تدور

---

(١) أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (بيروت ١٩٩٦م)، ج٣، ص ١٧٤.

(٢) ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص ٢٨٨ ؛ أبو عبيد الله البكري(ت ٤٨٣هـ)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ط٣، تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة، (بيروت، ١٩٨٣م)، ج١، ص ٣٢٩.

(٣) ينظر: أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٣هـ)، ج١، ص١٠٨ ؛ المطهر المقدسي (ت ٣٧٨هـ)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (نور سعيد، د.ت)، ج٥، ص١٦٤.

(٤) ينظر التفاصيل: أبو عبيدة، أيام العرب، ص ٤٣٠ – ص ٤٥٥ ؛ المفضل بن محمد بن يعلى الضبي (ت)، ديوان المضليات، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ص ٢١٧.

عليه دائرة المبارزة - فوقع أثره النفسي بالغ التأثير على جيشه ، وإرهاصا للهزيمة. وقد وردت في أيامهم مفردات تتماثل مع مفردة المبارزة منها: المجالات[1]. والبداد ، ولو كان البداد لما أطاقونا ، أي لو بارزناهم رجل رجل[2]. والمناجزة في القتال المبارزة والمقاتلة ، وهو أن يتبارز الفارسان فيتمارسا حتى يقتل كل واحد منهما صاحبه أو يقتل أحدهما[3]. والمخالاة ، خاليت فلانا إذا صارعته[4]. وبداد: أمر بالمبارزة ، يقال: يا قوم بداد بداد ، ليأخذ كل رجل منكم رجلا ، والبداد: المبارزة ، و يقال لقوا بدادهم أخذوا أقرانهم كل رجل رجلا[5]. ومن شواهد المبارزة بين الفرسان ، ما جاء في حرب الفجار الثانية(بين قريش وكنانة من جهة ، وقيس من جهة أخرى) ، وفي اليوم الرابع من أيامهما(يوم عكاظ) ، التقوا في هذه المواضع على رأس الحول ، وقد جمع بعضهم لبعض واحتشدوا والرؤساء بحالهم ، وحمل عبد الله بن جدعان يومئذ ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير ، وخرج الحليس بن يزيد أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو رئيس الأحابيش[6] يومئذ ، فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثان

---

(١) أبو السعادات ابن الأثير(ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطحناوي، المكتبة العلمية (بيروت، ١٩٧٩م)، ج٥، ص ٢٠.

(٢) مجد الدين محمد الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، (بيروت، د.ت) ج٢، ص ٣٤١.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ٤١٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١٤، ص ٢٤١.

(٥) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، د.ت) تحقيق مجمع اللغة العربية، (د. ت)، ج١، ص ٤٣.

(٦) الأحابيش: وهم " بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبني الهون بن خزيمة: القارة وعضل والديش وبنو خزاعة: الحيا والمصطلق، وبنو نفاثة بن الدئل من كنانة، وسموا أحابيش لأنهم حالفوا قريشا تحت جبل يقال له حبشي، أبو محمد عبد الملك ابن هشام (ت ٢١٣هـ أو ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق طه الرؤوف سعد، دار الجيل، (بيروت، ١٤١١هـ)،ج ٢، ص ٢١٧، أبو الوليد محمد الازرقي (ت نحو٢٢٣هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحن، دار الأندلس، (بيروت، ١٩٩٦م)، ج١، ص ١١٥.

بن سعد بن يربوع النصري[1].

وهناك مبارزة تحدث بين قادة الجيشين، يتم الاتفاق فيها لما تؤول إليه نتائج المبارزة بينهما، إلى إنهاء القتال، وانضمام جيش المنهزم إلى جيش المنتصر، وهذا ما نجده في إحدى المعارك بين بنو سُليح ودولة كندة، إذ ذُكر أن الحارث بن مندلة ملك الشام وكان من ملوك سُليح من(الضجاعمة)، قد أغار على أرض نجد وهي أرض حجر بن الحارث الكندي، وكان حجر منشغلا في غزو أهل نجران، فاستاق ابن مندلة مال حجر، وأخذ امرأته هند الهنود، فلما رجع حجر وجد ماله قد استيق ووجد هندا قد أخذت، فقال: من أغار عليكم، قالوا: ابن مندلة، فجهز الحارث جيشه حتى انتهى إلى ابن مندلة، فقال له: هل لك في المبارزة فأينا قتل صاحبه انقاد له جند المقتول، قال له ابن مندلة: فاختلفا بينهما بطعنتين فطعنه الحارث طعنة جندله بها عن فرسه وانتزع الرمح من نحره وخرجت نفسه، فظفر الحارث بجنده واستنقذ جميع ما كان ذهب به من ماله ومال أهل بلاده وأخذ هند[2]. وتُجسد هذه العادة رؤيا قائمة على عناصرٍ شتّى؛ منها: حقن الدماء، وتَنُم عن أخلاق فروسية محضة، في إطارها الايجابي، وهي من جهة أخرى، تظهر النموذج السياسي – الاجتماعي – العسكري، القائم في أكثر أحواله على مبدأ التسلط الفردي[3].

وكانت للعرب وسائلهم في رفع معنويات المقاتلين وحثهم على القتال، ولاسيما إذا شعروا إن دائرة القتال ليس في جانبهم، والغلبة ستكون للعدو؛ منها ما يقوم به سيد القوم بعقل نفسه؛ لكي يدفع مقاتلي القبيلة للذود عن سيدها؛ لأنه يُعدّ رمزا للقبيلة. ويتجلى هذا الأمر بوضوح في حرب الفجِار الثاني(وهي حروب قيس وكنانة)[4]، فحينما رأى سبيع بن ربيع بن معاوية هزيمة قبائل قيس، عقل نفسه،

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ٧١.

(٢) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص ٢٤٥- ص ٢٤٦.

(٣) محمد توفيق أبو علي، صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية من القرن ٦- ٩هـ / ١٢- ١٥م، ط٤، شركة المطبوعات، (بيروت ٢٠١٢م)، ص ١٦٢.

(٤) ينظر تفصيلاته: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص ١٠١ وما بعدها.

واضطجع ، وقال: يا معشر بني نصر قاتلوا عني أو ذروا ، فعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وفهم وعدان وانهزم باقي قبائل قيس ، فقاتل هؤلاء أشد قتال رآه الناس[1]. وتتضح عادة عقل أو تقييد سادت القوم أنفسهم في يوم عكاظ من حرب الفجار الثاني ، حين سارت قريش حتى نزلت عكاظ وبها قبائل قيس ، وكان مع حرب بن أمية إخوته سفيان وأبو سفيان والعاص وأبو العاص بنو أمية ، فعقل حرب نفسه ، وقيد سفيان وأبو العاص نفسيهما ، وقالوا: لن يبرح رجل منا مكانه حتى نموت أو نظفر ، فيومئذ سموا العنابس ، والعنبس الأسد ، واقتتل الناس قتالا شديدا[2].

ومن دوافع التأثير في رفع معنويات المقاتلين هي تطيّب المقاتلين لحثهم على القتال ، ففي يوم حليمة الدائر بين الغساسنة والمناذرة ، وحين اشتد أوار المعارك بينهم ولم يحسم النصر لأحد الطرفين ، فلما رأى الحارث الأعرج بن جبلة الغساني(٥٢٩-٥٦٩ م أو ٥٧٠م) ذلك ، طلب من ابنته ، يقال لها حليمة ، بتطيّب المقاتلين يومئذ ، وتلبسهم الأكفان والدروع ، وفيها جرى المثل ما يوم حليمة بسر[3]. حتى غدا التطيب في المعركة دلالة على شدتها حتى قيل بذلك "على مأقط وبيننا عطر منشم" ، والمأقط معترك الحرب ، وعطر منشم كناية عن شدة الحرب. وأصل هذا القول ، إن قوما تحالفوا على الموت فغمسوا أيديهم في طيب منشم المذكورة تأكيدا ، فضرب طيبها مثلا في شدة الحرب[4]. وضمنوا منشم في المثل القائل: "أشأم من عطر منشم" وقيل إن منشم امرأة عطارة غمسوا أيديهم في عطرها وتحالفوا بالاستماتة في الحرب[5].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٧١.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص٦٤٢ ؛ الثعالبي، ثمار القلوب، ص ٣١١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج١، ص٤٢٨.

(٤) عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٥١٨هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مجدي منصور الشورى، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٣، ص١٠٧.

(٥) أبو القاسم محمود الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، المستقصى في أمثال العرب، ط٢، دار الكتب=

وجاء في قول الشاعر زهير بن أبي سُلمى:

تَـدارَكْتُما عبْسـاً وذُبيـانَ بَعْـدمَا تفانَوْا ودَقُّوا بينَهم عِطرَ مَنْشَم[1]

وقول المرار بن علقمة البكري:

ودقـت بنـو بكـر ودارت رحـاهم على ابن لؤى في الوغى عطر منشم[2]

ويراد دقوا بينهم عطر منشم ، اشتدت الحرب بينهم [3]. وفي سياق الدلالة نفسها يرد منشم في مثلٍ آخر ما نصه "بينهم عطر منشم"[4] ، ويعرض الأصمعي ، الشاهد التاريخي على أن منِشم ، اسم امرأة عطارة كانت بمكة ، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها ، وإذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم ، فكان يقال: أشأم من عطر منشم ، يضرب في الشر العظيم[5]. ومما تقدم في ظاهرة التطيب في الحرب ، تستوقفنا السمة المشتركة في قصص التطيب ، إن المرأة هي من تقوم بالتطيب ، ربما ذلك متأتي من دافعية المرأة (الأم ، الأخت ، البنت) المحفز للاستبسال في المعركة ، حتى غدت منشم رمزا –مع اختلاف الروايات– يحضر في المعارك ، فهو تذكير المقاتل وتحميسه بأن المعركة باتت دفاعا عن القيم العليا(شرف المرأة) ، لأن حالة الانكسار والتراجع في القتال ؛ سيؤول بالنتيجة إلى انتهاك منظومة هذه القيم.

وعَرَفَ العرب إعلان المكافأة في المعارك ؛ لتحفيز المقاتلين على الاستبسال في القتال ، فنسمع عن إعلان مكافأة في يوم حليمة - المار ذكره - من قبل الحارث الأعرج الغساني ، حين نادى: يا فتيان غسان من قتل ملك الحيرة (المنذر بن

=العلمية ، (بيروت، ١٩٨٧م)، ج١ ، ص١٨٤.

(١) يوسف بن سليمان الشنتمري (ت ٤٥٦هـ) ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، المطبعة الحميدية ، (القاهرة ، ١٣٢٣هـ) ، ص٦.

(٢) الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، ج١ ، ص ١٨٤.

(٣) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص٩٢٤.

(٤) الميداني مجمع الأمثال ، ص٩٣.

(٥) المصدر نفسه والصفحة.

ماء السماء) زَوّجتهُ ابنتي هند[1]. وفي يوم الكُلاب الأول(لسَلَمةَ بن الحارث بن عمرو المقصور آكل المرار وأتباعه على أخيه شُرَحبيل وأتباعه) نسمع عن مكافأة أُعلنت في آخر النهار من ذلك اليوم ، بعد أن خَذَلَت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب ، بكر بن وائل وانهزموا ، وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب ، وصبرت تغلب ، ونادى منادي ، شُرَحبيل: من أتاني برأس سَلَمة فله مائة من الإبل ، ونادى منادي سَلَمة: من أتاني برأس شُرَحبيل فله مائة من الإبل[2].

وقد جرت العادة عند بعض القبائل العربية ، إنهم كانوا يصطحبون في معاركهم آلهتهم أو مقدسهم ، أو ما يتيمنون به ؛ من أجل كسب المعركة ، مثلما حدث في يوم الزوَيرين(بين بكر بن وائل وتميم) ، حين أقبلت قبيلة تميم ببعيرين مجللين مقيدين ، وتركوهما بين الصَّفين معقولين ، وسموهما زُوَيرين (يعني الهين) ' فأخبرت قبائل بكر شيخها الأصم(عمرو بن قيس) بقولهم ؛ فقال: وأنا زُوركم(إلآهكم) ، وبرك بين الصّفين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزمت قبيلة تميم ، وارجز الشاعر الأغلب العجلي قائلاً:

جَاءُوا بِزُوَرَيهِمْ وجِئْنَا بالأَصمْ   شيخٍ لنا كالليث من باقي إرَمْ [3]

ويتجلى معتقد اصطحاب الآلهة في المعارك في أشارة (ابن الكلبي) إلى أن الصنم يغوث قد حملته بني أنعم من مراد لّما اتجهت لقتال غطيف ، ونقل قول احد الشعراء:

وَسَارَ بِنَا يَغُوثَ إلى مُرَاد   فَنَاجَزْنَاهُم قَبْلَ الصَّباح [4]

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٨٠.

(٤) هشام أبو المنذر محمد بن السائب الكلبي، الأصنام، تحقيق احمد زكي، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب لسنة ١٩٢٤م، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة)، ص١٠.

ويُفهم من هذه الإشارة إلى أنهم حملوه لاعتقادهم أنه سيمدهم بالنصر ، وهم في صراعهم من أجل الاحتفاظ به ، مما يزيدهم إصراراً على كسب المعركة لصالحهم. ويذهب(د. محمد عبد المعيد خان) بعيدا برأيه ، في ذكره لأسطورة متأخرة ، بأن العربي رأى الإله يغوث يُدافع عن قبيلته في ساحة القتال ، استنادا إلى اعتقاده أن الطوطم يُدافع عن قبيلته في ساحة القتال[1]. ولكن راجح القول ، لم نجد مثل هذا الاعتقاد في المصادر التي تحدثت عن الصنم يغوث ، كما لم ترد إشارة أو نظائر يفهم منها أن الأصنام كانت تدافع عن قبائلها ، وإنما حَمْلُها في المعارك كان في ضمن مسوغات عبادتها — نستنصرها فتنصرنا- ، كما إن الأصنام لم تعرف على أنها طوطماً تنحدر منه القبائل ، وإنما آلهة تعبد. ويرى(د.جواد علي) أن هناك قبة أو خيمة يوضع فيها صنم القبيلة ، وتحمل مع المحاربين ، وتضرب في ساحة القتال ، ليطوف حولها المحاربون ، يستمدون منها العون والنصر[2]. ويسوق الباحث نفسه مثالاً ، لم نجده في ضمن كتب الأمثال العربية ما نصه: (لا تَفِرّ حتى تَفِرّ القبة) أو (لا نفرّ حتى تَفِرّ القبة)[3]. كما لم نعثر على شاهد تاريخي من حروب العرب قبل الإسلام ما يشير إلى هذه القبة والخيمة ، أو الطقوس التي يمارسها المحاربون حولها ، لتمنحهم النصر. وفي سياق الاعتقاد ذاته ، يضيف الباحث نفسه معلومة ، استنادا إلى دراسة استشراقية ألمانية ، جاء فيها ، أن للات بيت وقبة يحملها المقاتلون معهم حين يخرجون إلى قتال ، فيُنصَبان في ساحة المعركة ؛ لِيَشَّجع المحاربون فيستميتوا في القتال ، وينادي المنادون بنداء تلك الأصنام مثل: يا للات ، وقد كانت لبقية الأصنام بيوت وقباب أيضًا [4]. ويمكن القول أننا لم نعثر على الشق الأول من المعلومة في مصادرنا المتقدمة ، ولكن الشق الثاني منها وجدنا ما يتماثل معه ، حينما كان المشركون ينادون في معركة أُحد ، أعلُ هُبَلُ ، فربما كان هذا امتداد لاعتقاداتهم السائدة عن نصرة الآلهة لهم في

---

(١) الأساطير والخرافات عند العرب قبل الإسلام، (بيروت، ١٩٨١م)، ص٩١.

(٢) المفصل، ج٦،ص ٦٤.

(٣) المرجع نفسه والصفحة، ومصدر جواد علي، مجلة المشرق، السنة ١٩٣٨م، ج١ ، ص١١.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٣٥ ، وينظر: هامش ٢ ، من المرجع نفسه والصفحة.

معاركهم قبل الإسلام.

ويمكن لنا تصور الاعتقاد السائد بأن النصر من الآلهة ، له جذوره التاريخية في المنطقة ، أقتبسه العرب من الآشوريين في إبان حروبهم معهم شمال جزيرة العرب. إذ نقرأ ذلك في نصوص آشورية[1] ، احدهما يرجع إلى الملك(آشور بانيبال ٦٦٨-٦٢٧ق.م) في حربه مع أمولادي ملك قيدار (مملكة في شمال جزيرة العرب ، امتدت إلى دلتا مصر) جاء فيه: ((ثم زحف أمولادي ملك قيدار ، زحف لمهاجمة ملوك بلاد أمورو الذين أخضعهم لي آشور وعشتار والآلهة العظيمة ، لقد أوقعت الهزيمة به بمساعدة (الآلهة...) وأسرته حيا))[2].

ومن عادات العرب في الحروب اصطحاب النساء والذراري في معاركهم ، ففي يوم فَيف الريح (بين عامر بن صعصعة والحارث بن كعب) ، وكان خبره أن بني عامر تطلب بني الحارث بن كعب بأوتار كثيرة ، فجمع لهم الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثي وهو ذو الغصة واستعان بقبائل جُعفي وزُبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصُداء ونهد وخَثعم وشهران وناهس ، ثم أقبلوا يريدون بني عامر وهم منتجعون مكانا يقال له فيف الريح ومع مذحج النساء والذراري حتى لا يفروا ، فاجتمعت بنو عامر ، فقال لهم عامر بن الطفيل: أغيروا بنا على القوم فإني أرجو أن نأخذ غنائمهم ونسبي نساءهم ولا تدعوهم يدخلون عليكم ؛ فأجابوه إلى ذلك وساروا إليهم[3]. ومن الواضح البيّن ، كان اصطحاب النساء بدافعية تذكير المقاتل بالثبات في ارض المعركة ، لأن الفرار يعني إلحاق العار بالقبيلة ؛ بأخذ النساء سبايا ، فضلا عن الواجبات الأخرى التي تؤديها المرأة في المعركة من أمور تتعلق بتضميد الجرحى ،

---

(١) ينظر: فيصل الوائلي، تاريخ العرب القديم في النصوص الآشورية ٨٥٣- ٦٣٠ق. م، (الكويت، ١٩٨٧م) ص ٩١، ص ٩٢، نص رقم ٨٢١، ص ٩٨، نص رقم ١٠٨٣.

(٢) ينظر: فاطمة هاشم تركي بيك، علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب في عصر الدولة الآشورية الحديثة ٨٥٤- ٧١٢ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود ١٩٩٢م، ص ١٠٢، نص رقم ٨٢٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٠١.

وأعداد الطعام ، ولكن يبقى الباعث الأول لحضورها ، هو تحفيز المقاتل على القتال وعدم الفرار. وقد استمرت عادة اصطحاب النساء حتى في المعارك الأولى لصدر الإسلام ، إذ تذكر كتب السير اصطحاب المشركين للنساء في معركة أحد ، وإسهام هند زوجة أبو سُفْيَان في رفع حماس المشركين من أجل مواصلة القتال[1]. وتسهم المرأة في استعدادات المقاتلين والتهيئة للمعركة ، ففي يوم اللقيط المار ذكره كانت النساء قد خرزن الشكاء ؛ وهي أسقية الماء للغزو[2]. أو ما يرد من أن النساء يدلحن بالقرب على ظهورهن في الغزو ، المراد أنهن كن يستقين الماء ، ويسقين الرجال[3]. أو بتعبير آخر ، يزفرن القرب: يسقين الناس في الغزو ؛ أي يحملنها مملوءة ماء[4]. ويتصاعد إسهام النسوة في حال انكسار قبيلتهن ، "فإذا رأين دائرة الحرب أوشكت أن تدور على قبيلتهن ، حسرن البراقع وكشفن الشعور وبرزن إلى المعمعة يستثرن حمية الرجال ، ويدفعنهم إلى الدفاع عنهن وحمايتهن من السبي"[5]. ونلتمس هذه الصورة في قول فارس مذحج عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

وبَدَتْ لَمِيسُ كأنَّها ... بدرُ السَّماءِ إذا تَبَدَّى

وبَدَتْ محاسِنُها التي ... تَخْفَى وكانَ الأمرُ جِدّا

نازلْتُ كبشَهُمُ ولَمْ ... أرَ مِنْ نِزَالِ الكبشِ بُدّا[6]

وقد اتخذ بعض العرب سمة تُميزهُم في حروبهم ، لتكن مزية يتفرد بها مقاتلي القبيلة عن القبيلة التي تقاتلهم ، وهذا ما نلحظه في يوم قضة (اليوم السادس في حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب ابني تغلب) وهو يوم تحلاق اللمم ، وإنما قيل

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٨، ص١٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٩٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤٣٥

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٢٥

(٥) نوري حمودي القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي ٦٢.

(٦) شعر عمرو بن معد كرب الزُبيدي، جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي، ط٢، مطبوعات مجمع اللغة العربية، (دمشق، ١٩٨٥م)، ص ٨١.

له تحلاق اللمم ؛ لأن بكرا حلقوا رؤوسهم ليعرف بعضهم بعضا[1]. وجريا على عادة التميز في الحروب ، ولكن هذه المرّة يكون التميز سُنة لقبائل(ربيعة بن نزار) اتخذتها لتنفرد بها عن القبائل الأخرى ؛ وذلك إنهم يصفرون لحاهم ويقصون شواربهم ، فلا يفعل ذلك من ربيعة إلا من يخالفهم ويريد حربهم[2].

وكانت للقبائل شعارات في الحرب ؛ ما تعرف في الحروب الحديثة بكلمة السر ، يتعارف فيها المقاتلين ، حين يحتمي وطيس المعارك ويرتفع الغبار ، ويتشابه زي المقاتلين ، فضلا عما لها من أثر في رفع معنويات المقاتلين ونفرتهم للقتال. فيقال: استشعر القوم إذا تداعوا بالشعار في الحرب[3]. ففي يوم الكلاب الأول وهو لبني تغلب على غسان ولَخَم وبطون من اليمن ، نادى ابن ذي الجيلان: يا آل صدف(بطن من كندة) لاستنفار مقاتليه[4]. وقد كان شعار بني عامر في الحرب(يا جعد الوبر)[5].

وللقبائل في حروبها رايات ، والراية هي اللواء وأصله من العلامة ، وتسمى علما لأن به يعرف موضع مقدم الجيش[6]. ويطلق عليها أُمُّ الرُمْحِ وما لُفَّ عَلَيه[7]. وهناك من يرى أن الراية ، هي فوق اللواء ، علم الجيش وتكنى أم الحرب[8]. وفي قول أبو بكر ابن العربي: اللواء غير الراية ، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه ، والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح ، وقيل اللواء ، العلم الضخم ، والعلم

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ٤١٤.

(٤) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص ٢٤٥- ص ٢٤٦.

(٥) شرح ديوان لبيد، ص٧.

(٦) أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، مشارق الأنوار، (المكتبة العتيقة، ودار التراث، د.ت)، ص٣٠٤

(٧) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة، لمحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج١٠، ص٥٧٦.

(٨) محمد شمس الحق العظيم آبادي(ت ١٣٢٩هـ)، عون المعبود في شرح سنن أبي داوّد، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٥م)، ج٧، ص ١٨٢.

علامة لمحل الأمير يدور معه حيث دار ، والراية يتولاها صاحب الحرب[1]. والراجح أن التفريق بين الراية واللواء جاء في عصر الرسول الكريم(ﷺ) في حديث ابن عباس: كانت رايته(ﷺ) سوداء ، ولواؤه أبيض[2].

وترفع كل قبيلة رايتَها في معاركِها التي تخوضها ، فكانت راية قريش بيد حرب بن أمية ، وراية قيس بيد أبو البراء(عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب)[3]. ويتجمع عندها مقاتلي القبيلة ، يذودون عن حِمى قبيلتهم ، وتقترن الراية بديمومة القتال ما دامت منتصبة ، وكانت تُسلم إلى شجعانها ، فإذا قُتل تُرفع من قبل آخر ، وهكذا... ؛ لأن في انتكاسها أو سقوطها يعني انهزام القبيلة. ولثبات الراية وعدم سقوطها شبهت برنق الطائر ، أي رفرف فلم يسقط ولم يبرح ، ورنق اللواء كما يقال رنق الطائر ، ويتبين ذلك في قول سيبويه:

يضـــــربهم إذا اللـــــواء رنقـــــا ضـــربا يطـــيح اذرعـــاً واســـوقا[4]

وتثبت لنا وقعة يوم الكُلاب الثاني(لتميم على مذحج واحلافها من اليمن) أهمية الراية في ثبات المقاتلين من علمه في المعركة ؛ فكانت راية اليمن بيد وعلة الجرهمي ، ونتيجة لشدة الصدام الدائر في هذه المعركة ، طُرحت منه الراية وانهزم ، جرّ هذا الحدث إلى انكسار وانهزام أهل اليمن[5].

ويتشرف في حمل الراية أو اللواء فارس يأتي بعد قائد المقاتلين في المرتبة[6]. ويقال أن العرب تُوضع اللواء موضع الشهرة[7]. وفي مجموعة القبائل التي تنتسب إلى

---

(١) ابن حجر العسقلاني،فتح الباري، ج٦ ، ص١٢٦

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) أبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)المنمق، ط١ ، حيدر آباد الدكن، (الهند ، ١٩٦٤م)، ص ٢٠٦.

(٤) ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦، ص٢٧٢.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني،الأغاني، ج١٦ ، ص ٢٥٨.

(٦) المصدر نفسه، ج٧، ص ٥٦٥، ج ٩، ص ٢٠.

(٧) المصدر نفسه، ج١٦ ، ص ٢٥٨.

جد أعلى ، يعطى اللواء إلى الابن الأكبر ، كما هو في لواء ربيعة بن نزار للأكبر فالأكبر من ولده ، فكان اللواء في عنزة بن أسد بن ربيعة ، ثم تحول اللواء في عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ثم تحول اللواء في النمر بن قاسط بن هنب ، ثم تحول اللواء إلى بكر بن وائل ، ثم تحول اللواء إلى تغلب فوليه وائل بن ربيعة[١]. ومن الذين حملوا الراية من ربيعة بسطام بن قيس الذي لقب (أبو اللواء ومنتهى الأحياء)[٢]. وتتجلى أهمية اللواء حين جعله قصي بن كلاب من الوظائف الحربية التي أوجدها في مكة لتنظيم شؤونها ، ويعقد لواء قريش في دار الندوة ، وتولى أمره قصي ، ومن ثم ابنه عبد الدار[٣].

وجاء وصف الاستبسال حول اللواء(الراية) بما ذكره أبو عبيدة في روايته عن يوم فيف الريح ، إذ تجمعت قبائل مذحج وأكثرها بنو الحارث بن كعب وقبائل من مراد وجعفى وزبيد وخثعم وعليهم أنس بن مدركة وعلي بن الحارث الحصين ، فأغاروا على بني عامر بن صعصعة بفيف الريح ، وعلى بني عامر(عامر بن مالك ملاعب الأسنة) ، قال: فاقتتل القوم فكثروهم ، وأرفضت قبائل من بني عامر ، وصبرت بنو نمير ، فما شبهوا إلا الكلاب المتعاظلة حول اللواء[٤].

ومن العادات التي دأب العرب على ممارستها ، هي عادة جز ناصية الأسير ، حين يراد المَنّ عليه بإطلاقه من الأسر ، والناصية هي الشعر في مقدمة الرأس فوق الجبهة. وتحتمل هذه العادة أكثر من تفسير ، منها إذلال الآخر ، بعد الانتصار عليه ، ووسمه بسمة تلحق به العار وبقبيلته ، لأنه طالما أفتخر بها شعراء القبائل المنتصرة ، على سبيل المثال ، ما نراه في قول بشر بن أبي خازم[٥]:

---

(١) الميداني، جمهرة الأمثال، ج٢، ص٤١٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٤١٠.

(٣) الازرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١١٠.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٠٢.

(٥) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، قدم له وشرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٩٤م) ص ١١٦.

في المقابل إشعاراً للطرف الآخر بالسيادة ، وإذ عفا ، فإنه عفوا المقتدر. وهناك من يرى في جز الناصية إذلالا وخنوعا ، لأنها رمز القوة والمنعة ، ولتكون قوته في أيديهم ، وربط هذه العادة بالجذور الأسطورية لأهمية الشعر والناصية في قصة شمشون ودليلة ، عندما كشف لها سر قوته التي تكمن في شعره ، فدعت دليلة رجلا وحلقت سبع خصال من رأسه ، وابتدأت بإذلاله وفارقته قوته[١]. ومن الشواهد التاريخية عن جز ناصية الأسير ما نسمعه عن يوم اللقيط ، إذ أتى(اللهازم – تجمع من قيس وتيم اللات من بكر بن وائل ، ومعهم عجل بن لجيم وعنزة بن أسد) فأوقعوا ببني دارم(من تميم) فاقتتلوا قتالا شديدا ، وعظمت الحرب بينهم ، فأسرت ربيعة جماعة من رؤساء تميم منهم ضرار بن معبد بن زرارة ؛ فجزوا ناصيته ، وأطلقوا سراحه[٢]. ويفهم من ذلك أن جز النواصي كان لسادات القوم وفرسانهم ، ونضيف شاهد أخر يعزز ما ذهبنا إليه ، ففي يوم فلج وهو يوم لبكر بن وائل على تميم ، وكان النصر لبكر بن وائل ، وأسر في المعركة(خالد بن مالك) من سادات تميم ، من قبل (عرفجة بن بجير العجلي) ، فمّن عليه فأطلق سراحه بعد أن جز ناصيته[٣]. وهذا ما يؤكده قول للخنساء:

جَزَزْنَـــا نواصـــي فُرْســـانهم وكـــانوا يَظُنُّـــونَ أن لا تُجَـــزَّا[٤]

وأحيانا تتسع دائرة عادة جز الناصية لتشمل الأسرى كافة ، وهذا ما نفهمه من النزاع الدائر بين آل بدر الفزاريين حينما جاوروا بني لأم من طيىء ، وبعد أن انتصر بنو لأم في المعركة ، عمدوا إلى جز نواصي أسرى آل بدر[٥]. وربما ثمة استثناء لجز

---

(١) ابتسام نايف صالح أبو الرب، صورة الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي، ص ٦٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٥١٢.

(٤) ديوان الخنساء، شرحه واعتنى به حمدو حماس، دار المعرفة، (بيروت، ٢٠٠٤م)، ص ٧٠.

(٥) محمود شكري الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح وضبط محمد=

النواصي. فكان الملوك لا تجز نواصيهم ، وهذا ما يتضح في يوم طِخْفة(لبني يربوع – بطن من تميم – على المنذر بن ماء السماء) ، وفي هذه الواقعة أُسر قابوس قائد جيش المناذرة من قبل طارق بن ديْسق ، وأراد أن يجزّ ناصيته ، فقال: إن الملوك لا تُجزّ نواصيها[1].

وكان الأسر فيه إذلال أيّما إذلال ، حين يُكَبلون الأسرى بالأغلال ، ويقادون مكرهين ، فضلا عن نظرة الازدراء التي يُقابل بها ، وامتهان الكرامة[2]. ولما كان الأسر يجلب العار للأسير ، لأنه فضّل الوقوع في الأسر على أن يُقاتل ويُقتل دفاعا عن قبيلته ونِمارُها ؛ لأن الموت في ارض المعركة مفخرة للأهل والقبيلة ، وكان شرفاً يسعى إليه المقاتل[3]. بينما الموت في الأسر يُعدُّ أسوأ ميتة[4]. ونتيجة لما تقدم ؛ قد يفضل عدد مِنْ المقاتلين حين تتهيأ لهم الفرصة ، أن يَقتَلوا أنفسهُم ، ولا يقعوا في الأسر ؛ وهذه ما نلمسه في يوم ساحوق – لقبيلة ذبيان على قبيلة عامر بن صعصعة – ، إذ قام عدد من المنهزمين بإعدام أنفسهم خنقا ؛ خوفا من الوقوعِ في الأسر[5]. وقد جسد هذا المشهد الشاعر عروة بن الورد في قوله:

عجبت لهم، إذ يخنقون نفوسَهُم ومقتلهم تحت الوغى كان أعذرا[6]

وتبقى عادات الثأر التي تخلفها الحروب غاية في الخطورة ، لأنها المحرّض لإذكاء

=بهجت الأثري، دار الكتب العلمية ، (بيروت، ٢٠٠٩م)، ج١ ، ص١٦.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١ ، ص ٤٢١

(٢) عن تقيد الأسرى، ينظر: ديوان عدي بن زيد العبادي، ص ٣٨- ص٤٠ ؛ وعن الاستهزاء بالأسرى ينظر: قصة الاستهزاء بسيد قبيلة الحارث بن كعب، عبد يغوث بن حرث الحارثي في المفضليات، ص ١٥٥- ص ١٥٨.

(٣) ينظر: أبو عثمان عمرو الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبين، تحقيق فوزي عطوى، دار صعب، (بيروت، د. ت)، ج٤ ، ص ٦٨.

(٤) ينظر: ديوان امرئ القيس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة، د. ت)، ص٢٠٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١ ، ص ٦٤٤.

(٦) ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م)، ص٧٤.

نار الفتن ، إذ تفرض على الموتور سواء الفرد أم القبيلة أن لا يهدأ لهم قرارهم ، حتى يأخذوا بثأرهم ، وإلا يصبحوا مثاراً للسخرية والاستهجان من الآخرين أفرادا أم قبائل ، كما إنها تخلف ثارات وصراعات أخرى ، لا تنتهي إلا بتدخل أصحاب الرأي والحكمة ؛ خشية فناء الطرفين المتحاربين. والذي يعنينا في الحديث هنا ، الثأر المسبب لصراعات قبلية ، وليس الثأر على مستوى القتل الفردي. ومن هذه العادات التي تلازم الموتور حتى يأخذ بثأره. ما نقرئه عن مقتل كُليب بن وائل(سيد ربيعة) من قبل جساس ، وكان هذا الحادث باعثا لحرب البسوس ، فبعد أن سمع أخيه (المهلهل)خبر مقتله ، قام بجز شعر رأسه ، وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغَزَل وحرم القمار والشراب[1]. وكذلك ما نستشفه في قصة الشاعر امرئ القيس حين قَتلَ والده (حجر الكندي) بنو أسد ، وسأل عن أمر أبيه فأُخُبر بما كان ، فقال: ضيعني صغيراً ، وحملني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سُكر غداً. اليوم خمرٌ وغداً أمر ، ثم شرب سبعاً فلما صحا آلى ألا يأكل لحماً ، ولا يشرب خمراً ، ولا يدهن بدهن ، ولا يصيب امرأة ، ولا يغسل رأسه من جنابة ، حتى يدرك بثأره[2] ، وفي رواية قال: الخمر عليّ والنساء حرام ، حتى أقتل من بني أسد مائة وأجز نواصي(شعر مقدمة الرأس) مائة[3]. وقاده ذلك ؛ لأن يهجم مع القبائل التابعة له على بني أسد ، ليتحلل من نذره ، بالثأر لأبيه.

وكان من عادة العرب أن لا تبكي قتلاها ، فضلاً عن تحريم الخمر وغسل الرأس من الجماع إلا بعد الأخذ بالثأر[4] ، وجرياً على هذه العادات لم يرثْ قتلى المشركين في بدر ، يتضح في قول أبي سفيان: "يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم ولا تنح عليهم نائحة ، ولا يبكيهم شاعر ، واظهروا الجَلَد والعزاء فإنكم إذا نحتم عليهم وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غَيظَكم ، فأكلَكم ذلك من عداوة محمد وأصحابه ،

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤١٦.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٩، ص ١٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص ١٠٥.

(٤) التبريزي، ديوان الحماسة شرح التبريزي، ج١، ص٣٤٦.

مع انه إن بلغ محمّداً وأصحابه شَمتوا بكم ، فيكون أعظم المصيبتين شَماتتهم ، ولعلّكم تُدركون ثأركم" فمكثت قريش شهراً لا يبكيهم شاعرٌ ولا تنوح عليهم نائحة[1]. لكن كعب ابن الأشرف خرج عن المألوف ورثى قتلى قريش بأبيات ، وجعل من الصبيان والجواري ينشدون هذه الأبيات في مكة ، فناحت قريش على قتلاها شهراً ، ولم يبق دارٌ بمكة إلا فيها نوح ، وجز النساء شعر الرؤوس ، وكان يُؤتى براحلة الرجل منهم أو بفرسه فتوقف بين أظهرهم فينوحون حولها[2].

وفي الرجوع إلى حادثة مقتل كليب بن وائل ، نلمس فيها ارتفاع سقف مطالب قبيلته حتى ارتقت إلى المستحيل من أجل الأخذ بالثأر. وذلك حين أرسل المهلهل وهو أخو كليب رجالا إلى بني شيبان ، فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو في نادي قومه ، فقالوا له: إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة وقطعتم الرحم و انتهكتم الحرمة وإنا نعرض عليك خلالا أربعا ، لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع: إما أن تحيي لنا كليبا ، أو تدفع إلينا قاتله جساسا فنقتله به ، أو هماما فإنه كفء له ، أو تمكننا من نفسك فإن فيك وفاء لدمه فقال لهم أما إحيائي كليبا فلست قادرا عليه ، وأما دفعي جساسا إليكم فإنه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا أدري أي بلاد قصد ، وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره ، وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل فما أتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خصلتان: أما إحداهما ، فهؤلاء أبنائي الباقون فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم ، وأما الأخرى فإني أدفع أليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر. فغضب القوم ، وقالوا: قد أسأت ببذل هؤلاء ، وتسومنا اللبن من دم كليب؟ ونشبت الحرب بينهم[3].

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١ ، ص١٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١ ، ص ٤١٦.

ومن اللافت بطلبهم في الثأر، قتلهم من هو بواء للقتيل. والبواء السواء، يقال فلان بواء لفلان معناه انه إذا قتل به رضي قومه[1]. وعُدّ(تراتبية الدم) عرفا ثأرياً تستند إليه القبائل وتحتكم، وتنطلق التراتبية الثأرية من أنّ تَغايُرَ دم الملك ودم السوقة، ينبغي له أن يفضي إلى تكافؤ عام في نمطية إدراك الثأر، فيكون السيد بالسيد، والعبد بالعبد، وسواء القبيلة بسواء القبيلة[2]. ودلالة صورة هذا المعتقد نلتمسها في تضاعيف أخبار حرب البسوس، فحين قتل المهلل، بجير بن الحارث بن عباد، ويقال إنه كان ابن أخيه، فلما بلغ الحارث قتله، قال: نعم القتيل، قتيل أصلح بين ابني وائل، فظن أن المهلهل قد أدرك به ثأر كليب وجعله كفئا له، فقيل له: إنما قتلهُ بشسع نعل -أحد سيور النعل يدخل بين الإصبعين -كليب، وذلك أن المهلهل لما قتل بجيرا، قال: بؤ- أي يساوي- بشسع نعل كليب فغضب الحرث بن عباد[3]. وقالت امرأةٌ من طيٍّء:

فَيَقْتُـلُ جَبْـراً بـامرِئٍ لم يكـنْ لـهُ　　　بَـواءً ولكـنْ لا تَكايُـلَ بالـدَّمِ

أي لا يجوزُ أن تَقْتُـلَ إلاّ ثَـأْرَكَ، ولا تَعْتَـبِرْ فيه المساواةَ في الفَضْـلِ إذا لم يكن غَيْرُه[4]. ومن الشواهد التي تدل على المطالبة بالبواء بالثأر، وعدم التكايل بالدم، ما تبين في اجتماع بنو أسد بعد قتلهم حجر بن عمرو والد امرئ القيس، إلى امرئ القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه، أو يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد، أو يمهلهم حولا، فقال: أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مثلي، وأما القود فلو قيد إلي ألف من بني أسد، ما رضيتهم ولا رأيتهم كفؤا لحجر[5].

وإن حادثة قتل بُجير بن الحارث المار ذكرها، تكشف عن عادة أخرى ارتبطت بالثأر، تمثلت في جز ناصية فرس المقتول وهلب ذنبها، إذ بعد مقتل بجير بن

---

(١) الميداني، جمهرة الأمثال، ج١، ص٢٢٦.

(٢) محمد توفيق أبو علي، صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية، ص ٢٩٧.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ١٩١.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج٣٠، ص٢٧٠.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص٨٧.

الحارث، غضب الحارث، ودعا بفرس بجير، وكانت تسمى النعامة، فجز ناصيتها وهلب ذنبها[1]. ونرى في هذه العادة، إشراك الحيوان في منظومة اعتقادهم، ربما أُريد للحيوان أن يُعَلم، لكي لا يسمح لأحد ركوبه، إلى أن يُؤخذ بثأر فارسه. أو ترتبط بالحزن عليه، كما تفعل النسوة، حين تقص لمتها حزنا على موت قريبا لها. ومن يدري لعل هناك رمزية يَعنون بها من ذلك.

وفي سياق الثأر، بل منتهاه، ولدت عادات منها النذر أو الحلف حتى يتم لهم الأخذ بالثأر. فقد جاء في المرويات أن (عمرو بن هند ٥٥٤- ٥٦٩ م) نذر (أوجب على نفسه) أن يحرق من بني دارم(من قبيلة تميم) مائة رجل؛ لأنهم قتلوا أخاً له، فنُعت بـ(المحرق)، وعُد أول من عاقب بالنار[2]، حين برّ بقسمه في يوم أوارة من ناحية البحرين، إذ أمر لبني دارم، بأخدود فخد لهم، ثم أضرم ناراً، فلما احتدمت وتلظت قَذَفهم فيها فاحترقوا[3]. ويصل الوفاء بالنذر طلبا للثأر إلى أن(مسور بن زيادة الحارثي)يدعُ قومه لسلبه الرياسة، فلا يدعى للحروب، إن لم يجتهد في الطلب بثأره، فإما أن يقتل، وإما أن يظفر، هذا ما نستشفه من قوله:

فلا يَدْعُني قومي ليومِ كريهةٍ لئن لم أُعجِّل ضربةً او أُعَجَّلِ [4]

من كل ما تقدم تتأكد المسحة الدينية لنذور الأخذ بالثأر، إذ تجعل الموتور في حالة (إحرام) لا يحله منها إلا إنفاذه مهمته المقدسة. بما يُشدد على التلازم بين الثأر وحالة الإحرام، فيبدو فيها التعبير الأسمى عن التأله الذي يرجو طالب الثأر أن

(١) عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب، تحقيق محمد نبيل طريفي، أميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م)، ج١، ص ٤٥٠.

(٢) حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، مكتبة دار الحياة، (بيروت د.ت)، ص ٦٧؛ سلمة بن مسلم العوتبي (لا تعرف سنة وفاته)، الأنساب، (سلطنة عمان، ١٩٨٤م)، ج١، ص ١٧٥.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،ج٢٢، ص ١٩٤.

(٤) التبريزي، شرح ديوان الحماسة ج١، ص ٨٤.

يتقرب بوساطته من الآلهة[1].

وارتبط بالثأر اعتقادات تبدو نوعاً من الأساطير ، وهي اعتقادهم بالهامة (يقولون: إذا قتل قتيل خرجت من رأسه هامة)[2] ، فإذا لم يؤخذ بثأره نادت الهامة على قبره اسقوني فإني صدية[3] ، وليس أدل على ذلك من وصية احد الشعراء الآتية:

ولا تزقون لي هامة فوق مرقب فإن زقاء الهام للمرء عائب

تنادي الا اسقوني وكل صدى به وتلك التي تبيض منها النوائب [4]

ومن هذين البيتين يستشف ابن أبي الحديد ، إن الشاعر يوصي ابنه بان لا يترك ثأري إن قُتلت ، فإنك إن تركته صاحت هامتي: اسقوني فإن كل صدى ـ هو العطش ـ بأبيك ، وهو أمر صعب ، وهو مقبور إذا لم يثأر به ، وان صعوبة الأمر عليه يعني أن ذلك عار عليك[5].

وقد أدرك الشهرستاني أن اعتقاد العرب بالهامة متأت من الاعتقاد بتناسخ الأرواح ، فإذا مات الإنسان أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة فيرجع إلى رأس القبر كل مائة سنة[6]. ويطالعنا المسعودي عن اعتقادهم بالهامة ، فيزعمون أن النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان ، فإذا مات أو قتل مُطيفاً به متصوراً له في صورة طائر يصدح على قبره مستوحشاً له[7] ، ويزعمون أن هذا الطائر

---

(١) ينظر: إحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية، (بيروت، ١٩٦٤م)، ص ١٢٣.

(٢) ابو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، ج١ ، ص٦٥.

(٣) عز الدين عبد الحميد ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل (بيروت، ١٩٧٨م)، ج١٩ ، ص٣٩١.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٩٢.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، (بيروت، د.ت)، ج٢ ، ص٢٣٧.

(٧) ابو الحسن بن الحسين علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بلا ، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٦٦م)، ج٢ ، ص٢٨٧

يكون صغيراً ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم تتوحش وتصدح وتوجد حيث مصارع القتلى وأجداث الموتى ، ويزعمون أن الهامة تبقى على مقربة من ولد الميت وعقبه وتجالسهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به[١].

وزعمت اليهود أنها تدور حول قبر الميت سبعة أيام ثم تذهب[٢]. ويعلل احد الباحثين زعم اليهود حول الهامة ، إنها من فتنهم للسيطرة على عرب الجاهلية لأن معنى سبعة أيام مدة كافية ليؤلب اليهود مواقع الثأر بين العرب ، أي على العربي أن يثأر ، وبذلك أشعلوا الحرب بين الأوس والخزرج باستغلال تلك المعتقدات في الوقيعة بينهم[٣].

يتبين مما تقدم في اعتقاد العرب بهامة القبر إنها جاء لتبرير الأخذ بالثأر والقتل ، حتى بلغ من حرصهم على الثأر إنهم رفعوه إلى درجة الأوهام والأساطير أولا ، ثم تأثر الجاهليون بالخيالات والأوهام في هذا المجال ثانية. وقد تكون الفكرة تبريراً ودافعاً لهم في إدراك ثأرهم في أقرب وقت بشكل يحقق الراحة والاطمئنان لهامة القتيل فيسكنها عند طلب الثأر[٤].

وهناك من القبائل التي تتصف بالضعف ، فلم تستطع أن تأخذ بثأر قتلاها ، وكان من العار أخذ الدية على وفق مبدأ جاهلي ، يأبون استبدال الدم باللبن ؛ لذا تحايلت بما يشبه الغرائبيات ، سموها التعقية: وهي سهم الاعتذار ، وأصل هذا ؛ أن يقتل الرجل من القبيلة فيطالب القاتل بدمه ، فيجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية مكمّلة ، ويسألونهم العفو وقبول الدية ، فإن كان أولياؤه ذوي قوّة أبوا

---

(١) ابو الحسن بن الحسين علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق شارل بلا ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت ، ١٩٦٦م) ، ج٢ ، ص٢٨٧.

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص٢٠٦ ؛ العظيم آبادي ، عون المعبود ، ج١ ، ص٢٩٤-٢٩٥.

(٣)محمد إبراهيم الفيومي ، في الفكر الديني الجاهلي ، ط٣ ، دار المعارف ، (القاهرة ، ١٩٨٢م) ، ص٢٨٥.

(٤) بشرى محمد الخطيب ، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، طبعة الإدارة المحلية ، (بغداد ، ١٩٧٧م) ، ص٤١.

ذلك ، وإلاّ قالوا لهم إن بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي ، فيقول الآخرون ما علامتكم؟ فيقولون: أن نأخذ سهماً فنرمي به نحو السماء ، فإن رجع إلينا مضرّجاً دماً فقد نهينا عن أخذ الدية ، وإن رجع كما صعد فقد أمرنا بأخذها. فما رجع السهم قطّ إلاّ نقيّاً ، ولكنهم لهم في هذا المقال عذر عند الجهّال. ولذلك قال شاعر قبيل فعل هذا ولم يشاهده ولا رضيه:

عقّوا بسهم ثم قالوا سالموا... ياليتني في القوم إذ مسحوا اللحى

ثم مسحوا لحاهم ثم قالوا سالموا[1]. وبذلك ترسخت في ذاكرتنا ، أن مسح اللحى علامة الصلح والرضا.

ومما لاشك فيه أن الحرب تُخلف القتل والدمار ، وحين يعتقد الطرفان المتحاربان ، أن القتال أخذ منهم مأخذا كبيرا من رجالهم ، وغدت الحرب سجالا ، وأوارها مستمر ، ولم تحسم كفة القتال ، فتارة لهذا الطرف ، وأخرى للطرف الأخر ، فهنا تأتي دعوات الصلح ، لوقف عملية أفناء الطرفين. فمسوغ قبول الدية يفضي إلى قبول الصلح ، ولكن بطريقة تكون مقبولة من طرفي القتال ، بحيث لم يكن فيها امتهان. هذا ما تضمنته الرواية التي وصلتنا عن حرب الفجار الثاني ، فقد شهد يومها الرابع (يوم عكاظ) ، وكان القتال فيه على أشده ، وأوشك أن تكون الغلبة فيه لقريش على قيس ، فتأتي دعوة السلام من قريش مِن أحد رجالها(عتبة ابن ربيعة) ، مخاطبا قيس لوقف القتال ، ولكن قيس كانت موتورة ، لأن قتلاها أكثر من قريش ، فدعاهم إلى خطة فيها الصلاح وأنصاف قيس ، وذلك أن يعدّو القتلى ، فأتضح أن قتلى قيس أكثر بـ(عشرين رجلا) ، فطلبوا قيس دفع ديتهم ، فرهن يومئذ شباب من قريش ، حتى تؤدي ما عليها من دية إلى قيس ، وبذلك وضعت الحرب أوزارها[2].

---

(١) أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري(ت ٤٨٧هـ)، التنبيه، تحقيق الأب انطون صالحاني اليسوعي، دار الكتب المصرية، (القاهرة، ٢٠٠٠م)، ج١، ص ٢٤، البغدادي، خزانة الأدب، ج٤، ص ١٤٠.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص٢٠٨ – ص ٢١٠.

وما نستشفه من هذه الرواية أخذ الرهان حتى الوفاء بالذمة ، وغدت هذه عادة تتكرر في معارك أخرى ، إذ تؤخذ الرهائن من الطرفين المتقاتلين ، لكي يتعهدوا في الكف عن القتال ، ونلمس ذلك ، بما جاء في أحد الروايات ، إن ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء ، وقيل عمر بن هند ، توسط بين قبيلتي بكر وتغلب ابني وائل ، فأصلح بينهما بعد حرب البسوس بحلف سمي حلف ذي المجاز ، فأخذ عليهم المواثيق والرهائن من كل حي من الحيين مئة غلام من أشرافهم ، ليكف بعضهم عن بعض[1]. وضمن هذا الحلف والعهود ، الحارث بن حلزة اليشكري في قوله:

واذكروا حِلْفَ ذي المَجازِ وَما قُدّ م فيـهِ العُهُـودُ والكُفَـلاءُ

حَـذَرَ الجَـوْرِ والتَّعَدّي، وَلَـنْ يَنْـقُضَ مَـا فـي المَهـرِقِ[2]

وفي سياق عادتهم في احتساب القتلى ، ودفع دية من له زيادة في القتلى من الطرفين ، تقدم المرويات أمثلة أخرى لما تقدم ، ففي حرب سُمير (وكانت للأوس على الخزرج) ، واستمر القتال بينهم حتى حجز الليل بينهم ، وكان الظفر للأوس على الخزرج ، ولما رأت الأوس طول الشر ، وأن الحرب بين الأخوة (لأنهم ابنا حارثة بن عمرو مزيقيا) ، سيفني بعضهم بعضا ، فأرسل الطرفان إلى أحد الحكماء وهو (ثابت بن المنذر بن حرام—أبو الشاعر حسان) ، لوضع حد للاقتتال بينهم ، والذي يعنينا من مجمل حُكمه: أن تَعدّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ، ثم يكون بعض ببعض ، ثم يُعطوا الدية لمن كان له فَضل في القتلى من الفريقين[3].

ونتيجة لما خلفته الحروب من عادات ، اقترنت أسماء عدد من شهور العرب بفعل الحروب ، فشهر مُحَرَّمُ سَمَّته العَرَبُ بهذا الاسْمِ لأنَّهم كانوا لا يستَحِلّون فيه

---

(١) إسماعيل بن القاسم أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، أمالي القالي في الأخبار والإشعار، (مصر، ١٩٠٤م)، ج١، ص١٩٢.

(٢) ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، دار الأمام النووي، دار الهجرة، (دمشق، ١٩٩٤م)، ص ٧٠.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص٢٧

القتال[1]. وفي الدلالة ذاتها يقال سموا المحرم محرم؛ لأنهم كانوا يغيرون، فاتفق إن أغاروا في هذا الشهر فلم ينجحوا؛ فحرموا القتال فيه، فسمّوه محرما[2]. وسموا الشهر صفرا، لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفرا من المتاع[3]. وكانوا يسمون رجبا مُنْصِلُ الأَسِنَّة أو مُنْصِلُ الألّ والألّة(السهام)، والألال: اسْمُ رَجَبَ في الجاهليَّة، أي مُخرِجُ الأسِنَّة من أماكنها، كانوا إذا دخلَ رجَبُ نزَعوا أسنَّةَ الرِّماحِ، ونِصالَ السِّهامِ؛ إبطالاً للقتالِ فيه وقَطْعاً لأسبابِ الفِتَنِ بحُرْمَته؛ فلما كانَ سبباً لذلكَ سُمِّيَ به[4]. ويقولون في رجب الأصم لما تقدم من أنه لا يسمع صوت السلاح ولا الاستغاثات فيه ويجمع على أصام[5]. أما ذو القعدة اسم شهر كانت العرب تقعد فيه، وقيل سمي بذلك لقعودهم في رحالهم عن الغزو والميرة[6].

ومن عاداتهم تحريم القتال في أَرْبَعَةُ أشهر من السنة، لأنها أشهر حج، سَمّوها الأَشْهُرُ الحُرُمُ، ثلاثةٌ سَرْدٌ أي مُتَتابِعَة، وواحد فَرْدٌ. فالسَّرْدُ: ذُو القَعْدَة وذُو الحجَّة والمُحَرَّمُ، والفَرْدُ رَجَبٌ. وكانت بعض من قبائل العرب(خَثْعَمٌ وطَيِّيءٌ) تَسْتَحِلّ فيها القِتالَ، إلاّ دِماءَ المُحلِّين فكانت العربُ تستحلُ دِماءَهُم خاصَّةً في هذه الشُهورِ[7]. ولكن حتى القبائل التي حرمت القتال في هذه الأشهر، قد خرقت بعضها وهي (قريش وكنانة، وقيس) المقدس؛ بانتهاك حرمت هذه الأشهر، ففجرت، حين أحلت المحرمات، وقاتلت في هذه الأشهر، وسميت حروبها بالفجار الأول والثاني. وسبب تسميتها في الفجار، بما استحل هذان الحيان كنانة وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم[8].

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، ج٣١، ص ٤٣١..

(٢) الألوسي، بلوغ الأرب، ج٣، ص٧٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٦٢.

(٤) الزبيدي، تاج العروس،ج٣٠، ص٤٩٨.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٢، ص٤٠٦.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٥٧.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج٢١، ص٤٦٠.

(٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٢٦.

الخاتمة

تناولنا في بحثنا هذا عادات العرب قبل الإسلام ، وقد بيّنا فيه مصطلح الحرب ، الذي يعني محاربة العدو ومقاتلته ، ومفردة(عادة) وتعني المواظبة على الرجوع ، وارتكازها في سلوكهم الاجتماعي.

واتضح أن حروبهم سُمّيت بالأيام ؛ لأن القتال فيها نهارا ، وكانوا يعنون باليوم النهار. وتابع البحث العادات التي أفرزتها حروبهم قبل الإسلام ، وهي: إيقادهم لنار الحرب إيذاناً ببدئها ، ولتصير أعلاما للناهضين بها. ومفاجأتهم للعدو صباحا (وصبحاه). وإنذار القوم عن بعد بما يعرف بـ(النذير العُريان) ، ببدء العدو بشن هجومه عليهم ، وكذلك بوساطة شخص يدعى الصريخ. كما استعملوا الرمزية في أشعار قبائلهم في الهجوم ، وهي: الرمل والتراب ، والشوك ، واللون ، ونبات الحنظل وغيرها ، ولكل رمزية من ذلك دلالاتها. ومن عاداتهم إذا خرجوا للقتال لبسوا الدروع والموشى من الثياب ، وتطيبوا بالطيب ، وكان للتشاؤم والتيامن حيزا في عاداتهم ، فضلا عن استشارتهم لكاهن القبيلة ؛ ليطلعهم ما ستؤول إليه نتائج القتال.

وعُنّي البحث بدراسة عادة المبارزة بين قادة أو شجعان الطرفين المتقاتلين ، وما يتمخض عنها من نتائج على الطرفين المتضادين. وتضح أن لهم وسائلهم في رفع معنويات المقاتلين منها: عقّل سادة القوم أنفسهم أمام جندهم ، والتطيب بالطيب من قبل النساء ، وإعلان المكافأة.

وتلمس البحث عاداتهم باستصحاب النساء والذراري في معاركهم والمسوغات لذلك ، وعادة اصطحاب المقدس من آلهة أو ما يتيمنون به في معاركهم. واتضح أن للقبائل شعارات أشبه بكلمة السر بين المقاتلين. ولهم راياتهم ، التي لها مدلولاتها في المعركة ، فضلا عن وسائل القبائل في التميز فيما بينهم.

وتابع البحث عاداتهم في الأسر ، منها جز ناصية الأسير ، إذ منّوا عليه بالإفراج ، أو جز ناصية فرس الأسير ، ومدلولات ذلك. وعاداتهم بالثأر ، منها: جز شعر الرأس ، وتقصير الثوب ، وهجر النساء ، وتحريم الخمر ، والنذور للأخذ بالثأر ، وعدم رثاء القتلى ، كل ذلك ، إلا بعد الأخذ بالثأر ، فضلا عن قتلهم إلا من هو بواء(سواء)

للقاتل. واعتقادهم بالهامة التي تدخل في مجال الخرافة.

وتطرق البحث إلى عاداتهم في الصلح ، بتحجحهم بسهم التعقية للقبائل التي لم تستطع الأخذ بالثأر ، ومسح اللحى دلالة على التراضي ، ودفع الدية عن الزيادة في القتلى بعد احتساب عددهم من الطرفين المتقاتلين ، ووضع الرهائن لحين أكمالهم دفعها. ومن عاداتهم إنهم حرموا القتال في أربعة أشهر من السنة أطلقوا عليها (الأشهر الحُرم) ، ونتيجة لما خلفته الحروب من عادات ، اقترنت أسماء عدد من شهور العرب بفعل الحروب.

الفصل السادس

إدراك الغيب

أولاً: وسائل إدراك الغيب

١- التنجيم

٢- الفراسة

٣- القيافة

٤- العيافة

٥ – الطرق والخط

٦ – التطير والفأل

٧ – التنبؤ بتكليم الأصنام

٨ – ضرب القداح (الأستسقام بالازلام)

٩ – القرعة

١٠- الرؤيا

ثانياً: مدركو الغيب (الكهنة)

إدراك الغيب

قبل الشروع في الكتابة عن الغيب وإدراكه ، لا بد من تحديد لفظة الغيب: وهو كل ما غاب عن العيون سواء كان محصلا في القلوب أو غير محصل ، ويقال سمعت صوتا من وراء الغيب أي من موضع لا أراه[١] ، وإدراك الغيب إنما هو الحدس الحدس أي الظن والتخمين أو الرجم بالغيب[٢].

وقد شغل الغيب والاهتمام بإدراكه شعوب الحضارات القديمة سواء على مستوى خاصتها أم عامتها ، لما للإنسان من فضول دفعه لمعرفة آفاق مستقبله ، وسبر غوره المجهول. ولا يقل العرب قبل الإسلام شأناً في الاهتمام بالغيب ومحاولة إدراكه عن غيرهم من الشعوب ، حتى أنهم نسجوا الأساطير عنه ، ورفعوا من شأن مدركيه. واستعانوا بوسائل مختلفة اعتقدوا أنها تعينهم في مهمتهم لإدراك الغيب ، منها: التنجيم ، والفراسة ، والقيافة ، والطرق والخط ، والتطير والفأل ، والتنبؤ بتكليم الأصنام ، والاستخارة عن طريق الأستقسام بالأزلام(القداح) ، والقرعة ، والرؤيا.

ومنذ القدم تصدى الكهنة لمهمة أدراك الغيب ، لما يتمتعون به من مؤهلات سواء بالتجربة أم بالاكتساب ، أم بقدرات ومواهب خصوا بها دون غيرهم من الناس ، ووظفوها للاستعانة بالوسائل التي تقدّم ذكرها. ولتسليط الضوء على اهتمام العرب قبل الإسلام بإدراك الغيب ، والبحث في أسباب هذا الاهتمام والوسائل التي استعانوا بها في إدراكه من أجل مصالح عامة أو شؤون حياتية ، وتقرير أفعالهم من علمها ، جاء تحديد موضوع بحثنا هذا (أدراك الغيب عند العرب قبل الإسلام).

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ج١، ص ٦٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٦ ، ص ٤٧.

أولاً: وسائل إدراك الغيب:

١ - التنجيم:

يبحث عن تأثيرات الوقائع الفلكية وحركات الأجرام السماوية على الأرض وسكانها ويتكهّن بحوادث المستقبل[١]، والتنجيم قديم ظهر بشكل بسيط عند السومريين بالاعتماد على مراقبة الشمس والقمر والنجوم من حيث مواقعها وأشكالها وألوانها واستنباط الفأل من كل ظاهرة فيها، والغرض الأساس منه التنبؤ بمستقبل الملك والبلاد، أو على المستوى الشعبي(الأفراد)[٢]. ومن الشواهد التاريخية عن التنجيم عند العراقيين القدماء ما جاء في(لوح فينوس) الذي يعود تأريخه إلى العصر البابلي القديم[٣]، عثر عليه في مكتبة آشور بانيبال، كتب بأسلوب منتظم ضم الفؤول المأخوذة من حركة فينوس[٤]. وانتقل علم التنجيم من وادي الرافدين إلى سائر سائر البلدان[٥]، ففي مصر القديمة ذُكر أن فرعون كان يقتل أبناء بني إسرائيل لأخبار المنجمين إياه بأنه سيولد لهم مولود يكون هلاكه على يده[٦]. فضلا عن العراقيين والمصريين القدماء، فقد عَرف التنجيم اليونان والرومان والهند والفرس[٧].

والتنجيم على ثلاثة أقسام: أحدها القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة ويعتقد بذلك الصابئة المنجمون منذ عهد إبراهيم(عليه السلام) ويزعمون أن روحانية ذلك الكوكب تنزل

---

(١) مؤلف مجهول، تنبؤات النبي دانيال، من مقدمة الكتاب بقلم المحقق بطرس آدمو، ص ١٤.

(٢) فاضل عبد الواحد، طرق العرافة في النصوص المسمارية، ص٧٠١ –ص٧٠٢.

(3) Babylon: Astrology And Ancient Mesopotamia" - Baigent, M., "The Great Omen Series" Enuma Anu Enlil "From The Omens Of(,London,1994,p.62.

(٤) لوح فينوس: وهو لوح سميك احمر اللون دائري الشكل من الجوانب دونت عليه كتابات مسماريه، عثر عليه في مكتبة الملك آشور بانيبال وقد ألف بأسلوب منتظم ضم الفؤول المأخوذة من حركة فينوس، ينظر: **Baigent, M., op.cit, p. 59,64.**

(٥) مؤلف مجهول، تنبؤات النبي دانيال، من مقدمة الكتاب بقلم المحقق بطرس آدمو، ص ١٤.

(٦) الالوسي، روح المعاني ج ٢٣، ص ١١٤.

(٧) المصدر نفسه، ج ٢٣، ص١٠٢. ينظر تفصيلات اختلافهم المصدر نفسه.

عليهم وتخاطبهم وتقضي حوائجهم وتلك الروحانيات هي الشياطين ، والثاني: الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ، والثالث: في تعلم المنازل(منازل القمر)[١].

وعُرف الذي يدعي معرفة الغيب بالمُنجم[٢] ، فهو ينظر في النجوم وأحكامها بظنه وتقديره[٣] ، مثلاً في قوله: لا تخرج من أجل نجم كذا ، وأخرج لطلوع نجم كذا[٤] ، أو يخبر بوقت الغيث والموت ويعتمد في قوله على القياس والنظر في الطالع[٥]. ويزعمون أن أول من أعطى هذا العلم آدم(عليه السلام) لأنه عاش حتى أدرك من ذريته أربعين ألف أهل بيت وتفرقوا عنه في الأرض فكان يغتم لخفاء خبرهم عليه فأكرمه الله تعالى بهذا العلم فكان إذا أراد أن يعرف أحدهم حسب له بهذا الحساب فيقف على حالته[٦].

واعتقد المنجمون قبل الإسلام بتأثير الكواكب على الإنسان وأن هذا التأثير يعرفه المنجم ، كالسعادة والنحوسة وطول العمر وقصره وسعة العيش وضيقه إلى غير ذلك[٧]. وأن الخير والشر والإعطاء والمنع وما أشبه ذلك يكون في العالم بالكواكب على حسب السعود والنحوس وكونها في البروج المتنافرة لها أو الموافقة وحسب نظر بعضها إلى بعض بالتسديس والتربيع والتثليث والمقابلة وحسب كون هبوطها واستقامتها ، واختلفوا في دلالاتها على السعود والنحوس ويدل بعض أجرامها على الخير وبعضها على الشر[٨]. فإن المنجم إن لم يسأل الإنسان عن اسمه واسم أمه ويعرف طالعه لا يقدر أن يتكلم عن أحواله ولا يخبره بشيء من متجدداته وخطأه

---

(١) سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد ج١،ص، ٣٧٢، ص ٣٨٧ – ص ٣٨٨.

(٢) القرطبي، جامع، ج١، ص ٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب،ج١٤، ص١٧٥.

(٤) النسفي، تفسير، ج١، ص٢٦٨

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٨٨.

(٦) الزرعي، مفتاح السعادة،ج٢، ص٢١٩.

(٧) روح المعاني ج٢٣، ص ١٠٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

أكثر من صوابه[1]. وكانت الكهانة قبل الإسلام تنتفع من أحكام النجوم[2]. والأدل قول قُس بن ساعدة الأيادي عندما سأله قيصر: هل نظرت في النجوم؟ قال: نعم نظرت فيما يراد به الهداية، ولم أنظر فيما يراد به الكهانة[3].

وقد صنف المنجمون منازل القمر الثمانية والعشرين ذات الأنواء[4] بعضها نحس وشر وبعضها سعد، فمثلاً نوء الشرطين غير محمود[5]، وكذلك الدبران والعرب تتشاءم به[6]، وذكرته الشعراء بالنحوسة كما جاء في قول الشاعر عبيد بن الأبرص:

غداة توّخى المَلْكُ يلتمس الحيا   فصادف نحساً كان كالدبران[7]

وأنشد ذلك قبل مقتله من قبل ملك الحيرة(المنذر بن ماء السماء) بعدما قتل الأخير نديمين له، ندم وشيد على قبرهما أثرين وجعل يومين في السنة يوم نعيم ويوم بؤس، فكل من مر به في يوم نعيمه أنعم عليه، وكل من مر به يوم بؤسه قتله وطلا بدمه الأثرين فمر به عبيد بن الأبرص في هذا اليوم(النحس فقتله)[8]، ومن الأنواء غير المحمودة القلب(قلب العقرب)، والعرب يتشاءمون به وينسب إلى النحوسة[9]، وكذلك الدبران وقد ضمنهما الشاعر الأسود بن يعفُر[10] في قوله:

---

(١) العباسي، معاهدة التنصيص ج١، ص١٥٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ١، ص٤١.

(٣) العيني، عمدة القارئ، ج١٥، ص١١٥.

(٤) ينظر: ابن قتيبة، الأنواء، ص ٢٠ وما بعدها. والنوء: سقوط النجم منها في المغرب، وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق. وسقوط كل نجم منها في ثلاثة عشر يوماً، خلا الجبهة، فإن لها أربعة عشر يوماً. فيكون انقضاء سقوط الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة. ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول في ابتداء السنة المقبلة، ينظر: المصدر نفسه، ص ١٠ – ص ١١.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٦) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٤٦.

(٧) ابن قتيبة، الأنواء، ص ٤١- ص٤٢

(٨) ابن قتيبة، المعارف، ج١، ص٦٤٩؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص٩١.

(٩) ابن قتيبة، الأنواء ص٧٥؛ القزويني، المصدر نفسه والصفحة.

(١٠) الأسود بن يعفر: ويقال يعفر بضم الياء ابن عبد الأسود بن جندل ابن نهشل بن دارم بن مالك=

وُلدتُ بحادي النجمِ يتلو قرينَه وبالقلبِ قلبِ العقربِ المتوقّدِ [1]

وقلب العقرب المذكور هو رقيب(قريب) الدبران. يقول: ولدت بغروب هذا وبطلوع هذا. وهما منحوسان. وكذلك حادي النجم(الدبران) ، مثل تابع النجم[2] ، ولشؤمه ضربوا به المثل فقالوا: (أنكد من تَالي النُجم)[3]. وكانوا يمتنعون عند طلوعه من السفر ، ويبدو أن هذه العادة ظلت سائدة ومعمول بها عند بعض منهم حتى بعد مجيء الإسلام حيث نهى الرسول(ﷺ) عنها[4]. أما نوؤه فهو مكروه عند العرب فكانوا يتشاءمون منه ويصفونه بالمنحوس[5]. كما تشاءم العرب من (البُطين)[6] ، وعُدّ نوؤه شر الأنواء[7] ، وكذلك سعد الأخبية[8] ، والثريا ، فيُذكر أن يهود خيبر سألوا بها صحتهم فقالوا: بشرب الخمر ، واكل الثوم ، وسكن البقاع ، وتجنب بطون الأودية والخروج من خيبر عند طلوع النجم وسقوطه[9] ، والمقصود بالنجم في هذا النص هو الثريا ويقال: "ما طلعت ولا ناءت إلا بعاهة في الناس والإبل"[10].

والعرب تكره السفر إذ كان القمر نازلاً بالعقرب[11] ، لأنهم يعتقدون أن السفر أمر يراد لخير من الخيرات فإذا كان الوصول إلى ذلك الأمر أسرع كان أجود فينبغي

=بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثامنة ، ينظر: الأصفهاني،الأغاني، ج١٣ ، ص١٧.

(١) ابن قتيبة ،الأنواء، ص٤٢

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) الميداني، مجمع الأمثال، ج٣، ص٤٠٨.

(٤) ابن قتيبة ، عيون الأخبار، ج٢ ، ص١٢٢.

(٥) ابن سيدة ، المخصص، ج٩ ، ص١٦.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٦.

(٧) المصدر نفسه ، ص٢٧.

(٨) القزويني، عجائب،ص٥٠.

(٩) ابن قتيبة ، الأنواء، ص٣٠ –٣١.

(١٠) البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، ص٢٠٧.

(١١) ابن قتيبة ،المصدر نفسه والصفحة ؛ القزويني، المصدر نفسه والصفحة.

على هذا أن يكون القمر في برج منقلب ، والعقرب برج ثابت ، والثوابت عندهم تدل على الأمور البطيئة ، وقالوا أيضاً البرج للمريخ ، والمريخ عندهم نحس أكبر ، والنحس ينحس الحظوظ على أصحابها فينبغي أن يكون القمر في برج السعد لأن السعد ينفع ، والنحس يضر ، وأيضا فإن هذا البرج هو برج هبوط القمر وإذا كان الكوكب في هبوطه لا يلتئم لصاحبه ما يريده ويقصده بل يكون وبالاً عليه ، لأن الكوكب الهابط عندهم كالمنكس ، وأيضاً فإن القمر عندهم رب تاسع العقرب وإذا كان رب التاسع منحوساً ، فالسفر مكروه لأن التاسع منسوب إلى السفر وعلى العموم فإن العقرب عندهم شر البروج والقمر على الإطلاق ، قالوا: فلذلك ينبغي الحذر من السفر والقمر في العقرب[1] ، ولم يقتصر عندهم بالسفر وحده بل يكرهون جميع البدايات والاختيارات والقمر في العقرب ، ولما كان القمر أسرع الكواكب حركة فهو أولى أن يكون دليلاً على الأمور المنقلبة والسفر أمر منقلب والعقرب برج ثابت غير منقلب[2]. واعتقدوا أن يوم الأربعاء يوم قليل الخير ، والأربعاء الأخير من الشهر يوم نحس دائم[3].

أما ما ذكر من منازل القمر المحمودة فهي الجبهة[4]. و الغفر من السعود ، كما جاء في قول العرب إذا نزل القمر بالغفر ، كانت تلك السنة عندهم من السعود ، وقالوا: في الغفر يولد الأنبياء(عليهم السلام)[5]. وتيمن العرب بـ(سعد السعود) ، فلهذا سمّي بهذا الاسم[6]. والفرع الأول(هو فرع الدلو) ، والفرع الثاني ونوعيهما محمودان[7]. وأعتقد العرب أن معبود(الزُهرة) تثير الجنس ، وهي حسنة الحال فلو

---

(١) الزرعي، مفتاح السعادة،ج٢، ص٢١٥- ص٢١٦.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) القزويني، عجائب، ص٦٦

(٤) ابن قتيبة، الأنواء، ص٦٢.

(٥) المصدر نفسه، ص٧٢.

(٦) القزويني، عجائب، ص٥١.

(٧) القزويني، عجائب ، ص٥٠ – ص٥٢.

نكح رجل امرأة ، وقع بينهما من المحبة والألفة ما يتعجب منه[1].

ولا نغفل ما يمدنا به تاريخ العراق القديم من اعتقادات ارتبطت بالتنبؤ بالغيب من خلال الأجرام السماوية وكان القمر أولها ، إذ تركت مراقبته نبوءات منها :عندما يكون القرن الأيمن من القمر عند ظهوره طويلا وقرنه الأيسر قصيراً فإن الملك سوف يغزو بلداً آخر. أو ما خلفته الرسائل الملكية الآشورية ، منها: ظهور القمر بأول الشهر عندما يكون النهار طويلاً فأل طيب ، وكذلك ظهور القمر مع كوكب الزهرة في شهر نيسان[2].

ويدخل في باب التنجيم ، الاستسقاء(طلب المطر) ، وعُرف في تاريخ العراق القديم عندما ربط البابليون المطر بحركة النجوم ، واعتقدوا إن حركة الكواكب في القبة السماوية تؤثر في تقلبات الجو وتسبب شحة المطر أو وفرته ، وتتم مراسيم الاستسقاء في العراق القديم بقيام أربعة من النساء بالوقوف بوضع متقابل ثم يبدأن بتحريك أجسامهن وشعرهن الطويل ، على أن تبدأ عملية التحريك برمي الشعر باتجاه اليمين ومن ثم إلى اليسار ، وهذه العَلاقة بين طقس الاستسقاء وحركة الكواكب والنجوم تم التوصل إليها من خلال الاستنتاجات التي تبلورت في نصوص الفأل البابلية[3]. والاعتقاد نفسه نجده عند العرب قبل الإسلام إذ اقترن المطر بالنوء ، أي جعل الفعل للكوكب فيكون هو الذي أنشأ السحاب ، وأتى بالمطر[4] ، وكانت العرب تقول لأبّد لكل كوكب من مطر ، أو ريح ، أو بَرد ، أو حَرّ ، فينسبون ذلك إلى النجم. وإذا مضت مدة النوء ، ولم يكن فيها مطر ، قيل خوى نجم كذا أو

---

(١) القزويني، عجائب المخلوقات، ص١٤.

(٢) ينظر: د. سامي سعيد الأحمد المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص٧٢- ص٧٣، وللاستزادة ينظر: سامي سعيد الأحمد، معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام وأفكار الشرور، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٢، سنة ١٩٧٥، ص٥٧ – ص١١١.

(٣) فوزي رشيد، "علم الفلك بدايته وإنجازاته"، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٥، بغداد، ١٩٩٧.،ص٢٠٧- ص٢٠٨.

(٤) ابن قتيبة، الأنواء، ص١٨.

أخوي[1] ، ووصف(المرزوقي) ما كان عليه العرب قبل الإسلام من طقوس واعتقادات عند انحباس المطر ، في قوله: كانوا إذا استمطروا عمدوا إلى السلع[2] ، والعشر- شجر- فعقدوها في أذناب البقر وأضرموا فيها النار واصعدوها في جبل وعر وتبعوها يدعون الله عز وجل يستسقونه[3] ، ويضرمون النار تفاؤلاً للبرق. وكانوا إذا فعلوا ذلك توجهوا بها نحو المغرب من بين الجهات ، قَصَدوا عين الشمس[4] ، أو ليرحمها الله تعالى وينزل المطر لإطفاء النار عنها[5]. وجاء هذا المعتقد في شعرهم ، كما في قول الورل الطائي:

لا دَرَّ دَرُّ رجَـالٍ خَـابَ سَـعْيُهمُ ... يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الأَزْمَات بالعُشَرِ [6]

وقد نهى الرسول(ﷺ) عن اعتقاد المطر بالنوء ، جاء عن الإمام علي بن أبي طالب(ﷺ) عن النبي(ﷺ) قال: "شرككم مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا"[7]. كما تنبأ العرب من الرعد فإذا كان في وقت كذا من السنة والشهر فهو علامة على أمور غيبية من جدب وخصب وكثرة الرواج في الأسواق وقلته وكثرة الموت وهلاك الماشية وانقراض المالك ونحو ذلك[8]. واستدل العرب على المطر من خلال الشمس والقمر والشهب ، فإذا طلعت الشمس وفي وسطها شيء من الغيم دلّ على المطر. وإذا

---

(١) ابن قتيبة ، الأنواء ، ص ١٠ – ص١١.

(٢) السلع: نبات ينبت بقرب الشجرة ثم يتعلق فيها حبالاً خُضراً لا ورق له ولكن قضبان تلتف على الغصون وتشتبك وله ثمر مثل عناقيد العِنب صغار فإذا أينع اسود فتأكله القرود ولا يأكله الإنسان ، ينظر: الزبيدي ، تاج العروس ج٢١ ، ص٢١٤

(٣) المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ،ج٢ ،ص١٢٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ج٨ ، ص١٦١؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٣ ،ص٢٣٧؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج١ ، ص٤٦٦.

(٤) المرزوقي ،المصدر نفسه والصفحة.

(٥) المحبي ، خلاصة الأثر ،ج٢ ، ص٣٨٢.

(٦) الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ج١ ، ص٥٨٠؛ وينسب ابن طباطبا هذا الشعر إلى أُمَيَّةُ بن أبي الصلْت ، ينظر: عيار الشعر ، ج١ ، ص٦٠.

(٧) ابن حنبل ، مسند ، ج١ ، ص٨٩.

(٨) الشنقيطي ، أضواء البيان ،ج٤ ، ص٤٩.

غربت وعليها وحولها قِطع قطع من السحاب يدل على المطر[1]. وإذا احمر شعاع الشمس عند طلوعها دل على الجدب[2] ، وعند غروبها يكون دليل المطر[3]. واستدلوا واستدلوا على المطر من حجم وشكل القمر ، فإذا كان الهلال ابن ليلتين أو ثلاثة وكانت في قرنيه أو كأنّه مُظلما ملطخا بدم دلّ على الشتاء وكثرة المطر[4]. وإذا كان الهلال في ليلته الثالثة أو الرابعة و حوله نقاط حمراء أو سوداء دل على المطر الخفيف وإذا حوله شيء من السواد دل على المطر الغزير وإذا حوله ما يشبه البخار الحائل بين نوره والأبصار دل على المطر بعد ثلاثة أيام أو اقل ، وإذا حوله هالة أو هالتان أو ثلاث كان دليلاً على المطر مع برد شديد ، وإذا ظهر مع القمر وهو في كماله سحابة سوداء ممتدة دل على المطر الشديد مع ريح وبرق ، أما الشهب إذا رمتها الكواكب من جميع الاتجاهات دلت على السحب ، وإذا رميت من جهة واحدة دلت على الريح[5].

والأدل على أن التنجيم كان منتشراً بين العرب قبل الإسلام ، وبدايات عصر الرسالة الإسلامية ، هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي نهت عن التنجيم. فجاء عن قتادة في تفسير قوله تعالى(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ)[6] ، وقوله تعالى: (وبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)[7] ، إذ خلق سبحانه وتعالى هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء ، ورجُوماً للشياطين ، وعلامات يُهتدى بها ، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له بها[8]. وما روي من

---

(١) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة بتاريخ المُستبصر، ص١٥٩.

(٢) ابن سيدة، المخصص، مج٢، ص١٠.

(٣) ابن قتيبة، الأنواء، ص١٧٧ – ١٧٩.

(٤) ابن مُجاور، صفة بلاد اليمن، ص ١٥٩- ص ١٦٠.

(٥) النابلسي، علم الملاحة في علم الفلاحة، ص٢٦- ٢٧.

(٦) سورة الصافات: الآية ٦

(٧) سورة النحل: الآية ١٦

(٨) البخاري، صحيح، ج٣، ص١١٦٨؛ الطبري، جامع البيان، ج١٤، ص٩٢؛ القرطبي، الجامع، ج١٨، ص٢١١

أحاديث نهى النبي(ﷺ) فيها عن التنجيم ، ما جاء عن ابن عباس:"ما اقتبس رجلٌ علماً من النجوم ، إلا اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد"[1]. وعن أبي هريرة: "إن رسول الله(ﷺ) نهى عن النظر في النجوم"[2].

٢- الفراسة:

الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن[3] ، يقال: تفرست وتوسمت وتكون بجودة القريحة وحدة الخاطر وصفاء الفكر[4] ، والفارس الحاذق ، والفراسة بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيرا وتفرس فيه الشيء توسمه[5]. ويرى(الزمخشري) أن الفراسة الحدس ، وحدس نفسه وحدس الشيء حزره ، وحدسته بكذا ، إذا رميته وهو نحو الرجم بالظن[6]. وأصل الفراسة أن بصر الروح متصل ببصر العقل في عيني الإنسان ، فالعين جارحة والبصر من الروح وأدراك الأشياء من بينهما ، فإذا تفرّغ العقل والروح من أشغال النفس أبصر الروح وأدرك العقل ما أبصر الروح وإنما عجز العامة عن هذا ، لشغل أرواحهم بالنفوس واشتباك الشهوات بها فشغل بصر الروح عن أدراك الأشياء الباطنة[7].

وقد نبه الله سبحانه وتعالى على صدق الاستدلال بقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ)[8] ، وقوله تعالى: (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ)[9]. وعلم الله سبحانه وتعالى

---

(١) أحمد بن حنبل، مسند احمد، ج١، ص ٢٢٧؛ ابن ماجه، سنن، ج٢، ص١٢٢٨؛ أبو داود، سنن، ج ٢ ،ص٢٣٩؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج٨، ص١٣٨

(٢) الطبراني، المعجم الأوسط، ج٨، ص١٣١

(٣) الرازي، التفسير الكبير،ج٢ ، ص١٨٤.

(٤) ابن العربي، أحكام القران،ج٣، ص١٠٦.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٦،ص١٦٠.

(٦) الزمخشري، أساس البلاغة،ج١ ، ص ١١٦.

(٧) المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير،ج١ ،ص ٢٢؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي،ج٨، ص٤٤١.

(٨) سورة الحجر:الآية ، ٧٥.

(٩) سورة البقرة: من الآية، ٢٧٣.

الخضر الفراسة من قوله تعالى: (فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً)[1] ، وجاء في قول (عبد الله بن مسعود): أحسن الناس فراسة العزيز حين تفرس في يوسف(عليه السلام) فقال عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ، وبنت شعيب حين قالت لأبيها في موسى(عليه السلام) استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين[2].

وروى(أبو سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ) قول رسول اللّه(ﷺ): (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فإنه يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ)[3] وشرح(ابن الأثير) هذا الحديث بقوله: يأتي بمعنيين ، أحدهما ما دل ظاهر الحديث عليه وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس ، والثاني: نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والأخلاق فتعرف به أحوال الناس[4].

ومن أنواع الفراسة: الاستدلال بهيئة الإنسان ، وأشكاله ، وألوانه ، وأقواله ، على أخلاقه وفضائله ورذائله[5] ، واستدلوا بالخَلق على الخُلق لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل وكبره ، وبسعة الصدر وبعد مابين جانبيه على سعة خلق صاحبه واحتماله وبسطته وبضيقه على ضيقه وبخمد العين وضعف نظرها على بلادة صاحبها وضعف حرارة قلبه وبشدة بياضها مع إشرابه بحمرة يدل على شجاعته وإقدامه وفطنته وبتدويرها مع حمرتها وكثرة تقلبها على خيانته ومكره وخداعه[6] ، وكذلك الاستدلال بإفراط الشعر في السبوطة(الشعر المسترسل) على البلادة وبإفراطه في الجعودة على الشر وباعتداله على اعتدال صاحبه ، وأصل هذه الفراسة أن اعتدال الخلقة والصورة هو

---

(١) سورة الكهف: الآية، ٦٥.

(٢) القرطبي، الجامع، ج٩، ص١٦٠.

(٣) الترمذي، سنن، ج٥، ص٢٩٨.

(٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣، ٤٢٨.

(٥) المناوي، فيض القدير، ج١، ص، ١٤٣ ؛ الالوسي، بلوغ الأرب،ج٣، ،ص٢٦٣.

(٦) الزرعي، مدارج السالكين،ج٢ ، ،ص٤٨٧.

من اعتدال المزاج[١]. ويقال عين المرء عنوان قلبه ، وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد ، والعين المتوسطة في حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة أو التي يطول تحديقها يدل على السمع ، والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان[٢]. وكانوا يستدلون بأحوال العينين على أحوال القلب ، وذلك لأنهما مرآتان للقلب يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض والخير والشر والبلادة والفطنة والزيغ والاستقامة ، فضلاً عن الاستدلال بأحوال العين ، هناك فراسة الأذن وفراسة القلب[٣].

ومن ضروب الفراسة الزكانة ، والزكن مَنْ يُصدق في فراسته وحدسه[٤] ، وهو ظن بمنزلة اليقين أو طرف من الظن ، ويقال رجل مزكن أذا كان يظن فيصيب[٥]. كما أن استنباط المياه التي لابد لها من علامات يُعدّ من الفراسة أيضاً[٦] ، ومن ضروب الفراسة النظر في أكتاف الغنم والاطلاع من خلالها على أمور من الغيب[٧] ، الغيب[٧] ، ويكون الاستدلال بلوح الكتف قبل طبخه إذ يلقى على الأرض أولاً ، ثم ينظر فيه فيستدل بأحواله من الصفا والكدر والحمرة والخضرة إلى الأحوال الجارية وبخاصة في الحروب للاستنباط لمن تكون الغلبة ، أو تنصب أطرافه الأربعة إلى الجهات الأربع ويحكم على كل ضلع منها بأحوال متعلقة بها على ما يظهر في اللوح[٨].

وبالإمكان التفرس بالملاحظة ، لأن النفوس تعلم أشياء بعلامات ، يتبين هذا

---

(١) الزرعي، مدارج السالكين،ج٢ ، ،ص٤٨٧.

(٢) الأبشيهي، المستطرف ج٢ ، ،ص١٩٣.

(٣) الزرعي، التبيان في أقسام القرآن،ج١ ، ،ص١٩١.

(٤) الطبراني، المعجم الوسيط، ج،١،ص ٣٩٦.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص١٩٨؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط ج١ ، ،ص١٥٥٣.

(٦) القنوجي، أبجد العلوم،ج٢ ، ،ص٥٥.

(٧) الشنقيطي، أضواء البيان،ج٤ ، ،ص٤٩.

(٨) القنوجي، أبجد العلوم،ج٢ ، ،ص٩٢.

النوع من التفرس فيما ذكر: أن سيف بن ذي يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة ، بعث إليه بجيش عظيم ، فخرج إليهم مسروق بن أبرهة في مئة ألف من الحبشة ، وكان بين عينيه ياقوته حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور ، وهو على فيل عظيم ، قال: وكان في عسكر ذي يزن رجل يقال له زهير ، فتأمل ذلك منه ثم قال: لأميره أصبر لتنظر ما يكون من أمره ، فنزل مسروق من الفيل وركب جمل ، فقال:أصبر ، فتحول بعد ذلك إلى فرس ثم إلى بغل ثم إلى حمار وكأنه أَنِفَ مُقاتلتهم على شيءٍ من ذلك ،إلا .على حمار لما أنه استصغرهم وأستحقرهم ، وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى إلى أدنى ، وقال: أحملوا عليهم فإن مُلكهم قد ذهب فإنه انتقل من كبير إلى صغير ، فحملوا عليهم فكسروهم وقُتل الملك[1].

وعرف العرب التنبؤ من حركات الإنسان منها: إذا اختلجت العين قال: أرى من أحبه ، فإن كان غائباً توقع قدومه ، وأن كان بعيداً توقع قربه[2] ، ولا يقتصر الأمر على اختلاج العين ، وإنما بالإمكان الفراسة من اختلاج أعضاء الإنسان من الرأس إلى القدم للاستدلال على الأحوال التي ستقع عليه وأحوال نفعه[3]. ومن الفراسة ، الريافة: هي معرفة استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الإمارات الدالة على وجوده ، فيعرف بُعده وقربه بشم التراب ، أو برائحة النباتات فيه ، أو بحركة حيوان مخصوص وجد فيه ، فلا بد لصاحبه من حس كامل ، وتخيل قوي شامل ، ونفع هذا العلم بَين ، وهو من فروع الفراسة من جهة معرفة وجود الماء ، والكيفية من جهة الحفر ، وإخراجه إلى وجه الأرض[4].

---

(١) االأبشيهي، المستطرف،ج٢ ، ،ص١٨٦.

(٢) الالوسي، بلوغ الأرب، ج٢ ، ،ص٣٢٣.

(٣) القنوجي، أبجد العلوم، ج ٢ ، ص٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٢ ، ص٣٠٩.

٣ - **القيافة:**

أسم مشتق من القفو[1]؛ لأنه يقفو الأشياء أي يتبعها. قال (الأصمعي): القائف هو الذي يقفو الأثر، ويقتافه قفواً وقيافة[2]، والجمع القافة. يقال: قَف أثره تبعه[3]، وأصل القيافة هي ضرب من ضروب البحث، وإلحاق النظير في الأغلب بنظيره من حيث تساويهما، فالقائف يقارب بين الهيئات فيحكم للأقرب صورةً[4]، وفي قول (ابن الأثير): القائف الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وبأبيه[5]، والقيافة أختص بها سائر العرب من بين الأمم[6]، بينما يرى(المسعودي) إنها في خاصة من العرب، منها الفطن والمتدرب الظن[7]، وهي في كنانة أكثر من غيرها، واشتهرت بنو مُدّلِج بها[8]، إذ يعرض على أحدهم مولود في عشرين نفراً فيلحقه بأحدهم[9]. وهناك مَنْ يضيف بني أسد فضلاً عن بني مُدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة ممن اعترفت لهما العرب بالقافة، ويرى(ابن حجر) أن ذلك ليس خاصاً بهم، فقد أخرج يزيد بن هارون في الفرائض بسند صحيح إلى سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب(ﷺ) كان قائفاً، وعمر ليس مدلجياً ولا أسدياً من أسد خزيمة ولا أسد قريش[10]، وقد أشار الشاعر إلى قيافة بني مُدْلِج بقوله:

في مدلج بن بكر القيافة ... كما للهب كانت العيافة[11]

---

(١) المسعوي، مروج الذهب،ج٢، ص ٣٠٢.

(٢) العيني، عمدة القارئ،ج٢٣، ص٢٦٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب،ج٩،ص٢٩٢؛ الزبيدي، تاج العروس،ج٢٤، ص٢٩١.

(٤) المسعوي، مروج الذهب،ج٢، ص ٣٠٢.

(٥) ابن الأثير،النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص١٢١.

(٦) الثعالبي، ثمار القلوب،ج١،ص١٢٠- ص١٢١ ؛ المسعودي، مروج الذهب،ج٢، ص ٣٠١.

(٧) المسعودي، المصدر نفسه والصفحة.

(٨) الثعالبي، ثمار القلوب،ج١،ص١٢٠- ص ١٢١.

(٩) لأبشيهي، المستطرف،ج٢، ص١٨٣.

(١٠) ابن حجر فتح الباري ج١٢،ص٥٧ ؛ العيني، عمدة القارئ،ج٢٣، ص٢٦٤.

(١١) الشنقيطي، أضواء البيان ج١، ص٤٨٤.

والقيافة على ضربين: قيافة البشر، وقيافة الأثر، فأما قيافة البشر: فالاستدلال بصفات أعضاء الإنسان[1]، ورويت قصص عن قيافة البشر منها ما حكي عن بعض أبناء التجار، أنه كان راكباً في إحدى أسفاره على بعيره يقوده غلام أسود فمر ببني مُدلج، فنظر إليه واحد منهم وقال: ما أشبه الراكب بالقائد، قال ولد التاجر: فوقع في نفسي من ذلك شيء، فلما رجعت إلى أمي ذكرت لها القصة، فقالت: يا ولدي أن أباك كان شيخاً كبيراً ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك...[2]، وكانت العرب تعتمد قول القائف ويعترفون بحقيقة القيافة[3]، واستدلوا بالقيافة عندما قُدِح في نسب أُسامة ابن زيد قبل الإسلام لكونه أسود وزيد أبيض، فمر بهما مجزز المدلجي وكان عارفاً في القيافة، ذلك فيما رواه قتيبة بن سعد في سنده عن السيدة عائشة قالت: "إن رسول الله(ﷺ) دَخَل عَلَيَّ مسروراً تبرقُ أساريرُ وَجْهِه فقال ألم تري أن مُجزِّز نظر آنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن حارثة فقال إن هذه الأقدام بعضها من بعضٍ"[4]، وكان مجزز قد رأى أسامة بن زيد، وزيد، وعليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وبدت أقدامهما[5]، وسبب الاستدلال بالقَدَم من قبل القائف، لأنها نهاية الشكل وغاية الهيأة، فالولد لو خالف صورة أبيه في كُنه أفعاله وبيانه في سائر شكله، فالأغلب أنْ يوافقه في القَدَم، لأن النسل لا بدَّ له من تخصيص قوة بشيء يميزه من غيره ويبينه من سواه[6]. ولعل اشتهار العرب بقيافة البشر، ليكون سبباً في ارتداع نسائهم عما يورث ثلب نسبهم وخبث

---

(١) الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص١٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨٣.

(٣) العيني، عمدة القارئ، ج١٦، ص١١٠.

(٤) البخاري، صحيح، ج٦، ص ٢٤٨٦؛ أحمد بن حنبل، مسند ج٦، ص، ٢٢٦.

(٥) النووي، شرح، ج١٠، ص٤١؛ ابن حجر، فتح الباري، ج١٢، ص٥٧؛ العيني، عمدة لقارئ، ج٢٣، ص٢٦٣.

(٦) المسعوي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٠٢.

حسبهم[1] ، وأن القيافة لا تحصل إلا بالتجارب والمزاولة عليه مدداً متطاولة ، وهي متوارثة ، واختص العرب واهتموا بها ، وتوارثوها خلف عن سلف ، ولهذا لم توجد في غيرهم[2].

ومن المناسب ذكره أن العرب تنازعت في قيافة البشر ، فذهبت طائفة إلى تحقيق القيافة والأخذ بها ، لأن الأشباه تتناظر ، وغير جائز أن يكون الولد غير مُشبه لأبيه أو لأحد من أهله من جهة من الجهات ، ومنهم مَنْ ذهب إلى أن في الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الأعضاء مِّما لم يلحقها الشبه ولا يوافق بينها حدّ مشترك ، وأبى آخرون ذلك ، إذ كان الناس قد يتشابهون في حدِ الإنسانية وغير ذلك من الحدود ، ويفترقون في غيرها من الصور ، وليس وجود الأغلب من الأشباه مِّما يوجب إلحاق الشبه بشبهه ، دون أن يخالف من حيث أوجبت قضية العقل الخلاف والتباُين[3].

أما عن قيافة الأثر فهي الاستدلالُ بالأقدام والحوافر والخفاف ، وقد أختص به قوم من العرب ، لأن أرضهم ذات رمل إذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق ، تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ، ومن العجب أنهم يعرفون قدم الشباب من الشيخ ، والمرأة من الرجل ، والبكر من الثيب ، والغريب من المستوطن[4]. ومن قصص قيافة الأثر ما جاء في قصة الشاعر عمرو بن قميئة مع امرأة عمه مرثد بن سعد إذ هوت عمرو الجماله ، فشغفت به ولم تظهر له ذلك ، فغاب مرثد لبعض أمره ، فبعثت امرأته إلى عمرو تدعوه على لسان عمه وقالت للرسول ائتني به من وراء البيوت ففعل فلما دخل أنكر شأنها فوقف ساعة ثم راودته عن نفسه فقال لقد جئت بأمر عظيم وما كان مثلي ليدعى لمثل هذا والله لو لم أمتنع من ذلك وفاء لامتنعن منه خوف الدناءة والذكر القبيح الشائع عني في العرب قالت والله لتفعلن أو أسوأنك قال

(1) الالوسي، بلوغ الأرب،ج٣، ص٢٦٢.

(2) القنوجي، أبجد العلوم ج٢ ، ص٤٣٧.

(3) المسعودي، مروج الذهب، ج٢ ، ص٣٠٥- ص٣٠١.

(4) الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص١٨٣.

إلى المساءة تدعينني ثم قام فخرج من عندها ،وخافت أن يخبر عمه بما جرى فأمرت بجفنة فكفئت على أثر عمرو فلما رجع عمه وجدها متغضبة فقال لها مالك قالت إن رجلا من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي ويريد فراشك منذ خرجت قال من هو قالت أما أنا فلا أسميه ولكن قم فافتقد أثره تحت الجفنة فلما رأى الأثر عرفه[1]. ولعل طبيعة العرب الصحراوية ، وقلة الدلالات المكانية فيها قد يؤدي إلى صعوبة اقتفاء الأثر ، لذا اضطلعوا إلى قيافة الأثر للاهتداء بها إلى آثار من يريدون اقتفائها سواء لإنسان أم لدابة ، فضلا عن أنها تعينهم على معرفة الطريق الذي ينبغي عليهم أن يسلكوه في رحلاتهم.

وعرفوا ضربا آخر للقيافة: هو الاهتداء بالبراري والإقفار ، وذلك بتعرّف الأمكنة من غير دلالة عليها بالإمارات المحسوسة دلالة ظاهرة بل خفية ، لا يعرفها إلا من تدرب فيه ، كالاستدلال برائحة التراب ، وسمت الكواكب الثابتة ، ومنازل القمر ، إذ لكل بقعة رائحة مخصوصة ، ولكل كوكب سمت يهتدي به[2] ، كما في قوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ))[3]. ويتبين مما تقدم أن هناك اختلاف بين قيافة الأثر والاهتداء في البراري ، إذ يتم الأخير استناداً إلى مظهر التربة ورائحة التراب والخصوصيات الطبيعية والمناخية لشتى المناطق ، بينما قيافة الأثر تتكون من اقتفاء آثار باطن القدم فوق الأرض[4].

٤- العيافة:

الأصل في العيافة للطير ، ومنه قيل فلان يتطير وهو شديد الطيرة ، ثم قد تجدهم يعيفون بالبوارح والسوانح وعَضَب(مكسور) القَرْن[5] ، وقال(الأزهري): العيافةُ زجر

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،ج٦، ص١٤٥- ص١٤٦.

(٢) القنوجي، أبجد العلوم ج٢، ص١٢٠، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٢٠٣.

(٣) سورة الأنعام، من الآية ٢٠٩.

(٤) توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، ص ٢٦٧- ص٢٦٨.

(٥) ابن قتيبة، غريب الحديث،ج٢،ص٥١٧. العَضَبُ النِّصْفُ أو أَكثَرُ من ذلك،ينظر: أحمد بن=

الطير، وهو أنّ يرى طائراً أو غراباً فيتطير، وإن لم يرَ شيئاً فقال بالحدس[1]، والزجر زجر الطير ليتيمن أو يتشاءم بطيرانه فإن طار إلى جهة اليمين تيمن أو إلى جهة الشمال تشاءم[2]. ، والعائف الذي يعيف الطير، أي يزجرها. وذلك أن يعتبر بأسمائها ومساقطها ومجاريها، يقال: عفت الطير أعيفُها عيافة[3]، أي زجرتها فتتسعد أو تتشأم، وأشتهر به العرب، وضمنوه في أشعارهم كثيراً[4]، كما في قول: الأعشى (أعشى بني ثعلبة):

ما تَعيفُ اليَومَ في الطَّيرِ الرَّوَحْ مِن غُرابِ البَيْنِ أَو تَيْسٍ بَرَحْ [5]

وقول علقمة بن عبدة التميمي[6]:

ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم [7]

وكانت العرب قبل الإسلام تتنبأ من حركات الطير، فكان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظر أول طائر يراه، فإن يسنح عن يساره فمر عن يمينه قال: هذا طير الأيامن فمضى في حاجته ورأى أنه يستنجِحُها، وأن سنح عن يمينه فمر عن يساره قال: هذا طير الأشائم فرجع وقال: هذه حاجة مشؤومة[8]. وكانوا إذا أرادوا سفر خرجوا من الغلس - آخر الليل - والطير في أوكارها على الشجر فيطيرونها فإن

=حنبل، مسند، ج١، ص١٣٧.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٩، ص٢٦١ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٢٤، ص ١٩٦.

(٢) الهيثمي، الزواجر، ج٢، ص٧٢٦.

(٣) ابن قتيبة، غريب الحديث، ج٢، ص٥١٥.

(٤) ابن الأثير، النهاية، ج٣، ص٢٣٠ ؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٩، ص٢٦١.

(٥) ينظر: الطبري، تهذيب الآثار مسند عمر بن الخطاب، ج ١، ص ١٩٨ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٣٤، ص١٩٦.

(٦) علقمة بن عبدة التميمي: شاعر مشهور يعرف بعلقمة الفحل وكان من شعراء الجاهلية من أقران إمرىء القيس، ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص١٣٨.

(٧) الشنقيطي، أضواء البيان، ج١، ص٤٨٤..

(٨) البيهقي، معرفة السنن والآثار، ج٧، ص٢٤١ ؛ وينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٢١٢؛ الهيثمي، الزواجر، ج٢، ص٧٢٦.

أخذت يميناً أخذوا يميناً وإن أخذت شمالا أخذوا شمالا[1].

والسبب في تيامنهم بالسانح وتشاؤمهم بالبارح ، لأنه لا يمكن رميه إلا بأن ينحرف إليه[2] ، ولم يكن هناك اتفاق بين العرب على أمر السانح والبارح ، يتبين ذلك من قول(ابن بري): العرب تختلف في العيافة ، يعني في التيمن بالسانح والتشاؤم بالبارح ، فأهل نجد يتيمنون بالسانح ، وأهل الحجاز يتشاءمون منه[3]. وقد جاء زجر الطير في قصائد شعراء قبل الإسلام منهم عمرو بن قميئة القائل:

ارى جارتي خفَتْ وخفَ نصيحَها وحب بها لولا النوى وطموحُها

فبيني على النجم سنيح نحوه واشأم طير الزاجرين سنيحها [4]

ولم تقتصر العيافة بالبوارح والسوانح على الطيور ، إنما تجاوز الأمر بهم إلى حيوانات أخرى ، إذ ينقل(المسعودي) قصة عُبيد الراعي الذي وقف ذات يوم مع ركب في فيفاء –صحراء– قفر ، وكانوا يريدون رئيس من بني تَميم إذ سنحت لهم ظِباء سنوحاً منكراً ثم اعترضت الركب ، فقال عُبيد:

الم تدرِ ما قال الظباءُ السوانحُ عطفنَ امام الرَّكْب والركْبُ رائحُ

فكرُّ الَّذي لم يعرفِ الزجر منهمُ وايقن قلبي انهنَّ نوائحُ

ثم شارفوا مقصدهم ، فألفَوا الرئيس قد نهشته أَفعَى فقضَت عليه[5]. كذلك كانوا يثيرون بعض الحيوانات ، فما أخذت ذات اليمين سموها سانحاً وما تياسر منها سموه بارحا ، وما أستقبلهم منها سموه الناطح ، وما جاءهم من خلفهم سموه القعيد. فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتبرك بالسانح ، ومنهم من يرى خلاف ذلك ، قال(المدائني): سألت رؤبة بن العجاج ما السانح قال: ما ولاك ميامنه قال: قلت

---

(١) الأبشيهي، المستطرف،ج ٢ ، ص ١٨٧- ص ١٨٨.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٢ ،ص٤٩١ ، وينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة ، ج٢ ، ص٢٦٢.

(٤) عمرو بن قميئة ، ديوان عمرو بن قميئة ، ص٤١٥.

(٥) المسعودي، مروج الذهب،ج٢ ،ص٣٠٥.

فما البارح قال: ما ولاك مياسره قال: والذي يجيء من قدامك فهو الناطح والنطيح والذي يجئ من خلفك فهو القاعد والقعيد ، وفي قول المفضل الضبي: البارح ما يأتيك عن اليمين يريد يسارك ، والسانح ما يأتيك عن اليمين يريد يسارك والسانح مايأتيك عن اليسار فيمر على اليمين ، وإنما اختلفوا في مراتبها ومذاهبها لأنها خواطر وحدوس وتخمينات لا أصل لها فمن تبرك بشيء مدحه ، ومن تشاءم به ذمه[1]. ومن اشتهر بإحسان الزجر عندهم ووجوهه حتى قصده الناس بالسؤال عن حوادثهم وما أملوه من أعمالهم سموه عائفاً وعرافاً ، وأشتهر في العرب جماعة يعرفون بذلك منهم عراف اليمامة ، والأبلق الأسدي ، والأجلح ، وعروة بن يزيد[2].

ويتمتع الزاجر بصفات ومقدرة ذكرها(ابن خلدون) في مقدمته: تتمثل بما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان ، والفكر فيه يعد مغيبه ، وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما يزجر فيه من مرئي أو مسموع ، وتكون قوته المخيلة قوية فيبعثها في البحث مستعيناً بما رآه أو سمعه فيؤديه ذلك إلى إدراك ما[3].

وعلى الرغم مما اعتقده العرب بالسانح والبارح ، إلا أن هناك مَنْ رفض هذه المعتقدات وما يتعلق بها ، إذ أودع الشاعر خُرَز بن لَوْذان السَّدوسي[4] مضامين ذلك الرفض في قوله:

فإذا الإشائمُ كالأيامنِ، والأيامنُ كالأشائم
وكذلك لا خيرٌ ولاَ شَرٌ على احَدٍ بدائم[5]

ولعل من المفيد ذكره أن العيافة المستمدة من مراقبة حركة الطيور كانت معروفة

---

(١) الزرعي، مفتاح دار السعادة، ج٢ ،ص٢٢٩.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) ج١، ص١٠٧.

(٤) خزز: شاعر يقال إنه قبل امرئ القيس،ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ج٢، ص٢٠٤.

(٥) الآمدي، المؤتلف والمختلف،ص١٠٢.

في الشرق القديم، فشاع استعمالها في بلاد آشور، وأسيا الصغرى، وسوريا وفلسطين. وأطلق الاكديون(٢٣٥٠-٢١٥٩ ق.م) على العراف المتخصص باستنباط الفأل من حركة الطير تسمية "داكل إِصوري"(حرفيا: مراقب الطير)، وكانت حرفة(زاجر الطير) ذات أهمية في البلاط الأشوري(١٥٣٠ — ٦١٢ ق.م)، بحيث أن الذي يمتهنها داخل البلاط، كان يؤدي القسم بالولاء إلى الملك[١].

وعند العرب قبل الإسلام لم تقتصر العيافة على عيافة الطير فحسب، وإنما اعتمدت على الحدس أيضا، فينقل(ابن إسحاق) رواية يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير: أن أباه حدثه أن رجلاً من لهب— قال (ابن هشام): ولهب . من أزد شنوءة — كان عائفاً، إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم. فأتى أبو طالب برسول الله(ﷺ) وهو غلام مع مَنْ يأتيه، فنظر إلى رسول الله(ﷺ) ثم شغله عنه شيء، فلما فرغ قال: أين الغلام؟ علي به. فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنهُ، فجعل يقول: ويلكم! ردوا علي الغلام الذي رأيت آنفاً، فو الله ليكونن له شأن. فانطلق أبو طالب به خوفاً عليه[٢].

وممن أشتهر بالزجر والعيافة بنو لِهْب بن أبجر بن كعب ووصفوا بأزجر العرب وأعيفهم[٣]. وفيهم يقول الشاعر:

تيممت لِهْباً ابتغى العلمَ عندهم وقد رُدَّ علم العائفين إلى لِهْب [٤]

ويوافقه قول شاعر آخر:

خبير بنو لهب فلا تك ملغياً مقالة لهبي إذا الطير مرّت [٥]

واشتهرت بنو أسد بالعيافةِ ووصفوا بها، وبالغوا في عيافة بني أسد حتى نسجت

---

(١) فاضل عبد الواحد، العرافة والسحر، ص ١٩٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣١٩ ؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص٢٤٢.

(٣) ينظر: الثعالبي، ثمار القلوب، ج١، ص١٢١ ؛ ابن عبد ربة، العقد الفريد، ج٣، ص٣٥٢ .

(٤) ابن عبد ربة، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٥٢ .

(٥) الشنقيطي، أضواء البيان، ج١، ص٤٨٤.

عنها الحكايات ، إذ قيل أن نفراً من الجن تذاكروا عيافة بني أسد فأتوهم ، فقالوا: ضلت لنا ناقة فلو أرسلتم معنا من يعيف ، فقالوا لغليم منهم: انطلق معهم فاستردفه أحدهم ثم ساروا ، فلقيهم عقاب كاسرة أحد جناحيها ، فاقشعر الغلام وبكى فقالوا: ما لك؟ فقال: كسرت جناحاً ، ورفعت جناحاً ، ما أنت بإنسي ولا تبغي لقاحاً[1]. وذكر أيضاً أن أعرابياً أضل نودا—ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل—له وخادماً فخرج في طلبهما إذ اشتدت عليه الشمس وحمى النهار فمر برجل يحلب ناقة ، قال: أظنه من بني أسد فسأله عن ضالته قال: أدن وأدلُك على ضالتك ، ثم قال ما سمعت حين خرجت قال بكاء الصبيان ونباح الكلاب وصراخ الديكة وثغاء الشاء ثم ارتفع النهار فعرض لي ذئب كسوب ذو ظفر ، ثم عرضت لي نعامة ذات ريش ، فقال: هل تركت في أهلك مريضاً يعاد؟ قال: نعم ، قال: ارجع إلى أهلك فذودك وخادمك عندهم فرجع فوجدهم[2].

ولم تقتصر العيافة على الرجال ، إنما احترفتها النساء أيضا ، يتضح مما نقله (ابن سعد في طبقاته) من روايات ذكرت المرأة التي عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب ، وقد اُختُلف فيها ، ولعلها قتيلة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل ، وكانت تنظر- النظر بعلم وفراسة - وتعتاف ، فمر بها عبد الله بن عبد المطلب فدعته يستبضع[3] ، لأنها رأت في وجهه نوراً ساطعاً ، وفي رواية أخرى إن المرأة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر وكانت مشهورة بجمالها ، ورأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى مَنْ أنت فأخبرها ، قالت: هل لك أن تقع علي وأعطيك مئة من الإبل فأبى[4].

---

(١) ينظر: ابن قتيبة ، غريب الحديث ، ج٢ ، ص٥١٧ ، ابن الأثير، النهاية ، ج٢ ، ص٣٢٠ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩ ، ص٢٦١.

(٢) الزرعي ، مفتاح دار السعادة ، ج٢ ، ص٢٢٩.

(٣) الاستبضاع: كان في الجاهلية ، وهو أن الرجل المرغوب في بضعه يقع على المرأة ويأخذ منها شيئاً ينظر: الزمخشري ، الفايق في غريب الحديث ، ج٣ ، ص٣١٠.

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص ٩٥- ص٩٦؛ وينظر: ابن الأثير ، النهاية ، ج٥ ، ص٧٧؛=

٥ - **الطرق والخط:**

الطرق خط يخط في الأرض[١] ، وهو ضرب من التكهن ، والطُّرّاق المُتكهنون ، والطوارق المُتكهنات كما في قول الشاعر:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع[٢]

وذُكر في تفسير الطرق أيضا أنه الضرب بالحصى تكهناً[٣]. واستطرقه طلب منه الطرق بالحصى ، وأن ينظر له فيه[٤] ، وهو نوع من الكهانة يضرب لمن يتصرف في أمر ولا يعلم مصالحه فيخبره بالمصلحة غيره من خارج ، وجسد هذا المضمون المثل القائل: (يطرق أعمى ، والبصير جاهل)[٥]. وقال (ابن قتيبة) إنما قيل له طرق لأنه يضرب على الأرض[٦] ، والطرق قيل الخط الذي يدعي به الاطلاع على الغيب ، وقيل انه الضرب بالحصى الذي يفعله النساء[٧]. أو أن يخلط الكاهن القطن بالصوف فيتكهن ، وفي قول آخر: الطرق أن يخط الرجل في الأرض بإصبعين ثم بإصبع ويقول ابني عيان أسرعا البيان[٨]. وابن عيان يَزْجُرُ بهما العَرَب كأَنَّهم يَرَوْنَ ما يُتَوَقَّعُ أو يُنتَظَرُ بهما عِياناً ، أو هُما خطان يخُطهما العائف في الأرض يزجر بهما الطير ، وقيل يخطان للعيافة ثم يقول ابنا والصواب ابني عيان أسرعا البيان ، وقيل ابنا عيان قدحان معروفان وإذ علم أن المُقامر يفوز بقدحه قيل جَرَى ابنا عِيانٍ ، وسما ابني عيان لأَنَّهم يُعايِنُون الفوز والطعام بهما[٩] ، وقيل كانت العرب تسمى نينيك الخطين ابني

=ابن منظور، لسان العرب ،ج٥ ،ص٢٢٠.

(١) ينظر: الزمخشري، الفايق في غريب الحديث ، ج٣،ص٣١٠.

(٢) ينظر: الفراهيدي، العين، ج٥ ص٩٩؛ ابن زكريا ، مقاييس اللغة ،ج٣، ص٤٥٠..

(٣) ينظر: الفراهيدي، المصدر نفسه والصفحة ؛ ابن زكريا ، المصدر نفسه والصفحة..

(٤) ابن منظور، لسان العرب،ج١٠ ،ص٢١٥.

(٥) الميداني، مجمع الأمثال ،ج٢ ، ص٤٢٣.

(٦) ابن الجوزي، غريب الحديث ،ج٢ ،ص٣٢ .

(٧) الشنقيطي، أضواء البيان ج١ ،ص٤٨٤.

(٨) المصدر نفسه، ص٤٨٤.

(٩) الزبيدي، تاج العروس، ج٣٥، ص٤٥٤.

عيان[1]. وفي رواية لابن عَبّاس قال: الخط الذي يخطه الحازي[2]، وهو علم قديم قد تركه الناس، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلواناً- أجراً- فيقول له: أُقعد حتى أخط لك وبين يدي الحازي غلام له معه ميل ثم يأتي إلى أرض رخوة فيخط فيها خطوطاً كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خَطّين خَطّين، وغلامهُ يقول للتفاؤل ابْنَيّ عيان أَسْرعا البَيان، فإن بقي خطان هما علامة النُجْح وقضاء الحاجة، وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة ويطلق عليه أسْحَم[3]. أما الرملة التي يخط عليها الحازي فتسمى الخَطيطَة وهي أرض رخوة[4]. نخلص مما تقدم ثمة ثلاث طرائق مارسها الكهان في الطرق: الأولى: الطرق بالحصى، تكون برمي الحصى، والثانية: بخلط القطن بالصوف، والثالثة: بخطوط الرمل، إلا أن المظان لا تقدم الشواهد التي تدلنا عن كيفية ممارسة الكهان للطريقتين الأولى والثانية، بحيث يستدل من خلالهما على الطالع، أو التنبؤ بالغيب. كما يمكن القول أن الخط في الرمل الذي مارسه الكهان قبل الإسلام أسس فيما بعد لما يسمى بعلم الرمل، الذي شاعت ممارسته ووضعت فيه المؤلفات في العصور الإسلامية[5].

وهناك ضرب من الخط، إذ يخط الحازي ثلاثة خطوط ثم يضرب عليهن بشعير

---

(١) الخطابي، غريب الحديث ج١، ص ٦٤٨.

(٢) الحازي: هو الحازر الذي يحرز الشيء ويقدره فيه بظنه، ويقال للذي ينظر في النجوم حزاء على هذا لأنه يظن بنظره فيها شيئاً ويقدره فربما أصاب (، والحَزّاء الكاهن ويقال فيه الحازي، وتحزى إذ تكهن، والحازي الذي ينظر في الأعضاء وفي خيلان الوجه يتكهن وفي المحكم حزى الطير حزوا زجروها، ينظر: العيني، عمدة القارئ، ج١، ص٨٧؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص ٣٦.

(٣) ابن الأثير، النهاية، ج٢، ص٤٧ الزبيدي، تاج العروس ج١٩، ٢٥٥ص؛ العظيم آبادي، عون المعبود، ج٢، ص١٠.

(٤) الزبيدي، المصدر نفسه والصفحة.

(٥) ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٩١٢، ٨٢٨، ج٢، ١٥٨٦؛ مصطفى بن عبد الله، إيضاح المكنون، ج١٨٨، ٣، ج ٥٥٣، ٤، ج٥٩٠، ٤.

أو نوى ويقول: يكون كذا وكذا ، وعُد من الكهانة[1]. ونهى الإسلام عن اعتقادات الجاهليين بالتنبؤ بالغيب بوسائل العيافة والخط ، روى قَطَنُ بن قَبيصَةَ عن أبيه قال: "سمعت رَسُولَ اللَّه(ﷺ) يقول: الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ من الْجِبْتِ"[2] ، أما تفسير قوله تعالى((أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))[3] ، وهو "ما روي عن ابن عباس أنه قال: أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ، فهو علم الخط الذي يخط في الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور[4]. ويؤكد ذلك حديث مُعَاوِيَةَ بن الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قال: قلت يا رَسُولَ اللَّه إني حَدِيثُ عَهْدٍ بجاهلية وقد جاء الله بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قال فلا تَأْتِهِمْ قال وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قال ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ في صُدُورِهِمْ فلا يَصُدَّنَّهُمْ ، قلت: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ ، قال: كان نَبِيٌّ من الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ[5] ، وقيل أن النبي هو إدْرِيس(عليه السلام) كان يُخط بأصبعيه السبَّابة والوسطى في الرمل ثم يَزْجُرُ ، فمن وافق خطه فذاك. قال الخطابي: هذا يحتمل الزجر عنه إذ كان عَلَما لنبوته[6] ، وقيل خالد بن سنان. وكان خط ذلك النبي معجزة وعلما لنبوته وقد انقطعت نبوته[7] ، وفي رواية قيل دانيال وقيل إدريس(عليهما السلام)(يخط) أي بأمر إلهي ، أو علم لدني (فمن وافق) أي خطه (فذاك) أي مصيب وإلا فلا[8].

٦ - التطير والفال:

أصل التطير إنما كان من الطير ، إذا مرَّ بارحاً أو سانحاً ، وهي(العيافة) كما سبق ذكر ذلك ، ولكن في مفهوم آخر للتطير: يعني التشاؤم الدال على التطلع إلى

---

(١) ابن الأثير، النهاية ،ج٢ ،ص٤٧؛ العظيم آبادي، عون المعبود ، ج٣، ص١٠.

(٢) أبو داود، سنن، ج ٤، ص١٦.

(٣) سورة الأحقاف، الآية ٤.

(٤) الرازي، التفسير الكبير، ج٢٨ ، ص٥.

(٥) مسلم، صحيح، ج١، ص ٣٨١.

(٦) الشوكاني، نيل الاوطار ،ج٧، ص٣٧٨.

(٧) المناوي، فيض القدير ج٤ ،ص٥٤٥.

(٨) المتقي الهندي، عون المعبود، ج١٠ ، ص٢٨٧.

المستقبل القريب بفأل سيء ، فكان العرب يتطيرون بأشياء كثيرة إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم أو الأعضب أو الأبتر زجروا عند ذلك وتطيروا عندها ، إلا أن زجر الطير هو الأصل ومنه اشتقوا التطير[1].

وتطايروا من العطاس ، وسبب تطيرهم منه أن دابة يقال لها العاطوس كانوا يتشاءمون بها[2] ، وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا له عمرا وشبابا ، وإذا عطس من يبغضونه قالوا له وريا وقحابا - والورى كالرمي داء يصيب الكبد فيفسدها ، والقحاب كالسعال والزنا - ، وتشاءموا من العطسة الشديدة ، واعتقدوا أنها داء ، ويكره أحدهم أن يعطس ويود أنه لم يصدر منه لما في ذلك من الشؤم ، وكان العاطس يحبس نفسه عن العطاس ويمتنع من ذلك جهده[3]. وقد جسد امرؤ القيس التشاؤم من العطاس بقوله:

وقد اغتدى قبل العُطَاسِ بهَيْكلٍ   شديدِ مَشَكُّ الجنبِ فَعْمِ المُنَطَّقِ[4]

يتضح من قوله أراد يتنبه للصيد قبل أن يتنبه الناس من نومهم ، لئلا يسمع عطاساً فيتشاءم منه[5]. كما إنهم تشاءموا من الكدسة ، وهي عطسة البهائم ، وسُمي العرب من الذي يتطير به من الفأل والعطاس وغيرهما بالكادس[6].

وتجسدت في ذهنية العربي قبل الإسلام اعتقادات ارتبطت ببعض الحيوانات يمكن أن يستدل منها على طالعه ، فهناك علامات ذات قيمة دلالية توحي أما إلى التفاؤل أو التشاؤم منها ما أقترن بالظباء ، فقد تطايروا بمرور الظباء[7] ، وربما مبعث

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٣، ص٤٣٨.

(٢) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص ٤٥٦ .

(٣) الزرعي، مفتاح دار السعادة، ج٢، ص٢٦٢- ص٢٦٣.

(٤) ديوان امرؤ القيس، ص ١٧٢ والهيكل: الفرس الضخم المرتفع.

(٥) ينظر: المصدر نفسه والصفحة، شرح د. محمد أبو الفضل إبراهيم محقق الديوان لبيت الشعر المذكور.

(٦) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص ٧٣٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٩٢ .

(٧) ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٢١٥.

ذلك ماترسخ في معتقداتهم ، إن الظباء من مطايا الجن[1] ، وكانت لدلالة بعض الأخبار التي ارتبطت بالناقة جعلت منها مبعث شؤم ، فقد اقترنت الناقة في نفوس العرب ببعض الحروب منها حرب البسوس بين بكر وتغلب حتى أنهم ضمنوا هذا الشؤم في المثل القائل: "أشأم من البسوس"[2] ، وخصوا الناقة التي كانت السبب وراء الاقتتال في قولهم: "أشأم من سراب– اسم الناقة–"[3] أو ربما أن الناقة نفرت براكبها فذهب في الأرض وضمنوا ذلك في المثلين "أشأم من ورقاء" ، وقولهم: "أشأم من زرقاء"[4] ، وتجسد هذا الشؤم في بعض إشعارهم إذ قال أحدهم:

وما الشؤمُ في نَعْبِ الغُراب ونَعْقِه   وما الشؤمُ إلا ناقةٌ وبعيرُ[5]

ومن شواهد ترسخ معتقد التشاؤم من الناقة في نفوس العرب والتي لها دلالة على التنبؤ بالغيب ، كان احدهم إذا رأى الجمل موقرا حملا – حمل ثقيل – تشاءم ، فإن رآه واضعا حمله تيمن[6] ، وتشاءموا من شهر شوال قيل سُمي بتشويل لبن الإبل وهو توليه وأدباره ، سمي بذلك لشولان الناقة فيه بذنبها ، وكانت العرب تتطير من عقد المناكح فيه ، وتقول إن المنكوحة تمتنع من ناكحها كما تمتنع طروقة الجمل – الأنثى - إذا لقحت وشالت بذنبها[7] ، وعندما جاء الإسلام استحب التزوج والتزويج في شوال واستحباب الدخول فيه ،إذ جاء في قول السيدة عائشة: "تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ في شَوَّالٍ وَبَنَى بِي في شَوَّالَ فأيُّ نِسَائه كان أحْظَى عَنْدَهُ مِنِّي"[8] ، وقصدت السيدة عائشة بهذا الكلام رد ما كانت الجاهلية عليه من كراهية

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج١، ٣٠٩.

(٢) ابو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص ٥٣٧.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٣١٠ ؛الميداني، مجمع الأمثال، ج١ ،ص٣٩٠.

(٤) ابو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص ٥٣٧.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٣١٠.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٢١٥.

(٧) ابن منظور، لسان العرب،ج١، ص٣٧٧.

(٨) ابن ماجه، سنن، ج١ ، ص٦٤١ ؛الطبراني، المعجم الأوسط،ج٧، ص٩٤.

الزواج والتزويج والدخول في شوال وكانوا يتطيرون بذلك لما في اسم شوال من الاشالة والرفع[١] ، وأن النبي(ﷺ) تزوّج أمّ سَلَمَةَ في شوَّال[٢].

وكان الغراب أكثر الحيوانات التي تَطيّروا منها ، فإنه أكثر من جميع ما يُتطيرُ به في باب الشؤم ، وكلما ذكروا مما يتطيرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه ، وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره ، ثم إذا ذكروا كلّ واحدٍ من هذا الباب لا يمكنهم أن يتطيروا منه إلا من وجه واحد ، والغراب كثير المعاني في هذا الباب[٣] ، وسبب تطيرهم منه لسواده إن كان أسود ، ولاختلاف لونه إن كان أبقع ، ولأنه غريب يقطع إليهم ، ولا يوجد في موضع خيامهم[٤] ، فقد تطايروا منه إذا صاح صيحة واحدة فإذا ثنى تفاءلوا به[٥] ، وفي قول آخر إن العرب يتشاءمون إذا نعب الغراب مرتين ، قالوا: آذن بشر وإذا نعب ثلاثاً قالوا: آذن بخير[٦] ، والقول الأخير يوافق اعتقاد الفُرس إذا صاح الغراب مرتين فهو شر ، وإذا صاح ثلاث مرات فهو خير على قدر عدد الحروف[٧] ، وسميَّ صوته نعق الغراب ينعق ، وإذا مرت عليه السِّنون الكثيرة وغلظ صوته قيل شحَج يشحَج شحيجاً[٨] ، ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه اسمه الغربة والاغتراب والغريب ، وليس في الأرض بارحُ ولا نَطيح ولا قعيد ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغرابُ عندَهم أنكدُ منهُ ، يرون أن صياحَه أكثر أخباراً ، وأن الزَّجر فيه أعم[٩].

وتشاءم العرب بأنواع أخرى من الغربان منها العقيق: وهو قدر الحمامة على

---

(١) النووي، شرح مسلم،ج٩،ص٢٠٩ .

(٢) ابن ماجه، سنن،ج١،ص٦٤١ .

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٢، ص٤٢.

(٤) المصدر نفسه،ج٣، ص٤٣٨ .

(٥) المصدر نفسه،ج٣،ص٤٥٧.

(٦) ابن حجر، فتح الباري،ج٤، ص٢٨ .

(٧) المصدر نفسه،ج٤، ص٢٨ .

(٨)المصدر نفسه،ج ٣، ص٤٣٢.

(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٦، ج٣،ص٤٣٩ .

شكل الغراب قيل سميَ بذلك ، لأنه يعق فراخه فيتركها بلا طعام ، وتشاءموا من الغراب الابقع ، وهو الذي في صدره بياض أو يخالط سواده بياض وهو أخبثها[1]. وفي جملة أسباب تشاؤم العرب من الغراب ، أنه كان يضر بإبلهم[2] ، ولقبوه ابن دأية ،لأنّه إذا وجد دَبَرَةً في ظهر البعير أو في عنقه قرحة سقط عليها ونقرهُ وأكله حتّى يبلغ الدّايات[3] ، وجسد عنترة في شعره ، صورة للبعير المقيّد ذي الدَّبر إذا وقعت عليه الغربان بقوله:

فلو كنت معنوراً بنصرك طيّرت صقوري غربان البَعيرِ المقيدِ[4]

وليبعدوا الغراب عن البعير إذ كان بظهره دَبَرَةٌ ، غرزوا في سنامه إمّا قوادمَ ريش أسود ، وإمّا خرَقاً سُوداً لتفزع الغِرّبانُ منْهُ ، ولا تسقط عليه كما في قول الشاعرِ ذو الخِرَق الطُهوي[5]:

لما رَأتْ إبلي حطت حمولتها هَزْلى عجافاً عليها الرِّيشُ والخِرَقُ[6]

ومن المحتمل إن عادة الغراب في أكل أجسام الموتى قد ساعد على نظرة الناس إليه في خوف ورهبة ، إذ كانوا يعتقدون انه في وسعهم أن يكتسبوا صفات الميت عن طريق أكل جزء من جسده[7] ، ويدعم ذلك أن العرب عندهم عار أكل لحم الغراب ، الغراب ، لأنه يأكل اللحوم ، وقد ضمن وَعلَة الجرمي هذا المعتقد في قول:

فما بالعار ما عَيَّر تمونا شواءَ الناهضاتِ مع الخبيص

---

(١) العيني، عمدة القارئ، ج١٠، ص١٧٩.

(٢) جواد علي، المفصل،ج٦، ص٧٩٥.

(٣) الحيوان ج٣، ص٤١٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٤١٦.

(٥) الخرق الطهوي: اسمه دينار بن هلال وقال شارح شواهد المغني وفي المؤتلف والمختلف للآمدي أن اسمه قرط شاعر جاهلي سمي بذلك لقوله جاءت عجافا عليها الريش والخرق، ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ج١، ص٦١.

(٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٧) فريزر، الفلكلور في العهد القديم،ج٢، ص١٣٥ .

فمـا لحـمُ الغـراب لنـا بـزادٍ ولا سَـرَطانُ انهـارِ الـبريص[1]

ولشدة تشاؤم العرب بالغربان ، أمروا بقتلها في الحلِّ والحرام وسمِّيت بالفسق ، وهي فواسق اشتق لها من اسم إبليس[2] ، وقيل سمي فاسقاً لتخلفه عن نوح(عليه السلام) حين أرسله ليأتيه بخبر اليابسة ، فترك أمره وسقط على جيفة[3]. ومن اجل تفادي شؤم الغراب عملت قبيلة عك اليمانية إذا خرجوا حُجَّاجاً قبل الإسلام ، قدّموا أمامهم غُلامين أسودَّين من غلمانهم فيقولان: نحن غُرَابا عَكّ ، فتقول عَكٌّ من بعدهما:

عَـكٌّ إليـك عانيـةْ عبـادُك اليَمانيـةْ

كَيْمَـا نَحُـجَّ الثانيـةْ علـى السَـداد الناجيـةْ[4]

وتلقي قصة الشاعر أمية بن أبي الصَّلت مع الغراب إن صحت ضوءاً على مدى شؤم العرب من الغراب ، وذلك عندما تنبئ من خلال حركاته على موت أمية ، جاء فيها ، قيل إن أمية بينما هو يشرب مع إخوان له في قصر غيلان بالطائف ، سقط غراب على شرفة القصر فنعب ، فقال: بفيك الكثكث وهو التراب ، فقال أصحابه ما يقول قال: يقول إنك إذا شربت الكأس التي بيدك فأنك ستموت ، ثم نعب نعبة أخرى ، فقال لهم أمية: زعم أنه يقع على المزبلة فيستثير عظما فيبتلعه ثم يموت فوقع الغراب على المزبلة فأثار العظم وابتلعه فمات ، فانكسر أمية ووضع الكأس من يده وأمتنع عن شربه ، فألح عليه أصحابه فشربه فمال في شق وأغمي عليه ثم فاق ثم قال: لا بريء فاعتذر ولا قوي فانتصر ، ثم خرجت نفسه[5] ، واغلب الظن أن هذه الحادثة ومثيلاتها في حياته أو عند موته ، من باب القصص ليدلل بها على أن

---

(١) الجاحظ، الحيوان،ج٢، ص٣١٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) المناوي، فيض القدير،ج ٣،ص ٤٥٤.

(٤) ابن الكلبي، الأصنام، ص٧؛ ابن حبيب، المحبر، ص ٣١٢.

(٥) ينظر: أبو الفرج الأصفهاني،الأغاني، ج٤ ، ص١٣٩ ـ ١٤٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٩، ص ٢٢٧.

أمية كاد يكون نبيا ، و لم تكن من الحق والصدق بشيء[1].

ولو أمعنا النظر في اعتقادات العرب قبل الإسلام التي اقترنت بالغراب نجدها لا تختلف عن اعتقاد العراقيين القدماء لاسيما البابليون في الكثير منها ، إذ يرون في بعض حركاته وسلوكه ، ما يعبر عن سوء الطالع أو حسنه على الإنسان[2]. وقد ضمت نصوص الفأل البابلية فؤولاً خاصة بالغراب ، منها اختص بموضوع نعيق الغراب ووقوفه ، ودخوله البيت وخروجه ، وحركاته ، وفؤول تتعلق بعشه[3].

وتطاير العرب من طائر الأخيل ، وهو طائر أخضر على جناحيه لُمعة تخالف لونه سمي بذلك للخيلان ، وقيل للأخيل الشقراق[4] ، ويسمونه مُقطع الظهور ، يقال: إذا وقع على بعير وإن كان سالماً يئسوا منه ، وإذا لقي المسافر الأخيل تطير ، وأيقن بالعقر إذ لم يكن موت في الظهر[5] ، وأودعوا هذا الاعتقاد في أمثالهم : أشأم من أخيل[6] ، ولاقيت أخيلا[7] ، يقال إذا دعوا على المسافر[8]. وكان العرب يسمّون كل طير تتطير منه الإبل طير العراقيب كأنه يعقرها ويعرقبها[9] ، حتى قيل فيه المثل: أشأم من طير العراقيب[10] ، وإذا رأى أحدهم طيراً منها قيل اتيح له ابنا عيان كأنه قد عاين القتل أو العقر[11].

وتشاءم العرب من الجرادة ، فقد زعم(الأصمعي) أنَّ النَّابغةَ الذبياني خرج مع

---

(١) ينظر: الدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي، امية بن ابي الصلت، حياته وشعره، ص٧٠.

(٢) فوزي رشيد ، "الغراب وسيلة من وسائل كشف الطالع"، ص ٤٠- ٤١.

(٣) ينظر: هيثم احمد حسين الجواري، نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية، ص٥٩ – ص٧٣.

(٤) الدّميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١ ، ص٢٩٥ .

(٥) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢ ، ص ١٨١.

(٦) ابن منظور، لسان العرب ٢٢٩، ١١.

(٧) الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢ ، ص١٨١.

(٨) الثعالبي، ثمار القلوب، ج ١ ، ص٤٥٢.

(٩) المصدر نفسه، ج ١ ، ص٤٥٢.؛ وينظر: الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج١ ، ص١٨٢.

(١٠) الميداني، جمهرة الأمثال، ج١، ص٥٥٨.

(١١) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج ١ ، ص١٨٢.

زَبَّان بن سيّار[1] يريدان الغزو فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النَّابغةَ وإذا على ثوبه جرادةٌ تجرد ذاتُ ألوان فتطَّير وقال غيري الذي خرج في هذا الوجه[2]. لعل تشاؤمهم من جرد الجراد لأنه ذو ألوان[3]. أو ربما لأنه مبعث القحط والجوع فسمي جراد لأنه يجرد الشجر والنبات فضمنوا هذا الاعتقاد في المثل القائل: "أفسد من الجراد"[4].

وكان نقص الخُلقة للإنسان أو الحيوان مدعاة للتشاؤم والطالع السيئ في اعتقادات العرب ، وتتضح معالم هذا التشاؤم إذا عاينوا الأعور من الناس ، أو البهائم ، أو الأعضب ، أو الأبتر ، لذا زجروا عند ذلك وتطَّيروا عندها مثلما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال[5].

ومن المعطيات التي خلفتها اعتقادات العرب بالتشاؤم سَّمت العرب المنهوش أو الملدوغ بالسَّليم ، والبّريّة والمهالك من الفيافي بالمفازة ، وكنّوا الأعمى أبا بصير ، والأسود أبا البيضاء ، وسمّوا الغراب بـ(حاتم) إذ كان يحتم الزّجر به على الأمور[6] ، مثلما جاء في قول المرقش من بني سدوس:

ولقد غدوت وكنت لا   اغدُو على واقٍ وحاتمِ[7]

ولأنه حديد البصر فقالوا عند خوفهم من عينه الأعور كنايةً[8] ، وقيل تسميه بالأعور تطيراً منه في قول الشاعر:

وإذا تُحَلُّ قتودها بتنوفةٍ   مَرَّت تليح من الغُرابِ الأعورِ[9]

---

(1) زبان بن سيار بن عمرو الفزاري شاعر جاهلي، ينظر: الضبي، المفضليات، ج١، ص ٣٥١ .

(2) الجاحظ، الحيوان، ج ٣،ص٤٤٧.

(3) المصدر نفسه، ج٣،ص٤٣٩.

(4) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص ٢٨٣.

(5) الجاحظ، الحيوان، ج٣،ص٤٣٨.

(6) المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٦، ج٣، ص٤٣٩.

(7) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٣٦، ص٤٣٩ .

(8) المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٦، ج٣،ص٤٣٩ .

(9) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٢٨ .

وسميَّ بـ(غراب البَين) ، وهو على نوعين :أحدهما غربان صغار معروفة بالضعف واللُؤم ، والآخر كُلُ غرابٍ يُتَشاءَم به ، وإنما لزمه هذا الاسم ، لأن الغراب إذا بان أهلُ الدار للُنجعة وقع في مرابض بيوتهم يلتمس ويتقمّم فيتشاءمون بـه ويتطَيرون منه إذا كان لا يعترى منازلهم ، إلا إذا بانوا فسمَّوه غراب البين[1]. وربما سبب تسميته هذه لبينة عن نوح(عليه السلام) حين أرسله من السفينة ليكشف خبر الأرض فلقي جيفة فوقع عليها ولم يرجع إلى نوح[2]. ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم لـه مخافة الزَّجر والطَيرَةَ ، وعلموا انه نافذ البصر صافي العين حتى قالوا أصفى من عينِ الغراب ، وقالوا: أصفى من عين الدِّيك[3].

ومن اعتقاداتهم التي تشاءموا بها ولها أبعاد غيبية ، إن من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره. فإن التفت تطير له ، وفسره بالعودة. فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذي يريد العود[4]. ومن اعتقاداتهم إن صاحب الفرس المهقوع إذا ركبه فعرق تحته أغتلمت امرأته ، وطمحت إلى غيره - والهقعة دائرة تكون بالفرس وربما كانت على الكتف في الأكثر - ، وهي مستقبحة عندهم ، قال بعضهم لصاحبه ينبهه على ذلك:

إذا عـرق المهقـوع بـالمرء انعظـت حليلتُـهُ وازداد حَـرًّا عجاتهـا[5]

ولعل شدة خوفهم على الذكر جعلهم لا يتيمنون بالبكر الذكر ، فإن كان البكر ابن بكر تشاءمُوا به ، فإن كان البكر ابن بكرين فهو في الشؤم[6]. واقترنت بالتنبؤ في الغيب اعتقادات تفاءلوا بها ، منها: غزو أعداءهم من شق اليمين ، إذ اعتقد العرب إن طبع الإنسان داعيةٌ إلى الهرب من شق الشمال ، لذا حبوا أن يأتوا أعدائهم من

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٢ ، ص٣١٥ ؛ وينظر: الميداني، مجمع الأمثال ج١ ، ص٣٨٢.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٤ ، ص٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢ ، ص٣١٥ ؛ وينظر: الميداني، المصدر نفسه والصفحة.

(٤) ينظر: الأبشيهي، المستطرف ج٢ ، ص ١٧٩ ؛ الالوسي، بلوغ الأرب، ج ٢ ، ص ٣٢٨.

(٥) الالوسي، بلوغ الأرب، ج٢ ، ص٣٢٣- ٣٢٤ انعظت: ازداد شبقها ، والعجات: مثل كناب مابين الخصية وحلقة الدبر.

(٦) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص ١٧٤.

شق اليمين[١] ، واشتقوا من اليد العُسْرى العُسْر ، فلما سَموها الشمال أجْرَوْها في الشؤوم ، ولكي يتفاءلوا سموْها اليسرى على نفي العُسْر والنكد[٢]. ولعل تشاؤمهم باليد اليسرى متأتي من أن الأعسر يوحي بتبدل المشاعر ، لأن يده اليسرى أخذت مكان اليمنى[٣]. وعلى الرغم مما قيل في مبعث الاعتقاد بفأل اليمين الحسن والأيسر السيئ. فإننا نجد جذورهُ ترجع إلى العصر البابلي القديم(٢٠٢٥- ١٧٠٧ ق.م) إذ خلف لنا نص يرجع إلى هذا العهد عن الفأل بحركات الدخان المتصاعد من المبخرة ، يلاحظ العراف اتجاه الدخان ويحكم حسب الجهات فاليمين فأل حسن والأيسر سيئ[٤]. وكذلك ما نقرأه في نصوص الفأل البابلية جاء فيها: إذا مر ثعبان من جهة الرجل اليسرى إلى جهة الرجل اليمنى فسيكون فألاً سيئاً[٥]. لذا فإنسان العراق القديم تفاءل بجهة اليمين وعدها مبشرة بالخير بخلاف جهة اليسار ، وهذا الإيمان بالجهات بقي متوارثاً من قديم الزمان إلى يومنا الحاضر[٦].

وكانت خطوط الكف احد وسائل العرب للتنبؤ بالغيب ، فتفاءلوا باليَسَرَة وهي أسرار الكفّ إذ كانت غير مُلصقة تُستحب ، وقال(الأزهري): اليَسَرَة تكون في اليمنى ، واليُسرى هو خط يكون في الراحة كأنها الصليب ، وقيل: اليسرة فُرْجَةُ مابين الأسَّرة من أسرار الرَّاحَة يُتَيَمَّنُ بها ، وهي من علامات السخاء[٧].

ومن باب التفاؤل بمستقبل أولادهم ، كانت العرب تسميّ بـ(كلب وحمار وحجر

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٥، ص٥١٥- ص٥١٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٥١٦.

(٣) توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، ص ٢٦٧- ص٢٦٨.

(٤) سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم،ص٥٠- ص٥١)، وعن التفال باليمين والتشاؤم باليسار، ينظر: هيثم احمد حسين الجواري، نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية، ص١٦٢، ص١٧٦.

(٥) هاري ساكز، عظمة بابل، ص ٣٦٠ .

(6) Langden, S., "A Babylonian Tablet on The Interpretation of Dreams, MJ, vol.8/2, 1917, p.119

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج١٤، ص ٤٦٣ .

وجُعل وحنظلة وقرد) ، وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج يتعرّض لزجر الطير والفأل فإن سمع إنساناً يقول حجراً أو رأى حجراً سمىً ابنه به وتفاءل فيه الشدّة والصلابة والبقاء والصبر وأنه يحطم ما لقي ، وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئباً تأول فيه الفطنة والخبّ والمكر والكسب ، وإن كان حماراً تأول في طول العمر والوقاحة والقوة والجَلَد ، وإن كان كلباً تأول فيه الحراسة واليقظة وبُعد الصوت والكسب وغير ذلك[1].

ولتطلّع العرب قبل الإسلام إلى نظرة فيها ما يبعث على التنبؤ بالتفاؤل ، عمدوا إلى اعتقادات يرون فيها نظرة مستقبلية متفائلة ، فمثلاً إذا خرجوا إلى الأسفار أوقدوا ناراً بينهم وبين المنزل الذي خرجوا منه تفاؤلاً بالرجوع إليه[2]. ومن اعتقاداتهم أن النساء منهم كن إذا غاب عنهن مَنْ يحببنه أخذن تراباً من موضع قدمه وموضع رجله ، وزعمن أن ذلك أسرع لرجوعه إذ قالت امرأة من العرب:

اخذت تراباً من موطئ رجل ... غداة غدو كيما يئوب مسلما [3]

ومن اعتقادات المرأة للفأل في طلب الزواج ، إن المرأة كانت إذا عسر عليها خاطب النكاح ، نشرت جانباً من شعرها وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور وحجلت على إحدى رجليها ويكون ذلك ليلاً وتقول: يالكاح. أبغي النكاح قبل الصباح! فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب ، قال الشاعر:

تصّنعي ما شئت ان تصنعي ... وكحلي عينين او، لا ا فدعي!

ثم احجلي في البيت او في المجمع ... مالك في بعل اري من مطمع[4]

ومن الاعتقادات التي ارتبطت بالتنبؤ ، إن قسماً منهم إذا رحل الضيف أو غيره عنهم وأحبوا أن لا يعود كسروا شيئاً من الأواني ، وهذا المعتقد على غير عادة

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٢، ص ٣٢٤ .

(٢) الالوسي، بلوغ الأرب ج٢ ، ص٣٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٢ ، ص٣٢٩.

(٤) الالوسي، بلوغ الأرب، ج٢ ، ص٣٣٠.

العرب في الكرم لذا استهجنه بعضهم بالقول:

ولا نكسر الكيزان في إثر ضيفنا ولكننا نكفيه زاداً ليرجعا[1]

وعلى الرغم من اعتقاد العرب بالتطير فإن هناك مَنْ ينكر التطير منهم زَبّان بن سّيار هو من دهاة العرب وساداتهم ، إذ ضمن هذا الإنكار في قوله:

تعلّمْ أنّه لا طيْرَ إلا على متطير وهو الثبُور

بلى شيء يوافق بعض شيء أحايينا وباطله كثيرُ [2]

ومن ينكر الطيرة كذلك الحارث بن حلزة إذ يوصي بشعره قائلاً:

أيها المزمِعُ ثم انثنى لا يثنيك الحازي ولا الشاحجُ

ولا قعيد اعضبُ قرنهُ هاج له من مَربعٍ هائجُ [3]

٧- التنبؤ بتكليم الأصنام:

يُعد التنبؤ بتكليم الأصنام من التكهن ، وذلك بواسطة وسيط ، أي مكالمة صنم بوساطة تابع ، ويتم ذلك في المعابد. وقد زعموا أن هناك قوة تقف وراء الكاهن لاستلهام الوحي منه على هيأة شخص غير منظور ، أطلقوا عليه التابع ، لأنه يتبع الكاهن ويأتيه بالأسرار[4]. ويقوم الكاهن بتكليم الصنم ، ويفسرون للسائلين الهمهمة أو أو الأصوات الصادرة من تلك الأصنام ويتكلمون على ألسنتها بما يُلائم السائل مقابل نذر وهدايا يقدمونها إلى الكهنة أو السدنة. وهذا النوع من التنبؤ معروف عند اليونان والرومان والبابليين والأشوريين والعبرانيين ، ويؤلف ركناً من الديانات القديمة[5].

وعرف الأقباط في مصر قبل أن يتنصروا هذه الاعتقادات ، فزعموا إن أرواح آلهة

---

(١) القرطبي، الجامع، ج١٦، ص١٨١.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٤٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٤٩ - ص٤٥٠.

(٤) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ص ١٥٥.

(٥) جواد علي، المفصل، ج٦، ص ٤١٠.

تنزل فتصير في الأصنام فتتكلم الأصنام لذلك ، وإنما كانوا يخدعون عوامهم بذلك ، ويسترون العلة التي بها كانت تتكلم أصنامهم ، وهي بصنعة كان كهانهم يصنعونها وعقاقير يستعملونها وحيل يحتالونها حتى تصفر وتصيح بصنعة يحكون بها من خلقة الصنم كخلقة الطير أو البهيمة ، فيكون صوت ذلك الصنم مثل صوت جنسه من الحيوان ، ثم يترجم كهانهم ذلك الصوت من الصنم على ما يريدون القضاء به ، مما قد اتفقوا به من حساب النجوم وعلم الفراسة ويخبرون أن الأرواح إذا خرجت صارت إلى هذه الألهة التي هي الكواكب فتغسلها وتطهرها ، إن كانت لها ذنوب ثم تصعد إلى الفردوس حيث كانت ، ويقولون أن أنبياءهم كانت تكلمهم الكواكب وتعلمهم أن الأرواح تنزل إلى الأصنام فتسكن فيها وتخبر بالحادث قبل أن يحدث[1].

أما عند العرب قبل الإسلام فلا تُفَصِّل الروايات عن التنبؤ بتكليم الأصنام ، إلا ما جاء في روايات عن التنبؤ ببعثة النبي محمد(ﷺ) ، إذ رُوى هِشَامُ بن مُحَمَّد بن السَّائب الْكَلْبِيُّ بسنده عن مَازِنِ بن الْغَضُوبَة قوله: "كنت أَسْدُنُ صَنَمًا يُقَالُ له بَاجِرُ بِسَمَائِلَ قَرْيَةٌ بِعُمَانَ ، فَعَتَرْنَا – ذبحنا – ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَهُ عَتِيرَةً وَهِيَ الذَّبِيحَةُ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ الصَّنَم ، يقول: يا مَازِنُ اسْمَعْ تُسَرَّ ظَهَرَ خَيْرٌ وَبَطَنَ شَرٌّ بُعِثَ نَبِيٌّ من مُضَرَ بِدِينِ اللَّه الْكَبِيرِ الْكَبِرْ فَدَعْ نَحِيتًا من حَجَرٍ تَسْلَمْ من سَقَرَ قال فَفَزِعْتُ لِذَلِكَ فقلت إِنَّ هذا لَعَجَبٌ ، ثُمَّ عَتَرْتُ بَعْدَ أَيَّامٍ عَتِيرَةً فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ الصَّنَمِ يقول أَقْبِلْ إلي اقبل تَسْمَعْ ما لا تَجْهَلْ هذا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ جاء بِحَقٍّ مُنْزَلْ فَآمِنْ به كَيْ تَعْدِلَ عن حَرِّ نَارٍ تُشْعَلُ وَقُودُهَا بِالْجَنْدَلْ ، فقلت إِنَّ هذا لَعَجَبٌ وَإِنَّهُ لَخَيْرٌ يُرَادُ بِي ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْحِجَازِ ، قُلْنَا ما الْخَبَرُ وَرَاءَكَ ، قال: ظَهَرَ رَجُلٌ يُقَالُ له أَحْمَدُ يقول لِمَنْ أتاه أجيبوا دَاعِيَ الله ، قلت هذا نَبَأٌ ما قد سمعت فَسِرْتُ إلى الصَّنَمِ فَكَسَّرْتُهُ "[2]. وعلى الرغم من المبالغات الواضحة في متن الرواية ، إلا أنها تكشف عن أساليب السدنة في الخداع ، وتنظيم كلام مسجوع على لسان الصنم. وفي

---

(١) اليعقوبي، تاريخ،ج١ ، ص١٨٨.

(٢) الطبراني، الأحاديث الطوال، ج١ ، ص٣٢٢؛ المؤلف نفسه،المعجم الكبيرج٢٠ ، ص٣٣٨

رواية ذكرها (ابن إسحق) فعلى الرغم من مسحة الخيال الواضحة فيها، إلا أنه يمكن أن نتصور منها اعتقادات قسم من العرب قبل الإسلام بتكليم الأصنام لتُطلعهم على أمور غيبية جاء فيها: أن رجالا من خثعم كانوا يقولون إن مما دعانا إلى الإسلام إنا كنا قوما نعبد الأوثان فبينما نحن ذات يوم عند وثن لنا إذ أقبل نفر يتقاضون إليه يرجون الفرج من عنده لشيء شجر بينهم إذ هتف بهم هاتف من الصنم فجعل يقول:

ايها الناس ذوي الأجسام من بين اشياخ إلى غلام

ما انتم وطائش الأحكام ومسند الحكم إلى الأصنام[1]

وكذلك ما جاء في رواية أوردها(ابن سعد) بسنده عن سعيد بن عمرو الهذلي عن أبيه قال: حضرت مع رجال من قومي صنمنا سواع، وقد سقنا إليه الذبائح فكنت أول من قرب إليه بقرة سمينة فذبحتها عند الصنم، فسمعنا صوتا من جوفها العجب العجب كل العجب خروج نبي يحرم الزنا ويحرم الذبح للأصنام وحرست السماء ورمينا بالشهب فتفرقنا وقدمنا [2]. ونستدل أيضا من رواية أوردها (الجاحظ) أن تكليم الأصنام أو ما يسمى بالهمهمة لم تكن واسعة الانتشار عند العرب قبل البعثة النبوية، وإنما اقتصر هذا الاعتقاد عند غير المتحضرين منهم بقوله: "إنهم كانوا يسمعون في الجاهلية من أجواف الأوثان همهمة وأن خالد بن الوليد حين هدم العُزَّى رمته بالشّرر واحترق عامّةُ فخذه حتى عادهُ النبيَ صلى الله عليه وسلم وهذه فتنةٌ لم يكن اللّه تعالى ليمتحنَ بها الأعراب وأشباه الأعراب من العوامّ وما أشك أنه قد كانتْ للسَّدنة حِيَلٌ وألطاف لمكان التكسُّب" [3]، ونلمس هذا التشابه بالمعتقد عند الهنودُ في بيوت عباداتهم[4].

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣، ص٤٥٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٣٤٠؛ السيوطي، الخصائص، ج١، ص٨٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٦٧.

(٣) الحيوان ج ٦، ص٢٠١.

(٤) المصدر نفسه.

قصارى القول في الاعتقاد السائد عند الأعراب قبل الإسلام بتكليم الأصنام واستخارتها بسماع همهمة ، يأتي بعد التقرب إليها بالذبائح ، ومن ثم يُطلب استخارتها ، فيأتي الجواب على لسان الكهنة (السدنة) بأسلوب يشوبه الخداع والحيل.

٨ – ضرب القداح (الأستقسام بالازلام):

درج الإنسان منذ القدم على استطلاع رأي الآلهة في الإقدام على أمر أو تجنبه في شؤون حياته أو قضايا مستقبلية. فقد ثُبت أن البابليين عرفوا الاستخارة بوساطة ضرب القداح ، وهي سهام صغيرة محززة ، لمعرفة مشيئة الآلهة قبل اتخاذ القررات المهمة[١]. كما نقرأ على أن نبوخذ نصر(٦٠٤ – ٥٦٢ ق. م) عندما وصل مدينة تدمر ، توقف متردداً! هناك ثلاثة أعداء يزدرون به ، فمن عليه أن يهاجم أولاً؟ مدينة صور أم المصريين أم يهوذا؟وأمام هذه التساؤلات ، عمل على استطلاع الفؤول منها: هزمز السهام أي اجالَها ، ثم تساءل: ألم يخدعه يهوه عندما نصحه بلسان حزقيال بأن يعاقب شعبه الخاص ، وإن الفؤول أكدت نبوءة حزقيال ، فتمكن من فتح اورشليم (القدس)[٢].

وأستخار العرب قبل الإسلام عن طريق ضرب القداح والتي ورد تعبيرها القرآني (الأستقسام بالازلام) ، في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣] ، والأستقسام: طلب القسم والحكم من الأزلام ، أي معرفة ما قدر لهم في جميع أمورهم عن طريق ضرب القداح[٤] ، والأزلام جمع زلم ، وهي القداح[٥] ، والقداح

---

(١) فاضل عبد الواحد، العرافة والسحر، ص ١٩٨.

(٢) ينظر: فيليب عطا الله، نبوخذ نصر، ص ١٥٣.

(٣) المائدة:٩٠.

(٤) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، ج١١، ص ١٣٦ ؛ البيضاوي، تفسير، ج١، ص ٢٩٢؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٧، ص٥٧٤.

(٥) ابن الأثير، النهاية، ج٢، ص٣١١.

جمع قِدح ، بكسر الدال ، السهم الذي كانوا يستقسمون به[1]. أو هي حصى بيض ، أو حجارة ، مكتوب عليها[2].

وكانت الاستخارة بالازلام(القداح) عند العرب على ضربين منها :القداح الثلاثة التي كان يتخذها كل إنسان لنفسه على أحدها افعل ، والآخر لا تفعل ، والثالث مهمل لا شيء عليه ، فيجعلها في خريطة(وعاء) معه ، فإذا أراد فعل شيء أدخل يده وهي متشابهة فأخرج أحدها وائتمر ، وانتهى بحسب ما يخرج له ، وإن خرج القدح الذي لا شيء فيه أعاد الضرب[3] وهذه هي التي ضرب بها سراقة بن مالك بن جعشم حين اتبع النبي(ﷺ) وأبا بكر(ﷺ) وقت الهجرة[4]. والنوع الثاني: كانوا يستقسمون (يستخارون) بالأزلام عند بعض الآلهة (الأصنام) التي يعتقدونها ، ثم يعملون بما خرج فيه[5] وبذلك يحمل هذا المعتقد طابع القدسية عندما كانت ممارسته من قبل سدنة معابد بعض الأصنام. فيفصل(ابن إسحق) في روايته عن كيفية الاستخارة عند الصنم هبل بقوله: "كان عند هبل في الكعبة سبعة قداح كل قدح منها فيه كتاب. قدح فيه(العقل) – الدية - أذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة عليهم فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله ، وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يضرب به في القداح فإن خرج قدح فيه نعم عملوا به ، وقدح فيه(لا) فإذا أرادوا الأمر ضربوا به في القداح فإذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه(منكم) وقدح فيه (ملصق) وقدح فيه(من غيركم) وقدح فيه (المياه) فإذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيث ما خرج به عملوا به وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحاً أو يدفنوا ميتاً أو شكوا في نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل وبمائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذي

---

(١) العيني، عمدة القارئ، ج١٨، ص٢٠٨..

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص ٢٠٧.

(٣) الازرقي، أخبار مكة، ج١، ص١١٧.

(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص١٥٣.

(٥) العيني، عمدة القارئ، ج٩، ص٢٤٧.

يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ، ثم يقولون لصاحب القداح :اضرب فإن خرج عليهم منكم كان منهم وسيطاً وإن خرج عليه من غيركم كان حليفا وإن خرج عليه (ملصق) كان ملصقاً على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف وإن خرج عليه شيء مما سوى هذا مما يعملون به (نعم)عملوا به وإن خرج(لا) أخروه عامه ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ينتهون في أمرهم ذلك إلى ما خرجت به القداح ، وبذلك فعل عبد المطلب بابنه حين أراد أن يذبحه"[1].

ومن شواهد الأستقسام بالازلام عند هبل ، إن عبد المطلب(جد الرسول الكريمﷺ) عندما شارف الانتهاء من حفر بئر زمزم وجد فيه غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم حين خرجت من مكة ووجد فيه أسيافا قلعية وأدراعا وسلاحا ، فنازعته قريش عليها فقالت له: إن لنا معك في هذا شركا وحقا ، وحكموا أن يضربوا بالقداح عليها ، فقال: اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين ، قالوا: أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ، ثم قال: أعطوها من يضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب فقال:

لا هم انت الملك المحمود ربي وانت المبدىء المعيد

من عندك الطارف والتليد فاخرج لنا الفداة ما تريد

فضرب بالقداح فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة وخرج الأسودان على الأسياف والدروع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش ، فضرب عبد المطلب الأسياف على باب الكعبة وضرب فوقه أحد الغزالين من الذهب ، فكان ذلك أول ذهب حُليت به الكعبة وجعل الغزال الآخر في بطن الكعبة في الجب الذي كان فيها يجعل فيه ما يهدى إلى الكعبة[2].

---

(١) الازرقي، اخبار مكة، ج١، ص١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٦ – ص٤٧.

ونسمع كذلك عن أستقسام عبد المطلب عند هبل وفاءً لنذرٍ بأن يذبح ابنه عبد الله(أبي النبي ﷺ) ، وأعترض على ذلك أخواله بنو مخزوم وعظماء قريش وأهل الرأي منهم ، خشية أن تكون سُنة عليهم في أولادهم ، وسُنة عليهم في العرب ، فاقترحت عليه قريش أن يستشيروا عرافة بالحجاز يقال لها(تخيير) ، فسألها وقص عليها خبره ، فسألتهم كم الدية فيكم ، قالوا: عشر من الإبل ، قالت: فارجعوا إلى بلادكم وقربوا عشرة من الإبل ثم اضربوا عليها بالقداح وعلى صاحبكم فإن خرجت على الإبل فانحروها ، وإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل عشر ثم اضربوا بالقداح عليها وعلى صاحبكم حتى يرضى ربكم فإذا خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم ، فرجعوا إلى مكة فأقرع عبد المطلب على عبد الله وعلى عشر من الإبل ، فخرجت القرعة على عبد الله ، فقالت قريش: يا عبد المطلب زد ربك حتى يرضى فلم يزل يزيد عشرا ، عشرا ، وتخرج القرعة على عبد الله ، وتقول قريش: زد ربك حتى يرضى ، ففعل حتى بلغ مائة من الإبل ، فخرجت القداح على الإبل ، فقالت قريش: لعبد المطلب انحرها فقد رضي ربك وقرعت فقال: لم أنصف إذا ربي حتى تخرج القرعة على الإبل ثلاثا ، فأقرع عبد المطلب على ابنه عبد الله وعلى المائة من الإبل ثلاثا كل ذلك تخرج القرعة على الإبل ، فلما خرجت ثلاث مرات نحر الإبل[1].

وأستُقسم عند الإله(ذو الخَلَصَة) قبائل: خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة[2] ، وكان رجل منهم قُتل أبوه ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى(ذا الخَلَصَة) فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم ينهاه عن ذلك ، فقال شعراً ضمن فيه نزعة التمرد على هذا الإله رفضا نتيجة حكمه ، وهناك مَنْ ينحله إلى امرئ القيس بن حُجر الكِندي هذا نصه:

(١) الازرقي، أخبار مكة / ص ٤٨ - ص٤٩ ؛ ابن سعد ، الطبقات، ج١ ، ص٨٩.

(٢) تبالة: من أرض تهامة بين مكة واليمن على مسير اثنان وخمسون فرسخاً (حوالي ٣١٢كم) ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٩.

لـو كنـت يـاذا الخلـص الموتـورا مثلـي وكـان شـيخك المقبـورا

لم تنه عن قتل العداة زورا [1].

ولم يُستقسم عنده احد بعد حتى جاء الإسلام[2]. ويمكن القول أن الاحتكام للأصنام ، هو احتكام للمادة المتشخصة والوسيطة بين الإنسان والغيب ، مع تقديم دية من المال أو الحيوان[3].

٩- **القرعة:**

هي السُهْمَة[4]. والمقارعة المساهمة ، وقد اقترع القوم و تقارعوا ، و أقرعت بين الشركاء في شيء يقتسمونه ، ويقال كانت له القرعة إذا قرع أصحابه وقارعه فقرعه يقرعه أي أصابته القرعة دونه[5]. وقد ورد ذكر القرعة في القرآن الكريم بقوله تعالى: "فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ"[6]. معنى ساهم ضارب القرعة والمدحض المغلوب في القرعة والمحاجة[7]. وسبب المقارعة أن يونس(عليه السلام) لما ركب في السفينة أصاب أهلها عاصف من الريح فقالوا هذه بخطيئة أحدكم ، فقال يونس(عليه السلام) وعرف أنه هو صاحب الذنب: هذه خطيئتي فألقوني في البحر ، وأنهم أبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم فساهم فكان من المدحضين فقال لهم أخبرتكم أن هذا الأمر بذنبي وأنهم أبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم الثانية فكان من المدحضين وأنهم أبو أن يلقوه في البحر حتى أعادوا سهامهم الثالثة فكان من المدحضين فلما رأى ذلك ألقى نفسه في

---

(١) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٣٥ ؛ وينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ج١ ، ص٢١١.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج٢١ ، ص٥٣٨.

(٥) الشافعي، أحكام القرآن، ج٢ ، ص١٦١

(٦) الصافات، من الآية، ١٤١.

(٧) الغرناطي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل ج٣، ص١٧٥- ص١٧٦.

البحر[1]. ويأتي معنى القرعة هذا في الذين اقترعوا على كفالة مريم(عليها السلام)[2]، كما جاء في قوله تعالى: "إِذْ يُلْقُون أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ"[3]، والمراد بالأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة وسائر كتب الله تعالى، وكان القراع على أن كل من جرى قلمه على عكس جري الماء فالحق معه، فلما فعلوا ذلك صار قلم زكريا كذلك فسلموا الأمر له وهذا قول الأكثرين، وفي قول أنهم ألقوا عصيهم في الماء الجاري جرت عصا زكريا على ضد جرية الماء فغلبهم، وفي تفسير: معنى يلقون أقلامهم مما كانت الأمم تفعله من المساهمة عند التنازع فيطرحون منها ما يكتبون عليها أسماءهم فمن خرج له السهم سلم له الأمر[4]. وفي تفسير آخر: كانت قرعة أقلامهم أنهم جمعوها في موضع ثم غطوها فقالوا لبعض خدم بيت المقدس من الغلمان الذين لم يبلغوا الحلم أدخل يدك فأخرج قلما منها فأدخل يده فأخرج قلم زكريا، فقالوا: لا نرضى ولكن نلقي الأقلام في الماء فمن خرج قلمه في جرية الماء ثم ارتفع فهو يكفلها، فألقوا أقلامهم في نهر الأردن، فارتفع قلم زكريا في جرية الماء، فقالوا: نقترع الثالثة فمن جرى قلمه مع الماء فهو يكفلها فألقوا أقلامهم فجرى قلم زكريا مع الماء وارتفعت أقلامهم في جرية الماء وقبضها عند ذلك زكريا[5]، فذلك قوله تعالى: "وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا"[6]. وعلى الرغم من تباين الروايات في المراد بالأقلام، إلا أنها تشير إلى أن القرعة عمل بها لحسم أمر كفالة مريم(عليها السلام).

أما عند العرب قبل الإسلام فبعد أن عظم شرف عبد المطلب(جد النبي ﷺ) وحفره بئر زمزم وتم له سقيها، أقرع بين ولده أيهم يذبح فخرجت القرعة على عبد

---

(١) القرطبي، جامع، ج١٥، ص١٢٤.

(٢) الشافعي، احكام القرآن، ج٢، ص١٦١.

(٣) آل عمران، ٤٤.

(٤) الرازي، التفسير الكبير، ج٨، ص٤٠.

(٥) السيوطي، الدر المنثور، ج٢، ص ١٨١.

(٦) آل عمران، من الآية ٣٧.

الله بن عبد المطلب[١]. وفي رواية أخرى عندما ولد له عشرة رهط فقال: اللهم إني كنت نذرت لك نحر أحدهم وإني أقرع بينهم فأصيب بذلك من شئت ، فأقرع بينهم فطارت القرعة على عبد الله وكان أحب ولده إليه[٢].

وهناك قرعة يسمونها قرعة الأنبياء وحاصلها جدول مرسوم في بيوته أسماء الأنبياء وأسماء الطيور ، وبعد الجدول تراجم لكل اسم ترجمة خاصة به ويذكر فيها أمور من المنافع والمضار يقال للشخص: غمض عينيك وضع أصبعك في الجدول فإذا وضعها على اسم قرئت له ترجمته ليعتقد أنه يكون له ذلك المذكور منها [٣]. ويُفهم من رواية أوردها(أبو عبيد بن سلام) إن القرعة عمل بها ثلاثة من الأنبياء: يونس ، وزكريا ، ونبينا محمد(عليهم الصلاة والسلام)[٤]. فعمل النبي(ﷺ) بالقرعة في ثلاثة مواطن الأول: إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، الثاني: أن النبي(ﷺ) رفع إليه أن رجلا أعتق ستة أعبد لا مال له غيرهم فأقرع بينهم فأعتق اثنين وأرق أربعة ، الثالث: أن رجلين اختصما إليه في مواريث قد درست فقال: اذهبا وتوخيا للحق واستهما وليحلل كل واحد منكما صاحبه فهذه المواطن هي: القسم في النكاح ، والعتق والقسمة ، وجريان القرعة فيها لرفع الإشكال[٥].

١٠- الرؤيا:

تُعد من وسائل إدراك الغيب ، خُصت بما يرى في النوم[٦] ، وهي على ضربين: ضرب وهو الأكثر أضغاث أحلام وأحاديث نفس من الخواطر الرديئة يكون النفس في تلك الحال كالماء المتموج الذي لا يقبل صورة ، وضرب صحيح وهو الأقل وينقسم

---

(١) الازرقي، أخبار مكة، ج٢، ص ٤٨ ؛ ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٨٩.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص١٤٩.

(٣) الشنقيطي، اضواء البيان، ج٤، ٤٩.

(٤) العيني، عمدة القاري، ج١٢، ص٢٢٨.

(٥) القرطبي، جامع أحكام القرآن، ج١٥، ص ١٢٥ ؛ وينظر: الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٢٩٠؛ الحاكم، المستدرك، ج٤، ص١٠٧.

(٦) المناوي، فيض القدير، ١/ ٢٤٨.

على قسمين: قسم لا يحتاج إلى تأويل ، وقسم يحتاج إليه. ولهذا يحتاج المعبر إلى مهارة للفرق بين الأضغاث وغيرها وليميز بين الكلمات الروحانية والجسمانية ويفرق بين طبقات الناس إذ كان فيهم من لا تصح له رؤيا ، ثم من تصح له منهم من يرشح لأن يلقى إليه في المنام الأشياء العظيمة الخطيرة ومنهم من لا يرشح لذلك[1]. والرؤيا تخبرنا عن أنباء الغيب ، وهي بشارة أو نذارة أو معاينة كانت شائعة قبل الإسلام ثم ضعفت عند العرب لعظيم ما جاء به النبي(ﷺ) من الوحي وما فيه من التصديق واليقين[2].

وقد وردت الرؤيا ، والأحلام ، وتعبير الرؤيا في القرآن الكريم ، في وصف رؤيا فرعون مصر بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ۞ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ))[3] ، فالرؤيا تدل على ما سيكون ، وأما الأضغاث فإنما تخالطها الأباطيل وما يكون منها حديث النفس ووسوسة الشيطان"[4].

ويرجع الاهتمام بتفسير الأحلام منذ القدم ، ففي تاريخ العراق القديم اعتقد الإنسان بأن ما يراه في حلمه هو حدث سيقع لذلك اجتهد لمعرفة تفسيره. ومفسر الحلم ذو اتصال بالآلهة وهو الكاهن. والأحلام بنظر إنسان وادي الرافدين ترسلها الآلهة ويمكن رد شرورها بالدعاء الخاص إلى الآلهة[5]. وأوردت النصوص الرافدينية القديمة أحلاما ظهر صدقها برأيهم فيما بعد. مثلاً الإله(أيا) قد أخبر(أوتونابشتم) عن الطوفان وأمره في حلم ببناء الفلك[6].

أما العرب قبل الإسلام فكانت في حياتهم رؤى تدل على إحداث مستقبلية جسام ، أشهرها الرؤى المتعلقة بالاحتلال الحبشي لليمن ، وانهيار سد مأرب ،

---

(١) المناوي، فيض القدير،ج٤، ص ٤٧.

(٢) المصدر نفسه،ج٤، ص ٤٧.

(٣) سورة يوسف، الآية ٤٣ / والآية ٤٤.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص٣٢٤.

(٥) سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص ٧٤.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٧٤.

وحفر بئر زمزم ، وولادة الرسول(ﷺ) ، والمبعث النبوي ، ولا يخفى ما كان للكهان من أثر في تفسيرهم لهذه الرؤى. ففي رؤيا ربيعة بن نصر[1] أحد سادات اليمن وأهل الشرف منها ، يُعرف من تأويلها استيلاء الحبشة على اليمن والبشارة بظهور النبي(ﷺ)"[2]. وقد بعث بتأويلها على(سطيح وشق) وسأل سطيح أولاً بالرؤية وملخصها بقول ربيعة: رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة[3] ، فأكلت منها كل ذات جمجمة. فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ، فأجاب سطيح الملك في تعبيره للرؤيا ، بما سيصيب اليمن على أيدي الأحباش وليطأن أرضكم الحبش ، ويملكن ما بين أبين[4] وجرش"[5] ، والحممة هنا النار" فهي تأكل ولا تؤكل وقوله من ظلمة وذلك أن الحممة قطعة من نار وخروجها من ظلمة يشبه عسكر الحبشة من ارض السودان ، وأشار إليه بعدم دوام ملكهم. ثم يُطردون من اليمن ، وبعدها ينقطع ملكهم من قبل نبي يأتيه الوحي من قبل العلي من ولد غالب بن فهر ، وعرضت الرؤيا نفسها على شق فجاء تفسيره مطابقاً لتأويل الكاهن سطيح[6].

وكانت رؤيا لـ(عبد المطلب) السبب في حفر بئر زمزم ما جاء في رواية (ابن إسحاق) بسنده عن علي بن أبي طالب(عليه السلام): قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر- حجرإسماعيل(عليه السلام)- إذا أتاني آت فقال: احفر طيبة قلت: وما طيبة ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر برة

---

(١) وبعضهم يقول فيه "نصر بن ربيعة وفي قول نساب اليمن ربيعة بن نصر بن الحارث بن لخم وقال الزبير في هذا النسب نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن غارة لخم ولخم اخو جذام وسمي لخماً لأنه لخم اخاه اي لطمه فعضه الأخر في يده فجذمها جذاماً" ينظر: السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص٥٨.

(٢) الكلاعي، الاكتفاء، ج١، ص٩٢.

(٣) تهمة: هي من ارض اليمن، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٦٢.

(٤) ابين: مخلاف باليمن منه عدن يقال إنه سمي بابين بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج١، ص٨٦.

(٥) جرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة ينظر: معجم البلدان، ج٢، ص١٢٦

(٦) ينظر تفاصيل الرؤية: المسعودي، المصدر نفسه، ١١٨ ؛ السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص٦٠، الكلاعي، الاكتفاء، ج١، ص٩٢- ٩٤، ابن كثير، البداية والنهاية ج٢، ص١٦٢.

فقلت: وما برة ثم ذهب عني ، فلما كان الغد ,جعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر المضنونة فقلت: وما المضنونة ثم دهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم قلت: وما زمزم ، قال: لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الأعظم ، وعندما سَئل عن مكانها قيل اله بين الوثنين إساف ونائلة ، وقبل أن يجد الماء وجد غزالين من ذهب وأسياف ودراعا [١].

ويمكن القول إن هذه الرؤية كانت الدافع القوي في حفر بئر زمزم ، فضلا عن أنها حددت مكانه القديم بعد اندثاره منذ ولاية قبيلة جرهم للكعبة. ويعلق(د. خليل أحمد خليل) عن هذه الرؤيا بقوله: "إنها اقترنت بعمل باحث عن الماء المقدس ، وأثناء بحثه ، أكتشف وقبل الماء ، (ألذهب والسلاح) ، وهما رمزان آخران من رموز القوة والسلطان سياسياً واجتماعيا ، وعلى هذا النحو تتحول رؤيا عبد المطلب إلى مرتكز مادي لتطوير قوته وقوة جماعته ، فتتوحد رموز السلطان وتتزايد إلى أن يبلغ صاحبها شأوا اجتماعيا رفيعاً"[٢].

وهناك رؤى نكتفي بالإشارة إليها دون الخوض في تفصيلاتها تجنباً للإطالة ، منها رؤيا لعبد المطلب: "إني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة تنبت قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب وما رأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم ساجدين لها.." ، والتي تم تأويلها من قبل كاهنة قريش بنبوة محمد(ﷺ)[٣]. ورؤية (برة بنت مر أم أحد أجداد الرسولﷺ) التي تدور في ضمن محور البشارة بالنبوة[٤].

ونستدل مما تقدم على أن الرؤيا كانت أحدى وسائل أدراك الغيب عند العرب

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج١ ، ص٢٧٧ ، وينظر: الازرقي، اخبار مكة، ج٢، ص ٤٦ ؛ الفاكهي، أخبار مكة، ج٢، ص١٤- ص١٦.

(٢) مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ص٩٨.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢ ، ص ؛ وأشار إليها ابن الأثير بانها رؤيا مشهورة، ينظر: النهاية، ج٢ ، ص ٢٠٠.

(٤) ينظر الكلاعي، الاكتفاء ج١ ، ص٢٢.

قبل الإسلام، التجئوا إلى الكهنة في تعبير رؤاهم، وجلها رؤيا تحذيرية أو تبشيرية لإحداث ذات أثر مستقبلي. وهناك من يرى إن ما وصلنا من رؤيا وأحلام من حقبة قبل الإسلام اتسمت بالطابع الأسطوري، إلا أن صحتها لا يمكن أن تكون مثاراً للشك، وذلك لأنها مؤكدة عبر العالم السامي. والواقع أن كل فئات الملاك الكهاني الأشور – بابلي والسامي الغربي كان بمقدورها تفسير الأحلام[1].

ثانيا:- مدركو الغيب (الكهنة):

أطلق العرب لفظة الكاهن على الناظر في الأجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها، والطارق بالحصى والنوى[2]، وعلى العراف، والمنجم، والقاضي بالغيب[3]، الذي يتعاطى الأخبار عن الكوائن في المستقبل، ويدعى معرفة الأسرار[4]. وسمي الكاهن زاجرا لأنه إذا رأى ما يظن أنه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوته بشدة والكهنة: قوم لهم أذهان حادة ونفوس شديدة وطباع نارية، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور وساعدتهم بكل ما اتصلت به قدرتهم إليه[5].

ومن أساليب معرفة الكهان في الغيب، فمنهم من زعم أن له تابعا من الجن ورئيا يلقي إليه الأخبار، ومنهم من زعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما[6]. والمشهور في الكهانة

---

(١) ينظر: توفيق فهد، الكهانة، ص١٧٧- ص١٧٨.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص١٠٧.

(٣) ابن منظور، لسان العرب ج٤، ص٣١٩. الزبيدي، تاج العروس ج١١، ص٤١١.

(٤) النووي، شرح صحيح مسلم، ج٥، ص٢٢ ؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٦، ص٣١٩ ؛ العيني، عمدة القارئ، ج٦، ص ٨٣.

(٥) ابن منظور، لسان العرب ج٤، ص٣١٩. الزبيدي، تاج العروس ج١١، ص٤١١.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٣٦٢.

الاستمداد من الجن في الأخبار عن الغيب[1]. وادّعى صنف منهم أن نفوسهم قد صَفَتْ فهي مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ما تريد أن يكون منها ، لأنَّ صوَر الأشياء عندهم في النفس الكلّيّة ؛ وصنف منهم ادَّعى أن الأرواح المنفردة ، وهي الجن تخبرهم بالأشياء قبل كونها ، وأن أرواحهم كانت قد صفت حتّى صارت لتلك الأرواح من الجن موافقة[2]. وقيل أن الكهانة ارتبطت بالجانب الفلكي ، وأن ذلك يكون في المولد عند ثبوت عُطارِد على شرفه وأن ما عداه من الكواكب إذ كانت في عقود متساوية وأرباع متكافية ومناظر متوازية ، وجب لصاحب المولد التكهن والإخبار بالكائنات قبل حدوثها[3]. وهناك من يرجع الكهانة إلى سبب نفسانّي لطيف يتولد من صفاء مِزاج الطباع وقوّة النفس ولطافة الحسّ ؛ وفي الأغلب الأعم أن الكهانة تكون من قِبَل شيطان يكون مع الكاهن يُخبره بما غاب عنه ، وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتُلقيه على ألسنة الكهان فيؤدّون إلى الناس الأخبار[4] ؛ وقد أخبر الله عزّ من قائل بذلك في قوله تعالى: ((وأنّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً))[5] ، وقوله عزّ وجل: ((وإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ))[6] ، فالجن لا تعلم الغيب ، وإنما ذلك لاستراقها السمع مما تسمع من الملائكة بظاهر قوله تعالى: ((فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ))[7]. كما يستدل الكهان في معرفة الغيب إلى ظن وتخمين وحدس وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه ، أو ما يستند إلى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي

---

(١) الالوسي، روح المعاني ج٢٧، ص٣٥.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠٩ – ص٣١٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٠٩.

(٥) سورة الجن، الآية ٨.

(٦) سورة الأنعام، الآية ١٢١ .

(٧) سورة سبأ، الآية١٤.

السحر وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر والطرق والنجوم[١]. ومن وسائلهم في استقراء الغيب أيضا ما يسمى بالعزائم وهم يزعمون أن لكل نوع من الملائكة أسماء أمروا بتعظيمها ومتى أقسم عليهم بها أطاعوا وأجابوا وفعلوا ما طلب منهم، وزعموا أن للكواكب إدراكات روحانية فإذا قوبلت الكواكب ببخور خاص ولباس خاص على الذي يباشر البخور كانت روحانية، فتلك الكواكب مطيعة له متى ما أراد شيئاً فعلته له على زعمهم، وهذا النوع من سحر الكلدانيين، وكذلك ملوك الجان يزعمون أنهم إذا عملوا لهم أشياء خاصة بكل ملك من ملوكهم أطاعوا وفعلوا لهم ما أرادوا قال وشروط هذه الأمور أنواعاً كثيرة كالخط والأشكال والموالد والقرعة والفأل وعلم الكتف والكهانة وغير ذلك والخط الرملي والموالد جمع مولد وهي أن يدعي من معرفة النجم الذي كان طالعاً عند ولادة الشخص أنه يكون غنياً أو فقيراً أو طويل العمر أو قصيره ونحو ذلك[٢]. وقد ضمن العرب قدرة الكهنة على إدراك الغيب بالمثل القائل: على هذا دار القُمْقُمُ – إناء ضيق الرأس-. وأصله فيما يقال: إن الكاهن إذا أراد استخراج السرقة أخذ قمقمة وجعلها بين سبابتيه ينفث فيها ويرقي ويديرها فإذا انتهى في زعمه إلى السارق دار القمقم فجعل ذلك مثلا لمن ينتهي إليه الخبر ودار عليه[٣]. وكان الكاهن يأخذ أجراً لقاء إدراك الطالع والتنبؤ بمستقبل من يلتجأ إليه، عرف بـ(حلوان الكاهن)[٤]، وأصلها من الحلاوة شبيه بالشيء الحلو من حيث أنه يأخذه سهلا بلا كلفة ولا مشقة[٥]. والراجح أن تسمية اجر الكاهن بـ(حلوان الكاهن) أسلامية وردت في كتب الحديث، عندما نهى رسول الله(ﷺ)عن حلوان الكاهن[٦].

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٢١٧.

(٢) الشنقيطي، اضواء البيان ج٤، ص٤٨.

(٣) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٨.

(٤) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج٥، ص٢٢.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج٤، ص ٤٢٧.

(٦) النسائي، السنن الكبرى، ج ٣، ص١٥٠؛ أبي داود، سنن، ج٣، ص٢٦٧ ؛ البيهقي، سنن، ج٦، ص٦ ؛ الدارمي، سنن، ج٧، ص٢٣٢

ولعل من المناسب ذكره أن الاعتقاد بقدرة الكهنة على التنبؤ بالغيب كانت شائعة في تاريخ العراق القديم ، وذلك لاعتقادهم أن الآلهة خصتهم بهبة اختراق الغيب ومقاومة الشر فصار بوسعهم التنبؤ بوجد هذه القوى بواسطة عناصر عدة وعلامات فأل كثيرة وتسخيرها لخدمتهم[1]. ويمكن الاستدلال بشواهد عن تنبؤ الكهنة بالغيب ، منها: إن نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له: إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ، ويقال إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء(عليهم السلام) ، وعلى الرغم من الإجراءات التي اتخذها بذبح كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء تخوفاً من هذا المولود ، ولما حملت أم إبراهيم قال الكهان لنمرود: إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملته أمه الليلة فأمر نمرود بقتل الغلمان فلما دنت ولادة أم إبراهيم(عليه السلام) وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء[2].

وكانت الكهانة قبل الإسلام منتشرة في العرب على الأكثر ، وفي غيرهم على وجه الندرة ، لأنها توافق صفاء المزاج الطبيعي وقوة مادّة نور النفس عندهم[3] ، وهناك من يعزيها لانقطاع النبوة فيهم[4]. ومن شواهد تنبؤات الكهانة ما جاء في رواية (ابن الكلبي) عن تنبؤ طريفة الكاهنة ، عندما رأت في كهانتها أن سد مأرب سيخرب فنبهت عمرو بن عامر الذي يقال له(مزيقيا) ابن ماء السماء(من قبائل الأزد) إلى ذلك بقولها: أنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين ، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة ، كما تفرقوا إلى يثرب ، والشام ، والعراق[5]. وفي

---

(١) سامي سعيد الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص ٦٤.

(٢) البغوي، تفسيرج٢ ، ص١٠٨- ص ١٠٩.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢ ، ص ٣١٢.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ،ج١٠ ، ص ٢١٧ ؛ العيني، عمدة القارئ، ج٢١ ، ص ٢٧٥.

(٥) ينظر: الازرقي، أخبار مكة ، ١ج، ص٩٢ ؛أبي السعود ، تفسير،ج ٧ ،ص١٢٩؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج١ ،ص ٢٧٦ ؛ الخطابي، غريب الحديث، ج١ ، ص٥٧٧

شاهد آخر نقرأ في قصة الزباء ما يخبر بالتنبؤ بالحوادث المستقبلية عندما سألت الكهنة عن أمرها ، وهلاكها ، فقالوا لها: نرى هلاكك بسبب عمرو بن عدي ، ولكن بيدك فحذرت عمرا ، واتخذن نفقاً من مجلسها إلى حصن لها داخل مدينتها[1].

وكان العرب يستشيرون الكهنة قبل غزواتهم لِتُنبأهم في نتائجها ، ونستدل على ذلك بما ذكره(ابن حبيب): إن امرأة من طيء يقال لها رقاش الكاهنة تغزو ويتمنون برأيها ، ولها حزم ورأي ، فأغارت طيء على إياد بن نزار فظفرت بهم وغنمت[2]. وكذلك ما قيل عن سجاح التميمية التي تكهنت ، فأتبعها قوم من بني تميم وقوم من أخوالها بني تغلب ، ثم إنها سجعت ذات يوم فقالت: إن رب السحاب يأمركم أن تغزوا الرباب فغزتهم فهزموها ولم يقاتلها أحد غيرهم[3]. ومن الشواهد الأخرى المتمثلة في استشارة كاهن بني الحارث(المأمور الحارثي) قبائل مَذحِج وأحلافها قبل اندلاع يوم الكلاب الثاني ، فحذرهم من غزو قبيلة تميم ، بيد أن غرورهم بسبب جموعهم الكبيرة قادهم إلى الهجوم ، فكانت الغلبة على وفق ما اعتقده الكاهن في هذا اليوم لقبيلة تميم[4].

وعُدت نبؤة الكهان قدراً لا يمكن الفرار منه ، تمثل في نبؤة احد الكهنة للشاعر (أفنون التغلبي) ، عندما قال له: تموت بمكان يقال له الآهة [5]. وتشاء الأقدار أن تتحقق تتحقق نبوءة الكاهن ، إذ يموت في المكان نفسه[6]. وكذلك مقتل حجر والد الشاعر امرئ القيس من قبل قبيلة أسد ، وكان سبب مقتله تكهن كاهن قبيلة أسد(عوف بن

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢٦٧ ؛ وينظر: ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص ٣١٣.

(٢) ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص ٢٨٨ ؛ البكري، فصل المقال، ج١، ٢٣٩.

(٣) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان،ج١، ص١٠٨ ؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص١٦٤.

(٤) ينظر التفاصيل: أبو عبيدة، أيام العرب، ص ٤٣٠ – ص ٤٥٥ ؛ المفضل الضبي، ديوان المفضليات، ص ٢١٧.

(٥) الآهة: مكان بين ديار تغلب والشام، البكري،معجم ما استعجم، ج٣، ص٤٧١.

(٦) ينظر: المفضل الضبي، المفضليات، ص ٢٦١؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٤١٩؛ البكري، المصدر نفسه.

ربيعة) بموته على يد الأسليين ، بذلك حققوا نبوءة كاهنهم[1].

وحفل موروث العرب قبل الإسلام بعدد غير قليل من الروايات التي توضح التكهن بولادة النبي محمد(ﷺ) ، منها تنبؤ كاهنة قريش عندما قالت يوما لبني زهرة إن فيكم نذيرة تلد نذيرا ، فاعرضوا علي بناتكم ، فعرضن عليها ، فقالت: في كل واحدة منهن قولا ظهر حين حتى عُرضت عليها آمنة بنت وهب ، فقالت :هذه النذيرة أو تلد نذيرا[2].

وكان العرب يتنافرون إلى الكهان في الخصومات ليُعرفوهم بالحق ، مثلما حدث عندما شكك الْفَاكه بن الْمُغيرَة الْمَخْزُومي بزوجة هِنْدُ بنتُ عُتْبَة(أُمّ مُعَاوِيَة) بإتهامها بالخيانة الزوجية وقال لها الْحَقي بأَهْلك وَتَكَلَّمَ فيها الناس ، فقال للفَاكه: ياهذا انك قد رَمَيْتَ ابْنَتي بأمْر عَظيم فَحَاكَمَني إِلَى بَعْض كُهَّان الْيَمَن ، فَخَرَجَ عُتْبَةُ في جَماعَة من بني عبد مَنَاف وَخَرَجَ الْفَاكهُ في جَماعَة من بني مَخْزُوم وَخَرَجَتْ مَعَهُمْ هِنْدٌ وَنسْوَةٌ مَعَهَا ، وطلب من الكاهن أن ينظر في أَمْر هَؤُلاء النِّسْوَة فَجَعَلَ يَدْنُو من إِحْدَاهُنَّ فَيَضْربُ كَتفهَا وَيَقُولُ انْهَضي حتى دَنَا من هِنْدَ فَضَرَبَ كَتفهَا وقال قُومي غير وَحْشَاءَ وَلا زَانِيَةٍ[3].

ومن عادة العرب قبل أن يتحاكموا إلى الكهان يختبرونهم لمعرفة قدراتهم بإدراك الغيب ، كما حدث في قصة هِنْدُ بنتُ عُتْبَةَ المار ذكرها ، عندما قال عتبة إلى أبنته: إني اختبره — أي الكاهن — قبل أَنْ يَنْظُرَ في أَمْرك فَصَفَّرَ بفَرَسه حتى أَدْلَى ثُمَّ أَخَذَ حَبَّةً من بُرٍّ فَأَدْخَلَهَا في احليله وَأَوْكَأَ عليها بسَيْر فلما صَبَحُوا أَكْرَمُهُمْ وَنَحَرَ لهم فلما قَعَدُوا قال له عُتْبَةُ إنا قد جئْنَاكَ في أَمْر وَإِنِّي قَدْ اخْتَبَأْتُ لك خبا اخْتَبرُكَ به فَانْظُرْ ما هو ، قال: ثَمرَةٌ في كمرة ، قال: أُريدُ أَبْيَنَ من هذا قال حَبَّةٌ من بُرٍّ في احليل مُهرٍ

(١) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٠١ ؛ البغدادي، خزانة الأدب، ج١، ص ٣٢٢.

(٢) السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص٣٦٩.

(٣) ينظر تفصيلاتها : الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٥، ص٦٩ – ص ٧٠ ؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص ٦٦.

قال صَدَقْتَ[1]. وفي قصة أخرى رواها هشام بن محمد الكلبي بسنده عن عقيل بن أبي طالب ، نذكر ما يعنينا منها: كان لعبد المطلب ماء بالطائف يقال له ذو الهرم فجاء الثقفيون فاحتفروه فخاصمهم عبد المطلب إلى غزي أو إلى نفيل فخرج عبد المطلب مع ابنه الحارث وليس له يومئذ غيره وخرج الثقفيون مع صاحبهم وحرب بن أمية معهم على عبد المطلب ، وخبئوا للكاهن شيء لاختباره ، ولما دنوا منه ، قالوا له: خبأنا لك خبأ فأنبئنا عنه ثم نخبرك بحاجتنا ، قال: هو رأس جرادة في خرز مزادة في عنق سوار ذي القلادة ، قالوا: صدقت فأخبرنا فيما إختصمنا إليك فأخبرهم وإنتسبوا له فقضى بينهم ورجعوا إلى منازلهم على حكمه[2].

وحظي الكهان عند العرب قبل الإسلام بدرجة عالية من التقدير والاحترام ، فكان من يأتي إليهم يُقبل يَدهم اليُمنى ويضعها على رأسه[3]. ولمعت أسماء مجموعة من الكهان منهم: حارثة جهينة ، وكاهنة باهلة ،وعُزّى سلمة ، و شِقّ ، وسَطيح[4]. ونسجت عن الكاهنين الأخيرين روايات نالت منها المبالغات حتى أرتقت فيها إلى مستوى الأساطير ، بدءاً بولادتهم التي جُعل منها استمرار للكهانة حتى لا تنقطع ، فزعموا إن سطيح وشق ولدا في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر وهي بنت الحميرية ، "ودعت بسطيح وشق قبل أن تموت ، وأخبرت أنهما سيخلفان علمها وكهانتها ثم ماتت"[5]. وامتدت المبالغات إلى هيئتهما ، فقيل عن سطيح وهو: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن غسان ويقال له الذئبي نسبة إلى ذئب بن عدي كان وجهه في صدره لم يكن له رأس ولا عنق ، ويطوى كما تطوى الحصير ولا عظم فيه إلا الجمجمة ، وكان لا يقدر على

---

(١) ينظر: الطبراني، المصدر نفسه والصفحة ؛ أبو الفرج الأصفهاني، المصدر نفسه والصفحة.

(٢) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج١ ، ص٢٥٠ ؛ الميداني، مجمع الأمثال ج١ ، ص٤٥

(٣) المصدر نفسه، ج٢ ، ص ٣١٧.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج٦ ، ص٢٠٤.

(٥) السهيلي، الروض الأنف، ج١ ، ص٥٩

الجلوس فإذا غضب انتفخ وجلس[1]. أما شق أو(شقيق) فهو ابن صعب بن يشكر بن لحيان ، وكان شق إنسان فيما زعموا إنما له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحد ولذلك سمي بشق[2] وذُكر حول شق "إن أمهُ امرأة من الجن عشقت أباه حويلاً فتزوجته فأولدها الدجال ، وهو خوص بن حويل"[3]. وقيل كانوا "يرون فوق عينه ناراً بيضاء ، وكذلك عن الموضع الذي هو فيه يعلوه بالليل نار مضيئة وبالنهار دخان"[4]. ويمكن الاستدلال من هذه الروايات التي وصفت شق وسطيح حتى جعلتهما بهيئات غير مألوفة راجع إلى أهمية الكهانة في حياة العرب قبل الإسلام ، فضلا عن قدراتهم في إدراك الغيب الذي شكل محور اهتمام الإنسان على مر العصور.

---

(١) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ج١، ص١١٢٥، الكامل في التاريخ ج١، ص٣٢٢ ؛ السهيلي، المصدر نفسه، ج١، ص٥٩ ؛ االكلاعي، الإكتفاء،ج١، ص٩٧ ؛ ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص١٠٨.

(٢) السهيلي، المصدر نفسه والصفحة ؛ الكلاعي، المصدر نفسه والصفحة ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص١٦٢.

(٣) المسعودي، أخبار الزمان، ١٢٢.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

الخاتمة

تناول هذا الفصل دراسة (أدراك الغيب عند العرب قبل الإسلام) ، واتضح أن الاهتمام بالغيب شغل اهتمام الإنسان في الشرق الأدنى القديم ، وامتد هذا الاهتمام إلى العرب قبل الإسلام. لما للغيب من أثر في القرارات ذات الأهمية سواء في شؤونهم الحياتية ، أم آفاقهم المستقبلية ، حتى غدا الإنسان تواق لمعرفة كل ما يمت بصلة من وسيلة تعينه لسبر غور أبعاد شؤونه المستقبلية ، حتى قراراته التي كان في الأعم يستطلع غيبه لكي يتخذها ، واقترن إدراك الغيب بإحداث اكبر عندما كانت على مستوى القبيلة لاسيما في خوض المنازعات من عدمها ، فكان لمدركي الغيب في القبيلة اسهامهم في اتخاذ مثل هكذا قرارات.

ولكي يدرك العرب قبل الإسلام الغيب توسلوا بوسائل مختلفة ، نتجت عنها معتقدات ، غدت بمرور الزمن جزءاً من موروثهم المقدس. فمن هذه الوسائل: أنهم استدلوا على الغيب من حركة الكواكب ، واعتقدوا أن الحوادث الأرضية مرتبطة بها ، لذا عرف من ينظر في النجوم من أجل استكشاف الغيب بالمنجم. واستعانوا بالفراسة فأدركوا الغيب من هيئة الإنسان ، أو من بعض حركاته ، وكذلك بالريافة: إذ من خلال دلالات استنبطوا منها على وجود الماء في الأرض ، وكانت لهم وسائلهم في اقتفاء الأثر ، وإلحاق الشخص بنسبه. ودخلت في وسائل إدراك الغيب ما يطلق عليه (ألعيافة) بمراقبة حركات بعض الحيوانات سواء بسنوحها أو تيامنها ، ونتج عن ذلك اعتقاد بالتشاؤم أو التفاؤل تبعاً لحركاتها. وتطايروا من بعض الحيوانات مثل:

(ألغراب ، الناقة ، الظباء) ، فضلا عن اعتقادات ارتبطت بالتشاؤم من أصواتها أو حركاتها.

وتبين أن الطرق والخط من الوسائل التي اعتمدوها في استطلاع الغيب ، سواء الخطوط التي كانت تخط على الأرض ويمحى منها خطين خطين ، أم الخطوط التي يضرب عليها بالشعير والنوى. فضلا عما تقدم هناك مشتركات ربما كانت موروثة ، أو وافدة بحكم التأثر والتأثير بشعوب المنطقة فاستعانوا بها لأدراك الغيب ، بما دلت عليه من نتائج وهي: التنجيم ، والاستخارة بالاستقسام بالازلام ، والقرعة أو السهم (النصيب) ، وتكليم الأصنام ، والرؤيا.

واتضح أن المتهنين لصنعة أدراك الغيب في الأغلب الأعم كانوا الكهنة ، فتنوعت وسائلهم ، يأتي في مقدمتها استعانتهم بالكائنات الغيبية (الجن) ، وقدرتهم على استدلال الغيب من مقدمات وأسباب يستدلونبها ، وبسبب قدرتهم تلك ، نالوا الاحترام إلى حد التقديس ، فشكلت تنبؤاتهم قدر لا مفر منه. بحيث نسجوا عنهم الحكايات التي ارتقت إلى مستوى الميثيولوجيا.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس.

أولاً: المصادر:

ابن الأثير: عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الجزري(ت٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م)

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م).
- النهاية في غريب الحديث والأثر، خرج أحاديثه أبو عبد الرحمة بن محمد بن عويطة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري (٦٣٠هـ-١٢٣٣م)

- الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، ط٢،(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ).

الأبشهي: شهاب الدين محمد بن احمد بن الفتح (ت ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م)

- المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق د٠ مفيد محمد قميحة، ط٢ ،(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦ م).

البلاذري: أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)

- فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٣هـ).

الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت نحو ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م)

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحسن،(دار

الأندلس للنشر، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).
الأزهري: أبو منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م).
●تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م).
الأسدي: بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف (ت.... / ٦٠١ م)
●ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، قدم له وشرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٩٩٤م)
الاستراباذي: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن النحوي (٦٨٦هـ / ١٢٨٧م)
●شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهد العالم الجليل عبد القادر البغدادي، حققها محمد نور الحسن ، محمد الزخرف، محمد يحيى عبد الحميد ،(دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م).
الأصبهاني: إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي (ت ٥٣٥ هـ / ١١٤٠م)
●كتاب دلائل النبوة، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة (الرياض – ١٤٠٩ م)
الأصفهاني: حمزة بن الحسن ا (ت)،
●تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، مكتبة دار الحياة ،(بيروت د.ت)
الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ / ٩٦٧م).
●الاغاني، تحقيق سمير جاسم، ط ٢، (دار الفكر، بيروت).
ابن إسحاق : ابو عبد الله محمد بن إسحاق المطلبي (ت١٥١هـ / ٧٦٨م)
●سيرة ابن إسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ أو المبعث، تحقيق، محمد حميد الله، (معهد الدراسات والأبحاث والتعريب).
الأَعشَى: ميمون بن قيس (ت ٧هـ / ٦٢٩هـ)
●ديوان الأعشى، تحقيق فوزي عطوي، (الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، د.ت)
امرؤ القيس:بن حجر بن الحارث (ت ٠٠٠/نحو ٦٠٤ م)
●ديوان امرئ القيس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة.
ابن الانباري: أبو بكر محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ / ٩٣٩ م).
●شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ط ٤، (دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م).
اوس بن حجر: بن مالك التميمي (ت ٠٠٠ / ٦٢٠ م)
●ديوان اوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم (دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م).

البحتري: أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)

● حماسة البحتري، تصحيح وتعليق د. مختار الدين احمد، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

● خلق أفعال العباد والرد على الجهمية، وأصحاب التعطيل (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

● الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة (بيروت، م١٩٨٧).

البصري: صدر الدين علي بن الحسن (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

● الحماسة البصرية، تحقيق مختار الدين احمد (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م).

البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ/ ١٦٨١م)

● خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق محمد نبيل طريفي، أميل بديع اليعقوب، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م)

البكري: ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

● فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ط٣، تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة، (بيروت، ١٩٨٣م).

● معجم ما أستعجم، تحقيق مصطفى السقا، ط ٣، (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م)

البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م)

● انساب الأشراف،ج ١،تحقيق محمد حميد الله،(دار المعارف ،مصر)

● فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤٠٣هـ)

البهوتي: منصور بن يوسف الحنبلي (ت ١٠٥١هـ/١٦٤١ م)

● كشف القناع عن متن الامتناع، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤١٨هـ).

البيهقي: أبو بكر احمد بن الحسن بن علي بن موسى (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)

● سنن البيهقي الكبرى، (دار الفكر، بيروت)

● معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية،(لبنان/ بيروت، د.ت).

التهانوي، محمد بن علي بن القاضي (ت بعد ١١٥٨هـ/١٧٤٥م).

●كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق محمد وجيه وآخرون، طبعة شيانك موسيني أف نيكال، (كلكتا – ١٨٩٣م).

التبريزي: أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)

●شرح ديوان الحماسة، تحقيق محمد عبد القادر سعيد الرافعي، (دار القلم، بيروت).

● شرح القصائد العشر، تحقيق د. فخر الدين قباوة (نشر وتوزيع المكتبة العربية بحلب، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م).

الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

●سنن الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ).

ابن ثابت، حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٤٠هـ / ٦٥٩م)

● ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق د. وليد عرفات، دار صادر (بيروت، ١٩٧٤م).

الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م)

●الجواهر الحسان في تفسير القران، تحقيق علي محمد معوض وآخرون (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان).

الثعالبي:أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ /١٠٣٨ م)

●ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م).

الثقفي: إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (ت٢٨٣هـ/ ٨٩٦م).

●الغارات، تحقيق السيد جلال الدين المحدث (مطبعة بهمن، إيران).

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)

●البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الرشيد للنشر، (بغداد، ١٩٨٢م).

●البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (مطبعة لجنة التأليف والنشر، مصر، ١٩٤٨م)

●الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (بيروت ١٩٩٦م)

● رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة، ١٩٦٤م ١٩٦٥م).

الجصاص: أبو بكر احمد بن علي الرازي (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م).

● أحكام القرآن، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين(دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان، ١٩٩٤م).
ابن الجارود: عبد الله بن علي أبو محمد النيسابوري (ت ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م)
●المنتقى لأبن الجارود، تحقيق عبد الله عمر البارودي، (مؤسسة، الكتاب، بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ٠
الجمحي : ابو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥ م)
●طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر (دار المدني، جدة)
ابن جني: ابو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ / ١٠٠١م)
●سر صناعة الإعراب، تحقيق د ٠ حسين هنداوي،(ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥ / ١٩٨٥م).
ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)
●زاد المسير في علم التفسير، تحقيق، محمد بن عبد الرحمن عبد الله، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م).
●غريب الحديث، تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي، (مكة المكرمة، ١٤٠٢ه)
الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ /١٠٠٢م)
●الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطا، ط ٤، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٤م).
حاتم الطائي: بن عبد الله بن سعد الحشرج (ت ٠٠٠/ نحو٥٧٥ م)
●ديوان حاتم الطائي، ط ٢، (دار صادر، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)
الحاكم النيسابوري: محمد بن عبد الله أبو عبد الله (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)
●المستدرك على الصحيحين، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي. بإشراف د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي (دار المعرفة، بيروت، لبنان)
ابن حبان: محمد بن حبان بن احمد ابو حاتم التميمي البستي (٣٥٤هـ / ٩٦٥ م)
●صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٩٣م).
ابن حبيب: ابو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)
●أسماء المغتالين من الإشراف في الجاهلية والإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، (دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م).
●المحبر، تصحيح ايلزه ليختن شتيلر (بيروت، ١٩٤٢م)

●المنمق في أخبار قريش، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه خورشيد احمد فاروق، (عالم الكتب، د. ت).
ابن حجر: اوس بن حجر بن مالك التميمي (ت..... / ٦٢٠ م)
●ديوان اوس بن حجر، تحقيق د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٦٠م).
ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل احمد بن محمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)
●الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق، علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، (بيروت، ١٩٩٢هـ).
● فتح الباري على صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، ط ٢،(دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان)
الحربي: أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣م).
●غريب الحديث، تحقيق الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد العاير،(مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي، دار المدينة للطباعة والنشر، جدة).
ابن حزيمة : محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ / ٩٢٣م)
●صحيح ابن حزيمة، تحقيق د.محمد مصطفى الاعظمي (المكتب الإسلامي، بيروت ،١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م)
ابن أبي الحديد: عز الدين عبد الحميد
●شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل (بيروت، ١٩٧٨م)
الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)
●الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د٠ احسان عباس (دار القلم للطباعة، لبنان، ١٩٧٥ م).
ابن حنبل: الإمام احمد أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)
●مسند الإمام احمد بن حنبل، (مؤسسة القرطبي، مصر).
ابن حيان: أبو محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني (ت ٣٦٩ هـ / م)
●العظمة، تحقيق رضا الله بن محمد ادريس المباركفوري، دار العاصمة (الرياض ، ١٤٠٨هـ).
الخطابي: أحمد بن محمد بن كريم (٣٨٨هـ)

●غريب الحديث، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، جامعة أم القرى، (مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ)

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، (ت٨٠٨ه /١٤٠٦م).

●تاريخ ابن خلدون، ط ٥ ، دار القلم، (بيروت، ١٩٨٥م).

●مقدمة ابن خلدون، ، ط٥، دار القلم (بيروت – ١٩٨٤).

الخنساء تماضر بنت عمرو بن الحارث السُلمية (ت٢٤هـ / ٨٥٥ م)

●ديوان الخنساء، (ط٥، منشورات مكتبة الفرزدق للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة الديواني - بغداد)

ابن خياط: خليفة العصفري أبو عمرو(ت ٢٤٠هـ / ٦٥٤ م)

●تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د٠ أكرم ضياء العمري، ط٢،(دار القلم ومؤسسة الرسالة، دمشق وبيروت، ١٣٩٧ هـ).

الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨ م)

●سنن الدارمي، تحقيق فواز احمد، خالد السبع العلمي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ).

ابو داوُد: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٧هـ/ ٨٨٨م)

●سنن أبي داوُد، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (دار الفكر، بيروت).

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (٣٢١ هـ / ٩٣٣ م)

●جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، (ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م).

الدميري: الشيخ كمال الدين (ت ٨٠٨ هـ / م)

●حياة الحيوان الكبرى، موسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م)

الذبياني: زياد بن معاوية ضباب الملقب النابغة الذبياني (ت ١٨هـ / ٦٠٤م)

●ديوان النابغة الذّبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، (مصر، د.ت).

●ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦٥م)

الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)

●سير إعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط، حسين الاسدي، ط ٩،(مؤسسة الرسالة، بيروت)

●تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، تحقيق مصطفى أبو الغيط عبد الحي عجيب، دار الوطن، (الرياض، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

الرازي: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)

●التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ،ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٠م).

الرازي: محمد بن أبي بكر عبد القادر (ت بعد ٦٦٦هـ/ ١٢٠٨م)

● مختار الصحاح، ضبطه وصححه احمد شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت)

الراغب الأصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م)

● محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق عمر الطباع، (دار القلم، بيروت، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).

ابن ربيعة: (مهلل بن ربيعة) عدي بن ربيعة بن مرة (ت..... / ٦٢٠م)

● ديوان مهلل بن ربيعة، تحقيق طلال حرب، دار صادر ،(بيروت، ١٩٩٦م)

ابن رستة: أبو علي احمد بن عمر (ت في نهاية القرن الثاني الهجري، القرن التاسع الميلادي)

●الاعلاق النفيسة، نشره دي غوية (مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١م)

ابن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣م)

●العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق، محمد عبد القادر محمد عطا، ط٤، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان، ٢٠٠١م).

الراوندي : قطب الدين (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧ م)

●قصص الأنبياء ،تحقيق الميرزا غلام رضا عرفا نيان،(مؤسسة الهادي، قم، ١٤٠٧هـ).

الزبيدي: مجد الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)

●تاج العروس شرح القاموس المسمى من جواهر القاموس (منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان)

الزُبيدي: عمرو بن معد كرب

●شعر عمرو بن معد كرب الزُبيدي، جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي، ط٢، مطبوعات مجمع اللغة العربية، (دمشق، ١٩٨٥م)

الزرعي : محمد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م)

●التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، (بيروت، لبنان).

● زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، ط١٤، (مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت والكويت).

● مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣ م).

● مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية(بيروت، د، ت).

الزرقاني: محمد بن عبد الباقي أبو يوسف (١١٢٢ هـ / ١٧١٠ م)

● شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١١هـ).

ابن زكريا: أبو الحسين احمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)

● معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، (دار الجيل، بيروت لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)

الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)

● أساس البلاغة (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م)

● الفايق في غريب الحديث، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ)

● الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، د، ت).

● المستقصى في أمثال العرب، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت. ١٩٨٧م).

زهير بن أبي سُلمى: ربيعة بن رياح المزني (ت ٠٠٠ /نحو ٦٠٩م)

● ديوان زهير بن أبي سُلمى، (دار صادر، بيروت)

الزيلعي: جمال الدين (ت ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م).

● تخريج الأحاديث والأخبار، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد ط١، دار ابن خزيمة، (الرياض، ١٤١٤ هـ).

● نصب الراية تخريج أحاديث االهداية، تحقيق ابن صالح شعبان، المطبوع مع كتاب الهداية شرح بداية المبتدى، لبرهان الدين المرغياني، ط١، دار الحديث، (القاهرة، ١٤١٥هـ

السبتي: أبو الفضل عياض بن موسى

● مشارق الأنوار ، (المكتبة العتيقة، ودار التراث، د.ت)

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي أبو عبد الله (ت٢٣٠هـ/ ٦٤٤م)

● الطبقات الكبرى، (دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م)

أبو السعود: محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١ هـ / ١٥٤٤م)
●إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي (بيروت، د، ت).

ابن سلام: أبو عبيد القاسم الهروي (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)
●غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، (ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)

ابن سلامة : احمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي (ت ٣٢هـ / ٣٣م)
●شرح معاني الآثار، تحقيق محمد زهري النجار، ط٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م)

السُكري: أبو سعيد الحسن بن الحسين (٢٧٥ أو ٢٩٠هـ/ ٨٨٨ أو ٩٠٢ م)
●شرح أشعار الهذليين، تحقيق احمد عبد الستار فراج (مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٥م)

ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٤هـ/ ٩٥٥م)
●أصلاح المنطق، تحقيق احمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون (ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩ م).

السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م)
●الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، تحقيق مجدي منصور الشورى، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ /١٩٩٥ م).

ابن سيد الناس: محمد بن عبد الله بن يحيى (ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م)
●عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، (مؤسسة عزا لدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م).

ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨ هـ / ١٠٦٦م)
●المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٠م)

المخصص . مطبعة بولاق (القاهرة، ١٢١٨هـ).

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)
●الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ)
●الدر المنثور، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٣م).

الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)

●أحكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤٠٠ هـ).

الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني

●أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر. (بيروت. ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م)

●نيل الاوطار من أحاديث سيد الأخيار، دار الجليل، (بيروت، لبنان، ١٩٧٣م).

الشنتمري: يوسف بن سليمان (ت ٤٥٦ه)

●شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، المطبعة الحميدية، (القاهرة، ١٣٢٣ه)

الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي احمد (٥٤٨هـ/ ١٠٥٦م)

●الملل والنحل، تحقيق محمد سعيد كيلاني (دار المعرفة، بيروت، لبنان)

ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الكوفي (ت٢٣٥هـ/٨٤٩ م)

●مصنف بن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، تحقيق سعيد اللحام، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ).

الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)

●الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث(بيروت، ٢٠٠٠ م).

الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م)

●مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، ط ٢ ،(المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ)

الضبي: أبو العباس المفضل بن محمد (ت٢٦٨هـ/ ٨٧٤م)

●ديوان المفضليات، تحقيق احمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون ،ط٢، دار المعارف، (القاهرة).

ابن طباطبا: أبو الحسن محمد بن احمد العلوي (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣ م)

●عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع (مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت).

الطبراني: سليمان احمد بن أيوب أبو القاسم (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)

●الأحاديث الطوال، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، مكتبة الزهراء، (الموصل - ١٩٨٣ م).

●الروض الداني (المعجم الصغير)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار (بيروت . عمان - ١٤٠٥ – ١٩٨٥م).

●المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين (القاهرة – ١٤١٥ هـ).

●المعجم الكبير، تحقيق، حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، مكتبة الزهراء (الموصل - ١٩٨٣م). وطبعة أخرى للكتاب: (الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة)

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

●تاريخ الرسل والملوك، (دار الكتب العلمية، بيروت).

●جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق صدقي جميل العطار، (دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م)، وطبعة أخرى للكتاب: دار الفكر (بيروت – ١٤٠٥هـ).

●تهذيب الآثار (مسند عمر بن الخطاب)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني (مصر، القاهرة).

طرفة بن العبد: بن سفيان بن سعد البكري الوائلي (ت ... / نحو ٥٦٤ م)

●ديوان طرفة بن العبد، تحقيق علي الجندي (مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م)

العامري: لبيد بن ربيعة (ت ٤١هـ / ٦٦١م)

●شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق د. أحسان عباس، (الكويت، ١٩٦٢م).

ابن عابدين: محمد أمين

●حاشية رد المختار على الدرر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه الإمام أبي حنيفة

●النعمان، (مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م)

العباسي: الشيخ عبد الرحيم بن أحمد (ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م)

●معاهدة التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب (بيروت ـ ١٩٤٧م).

ابن العبد: طرفه بن العبد بن سفيان الوائلي (ت..../ نحو ٥٦٤ م)

●ديوان طرفة بن العبد البكري، اعتنى بتصحيه مكس سلنسون، مطبعة برطرند، (شالون، ١٩٠٠م).

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)
●التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن احمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، (وزارة عموم الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، ١٩٨٧م)
●الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، ط٢، (دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٣ هـ).
●الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق على محمد البجاوي، (دار الجبل، بيروت، ١٤١٣ هـ).
ابن عبد ربه: احمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)
●العقد الفريد، تحقيق احمد أمين، واحمد الزين، وإبراهيم الابياري، ط ٢، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م)
ابن عبد الله: سليمان بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٣٣هـ / ١٨١٧م)
●تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، عالم الكتب (بيروت - ١٩٩٩م).
أبو عبيد: القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ / ٨٢٨ م)
●الأموال، تحقيق خليل محمد هراس، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ).
أبو عُبيدة: معمر بن المثنى التيمي البَصْري (ت٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)
●أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق الدكتور عادل جاسم البياتي، ق١، (مطبعة دار الجاحظ، للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٧٦ م).
●نقائض جرير والفرزدق، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)
ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله (٤٥٣ هـ / ١١٤٨ م)
●أحكام القرآن، ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر (لبنان).
عروة بن الورد
●ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م)
ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م)
●تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين

أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر (بيروت - ١٩٩٥م)
العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال(ت القرن ٥هـ / القرن ١١ م)
●جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ،ط٢، (دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م).
●معجم الفروق الفردية اللغوية، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامية (جامعة المدرسين، قم، ١٤١٢ م).
ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م)
●المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١، دار الكتب العلمية (لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).
العظيم آبادي: محمد شمس الحق (ت١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)
●عون المعبود شرح سنن أبي داوُد، ط ٢، (دار الكتب العلمي، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)
عنترة بن شداد: بن عمرو بن معاوية العبسي (ت ٠٠٠ / نحو ٦٠٠ م)
●ديوان عنترة، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي (مطبوعات المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)
العوتبي: سلمة بن مسلم (لا تعرف سنة وفاته)
●الأنساب، (سلطنة عمان، ١٩٨٤م)
العيني: بدر الدين محمود بن احمد (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)
●عمدة القاري شرح صحيح البخاري (دار إحياء التراث العربي، بيروت)
الغرناطي الكلبي: محمد بن أحمد بن محمد
●كتاب التسهيل لعلوم التنزيل:، ط٤، دار الكتاب العربي (لبنان - ١٩٨٣م).
الفاكهي: محمد بن إسحاق بن العباس أبو عبد الله (٢٧٢هـ / ٨٨٥ م)
●أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، ط٢، دار خضر (بيروت — ١٤١٤ هـ).
الفراهيدي: عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ / ٧٩١م)
●العين، تحقيق مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال(بيروت، د. ت)
●الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م)

•القاموس المحيط (دار العلم للجميع، بيروت، لبنان)

القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت٣٥٦هـ، / ٩٦٦ م)

•الامالي، (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان)

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)

•الأنواء في مواسم العرب . دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد- ١٩٩٨م).

•تأويل مختلف الحديث، تحقيق الشيخ إسماعيل الاسعري (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان)

•الشعر والشعراء، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار المعارف، (مصر، ١٩٨٢م).

•عيون الأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، ١٩٧٣م).

•غريب الحديث، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، (بغداد، ١٣٩٧م).

•المعارف، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة ،دار المعارف ،(القاهرة، د.ت).

قدامة بن جعفر: أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)

•الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد (بغداد، ١٩٨١م).

ابن قدامة : موفق الدين أبو محمد عبد الله بن احمد بن محمد(ت ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م)

•المغني، تحقيق جماعة من العلماء (دار الكتاب العربي، بيروت).

القرطبي: ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢ م)

•الجامع لإحكام القران، تحقيق احمد عبد العليم البردوي، ط٢،(دار الشعب، القاهرة ،١٣٧٢هـ)

القزويني: زكريا محمد بن محمود(ت٦٨٢هـ/ ١٢٤٤م)

•آثار البلاد وأخبار العباد (دار صادر، بيروت)

•عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م).

القلقشندى: أبو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)

•صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق يوسف علي الطويل (دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م)

ابن قميئة: عمرو بن قميئة بن ذريح الثعالبي (ت نحو ٥٤٠ م).
●ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، مطبعة الجمهورية، (بغداد، ١٩٧٢م).
القنوجي: صديق بن حسن (ت ١٠٣٧هـ/ ١٨٨٩م).
●أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٧٨م).
ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القريشي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)
●البداية والنهاية، تحقيق علي شيري (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ)
●تفسير القران العظيم، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ).
●السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى عبد الواحد ،دار المعرفة، (بيروت، ١٩٧٦م).
ابن الكلبي: هشام أبو المنذر بن محمد بن السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ / ٨١٩م).
●الأصنام، تحقيق احمد زكي (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب لسنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة).
الكلاعي : أبو الربيع سليمان بن موسى البلنسي (ت ٦٣٤هـ / ١٢٣٦ م)
●الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، (عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٧م).
الكليني: ابو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (٣٢٨هـ - ٣٢٩ هـ/ ٩٣٩م- ٩٤٠م)
●الأصول من الكافي، تحقيق علي اكبر غفاري، (ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ).
ابن ماجة: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)
●سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (دار الفكر، بيروت)
المباركفوري: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا (ت١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)
●تحفة الأحوذي في شرح الترمذي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ)
●المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)
●الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف،تحقيق احمد محمد شاكر(مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٥م)
المتقي الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م)

●كنز العمال، تحقيق بكري حياني، الشيخ صفوة السقا (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م)

ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب (ت ١٢١٩هـ /١٨٧٤ م).

●صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة بتاريخ المُستبصر، تحقيق: اوسكار لوففرين، (ليدن، ١٩٥١م)

مجمع الكنائس الشرقية:

●قاموس الكتاب المقدس، (ط ٦، مكتبة المشغل، بيروت، رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، ١٩٨١م)

المحبي :محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م)

●خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، (بيروت، د. ت).

المرزوقي: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠م)

●الأزمنة والأمكنة ،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن، ١٣٣٢ هـ).

المسعودي: أبو الحسين بن الحسين بن علي المسعودي الشافعي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)

●أخبار الزمان، تحقيق لجنة من الأساتذة، ط٢، دار الأندلس، (بيروت،١٩٦٦).

●مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بلا (المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م)

مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م)

●صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - (بيروت، د، ت).

المغربي: القاضي نعمان بن محمد بن منصور بن احمد (ت٣٦٣هـ/٩٧٣ م)

●دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، تحقيق أصفر بن علي أصفر فيضي (دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م)

المقدسي: المطهر بن طاهر (ت٣٧٨هـ/ ٩٩٧م)

●البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (نور سعيد، د.ت).

المناوي: محمد عبد الرؤوف المناوي (١٣٣١هـ/ ١٩١٢ م)

●فتح القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، تحقيق احمد عبد

السلام، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩١٤م)
أبو منصور: سعيد بن منصور (ت ٢٢٧هـ/ ٨٤١م)
●سنن سعيد بن منصور، تحقيق د. سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، (دار العصيمي، الرياض، ١٤١٤ هـ).
ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن كرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)
●لسان العرب، (دار صادر، التراث العربي، الناشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ)
مؤلف مجهول: (القرن الثالث الهجري / القرن التاسع الميلادي).
●أخبار الدولة العباسية، تحقيق د.عبد العزيزالدوري،و د.عبد الجبار المطلبي، (دار صادر – بيروت، الناشر دار الطليعة، بيروت).
مؤلف مجهول:
●تنبؤات النبي دانيال، تحقيق بطرس آدمو، مطبعة أسعد(بغداد، د. ت)
موسى بن عقبة: أبو محمد (ت ١٤١ هـ / ٧٥٨م)
●المغازي النبوية، جمع وتحقيق حسين مرادي نسب ،(مطبعة شريعت، إيران، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م).
المهلهل بن ربيعة: عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة (ت ٠٠٠/ نحو ٥٢٥ م)
●ديوان المهلهل بن ربيعة، إعداد وتقديم طلال حرب (دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م)
الميداني: أبو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٦هـ/ ١١٢٤م)
● مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار المعرفة، بيروت)
النابغة الذبياني: زياد بن معاوية (ت ٠٠٠/ نحو ٦٠٤ م)
●ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، (دار المعارف، مصر، ١٩٨٥ م)
النابلسي: عبد الغني النابلسي الحنفي النقشبندي (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م)
●علم الملاحة في علم الفلاحة ،(بيروت – ١٩٧٩).
النسائي: أحمد بن شعيب ابو عبد الرحمن (٣٠٢ هـ / ٩٥٩م)
●السنن الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري . سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – (بيروت١٩٩١ م).
النسفي: أبو البركات عبد الله ابن احمد بن محمود (ت٥٢٧هـ / ١١٤٢م)
●تفسير النسفي، الناشر ردمنك (إيران، د.ت).

ابن النديم،

●الفهرست، دار المعرفة، (بيروت، ١٩٧٨م)

النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)

● صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٢، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م)

النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣ م)

●نهاية الأرب في فنون الأدب (مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة، ٩٤٣ م)

ابن هشام : أبو محمد عبد الملك (ت ٢١٣هـ أو ٢١٨هـ / ٨٢٨ م أو ٨٣٣ م)

●السيرة النبوية تحقيق طه الرؤوف سعد ،(دار الجيل، بيروت١٤١١ هـ)

أبو هلال العسكري: الحسن بن سهل (ت القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)

●معجم الفروق اللغوية، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامية، (جامعة المدرسين، قم، ١٤١٢هـ)

الهيثمي: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)

●بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدني، (دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير)

●الزواجر عن اقتراف الكبائر، التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ط٢، المكتبة العصرية (لبنان - ١٩٩٩م).

● مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان، دار الكتاب، (القاهرة، بيروت ، ١٤٠٧هـ)

الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/ ٨٩٧م)

●المغازي، تحقيق د. مارسدن جونسن، (منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان) ثم طبع على مطابع دار المعارف، مصر.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١١٢٨ م)

●معجم البلدان، (دار صادر، دار بيروت، ١٩٧٧م).

اليشكري: الحارث بن حلزة

●ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، دار الأمام النووي، دار الهجرة، (دمشق، ١٩٩٤م)

اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)

●تاريخ اليعقوبي (دار صادر، بيروت، لبنان، الناشر دنشر فرهنك، أهل البيت، قم)
أبو يعلى: احمد بن علي المثنى الموصلي التميمي (ت٣٠٧ هـ / ٩١٩ م)
●مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، (دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م)

ثانياً المراجع والدوريات:

إبراهيم مصطفى، احمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار
● المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دمشق.
البياتي: عادل جاسم (الدكتور)
● تراث الحب في الأدب العربي قبل الإسلام، مجلة الآداب، الجامعة المستنصرية، العدد٧، سنة ١٩٨٣م
●كتاب أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة، ق١، دراسة مقارنة لملاحم الأيام العربية، تحقيق د. عادل جاسم البياتي، (مطبعة دار الجاحظ، بغداد ١٩٧٦م).
الأحمد: (الدكتور) سامي سعيد
●كلكامش، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٩٩٠م).
●المعتقدات الدينية في العراق القديم (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م)
●معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام وأفكار الشرور، مجلة المؤرخ العربي ،العدد ٢، سنة ١٩٧٥.
الالوسي: محمود شكري
●بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح وضبط محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٩م)
●روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي ،(بيروت، د. ت).
بوترو: جين، وآخرون
●الشرق الأدنى والحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، (الموصل، ١٩٨٦ م).
تركي بيك: فاطمة هاشم
●علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب في عصر الدولة الآشورية الحديثة ٨٥٤-٧١٢ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود ١٩٩٢م

جاد المولى وآخرون:محمداحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم

●أيام العرب في الجاهلية، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

الجادر: (الدكتور) محمود

●هاجس الخلود في الشعر العربي قبل الإسلام، مجلة آفاق عربية، العدد ١٠، سنة ١٩٨٦م.

جاردنر: سير الن

●مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم وعبد المنعم ابوبكر، (القاهرة، ١٩٧٣).

الجبوري: (الدكتور) علي ياسين

●نظام الحكم، بحث منشور في موسوعة الموصل الحضارية، مجلد ١، دار الكتب للطباعة والنشر (جامعة الموصل، ١٩٩١م).

الجبوري: منذر خلف

●أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٤.

الجندي (الدكتور) علي

●شعر الحرب في العصر الجاهلي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٨م

الجواري: هيثم احمد حسين

●نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية ،رسالة ماجستير، جامعة الموصل / كلية الآداب، ٢٠٠٥م.

الحديثي: (الدكتور) بهجة عبد الغفور

●أمية ابن أبي الصلت – حياته وشعره – دار الشؤون الثقافية العامة ،(بغداد، ١٩٩١م).

الحمد: جواد مطر

●الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، دار الثقافة العصرية، (الشارقة، ٢٠٠٢م).

حمور: عرفان محمد (الدكتور)

●قواعد الأمن في المجتمعات العربية القديمة، (مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م).

الحنفي: مصطفى بن عبد الله

●إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان، ١٩٩٢م).

حنون: (الدكتور) نائل

●حينما في العلى قصة الخليقة البابلية، دار الزمان، (دمشق، ٢٠٠٦م).

●عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ط ٢، (دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦ م)

خان: عبد المعيد (الدكتور)

●الأساطير والخرافات عند العرب، ط٣، دار الحداثة للطباعة والبشر، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

الخطيب: بشرى محمد

●الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، (مديرية مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، ١٩٧٧م)

خليف: يوسف (الدكتور)

●الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي (دار المعارف، مصر، ١٩٥٩ م).

خليفة: حاجي

●كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٢م).

خليل: (الدكتور) أحمد خليل

●مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨٠).

الدباغ: (الدكتور) تقي

●الفكر الديني القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٩٢م).

درادكة: (الدكتور) صالح موسى

●الحرب عند القبائل العربية في الجاهلية، مجلة المؤرخ العربي، العدد٢٩، سنة ١٩٨٦م

دير لاين: فريد رسن فون

●الحكاية الخرافية، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٥ م

أبو الرب: ابتسام نايف صالح

● صورة الحرب وأبعادها الأسطورية، مقدمة إلى جامعة النجاح الوطنية في نابلس، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدابها ٢٠٠٦م.

رشيد: (الدكتور) فوزي

● علم الفلك بدايته وإنجازاته"، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٥، بغداد، ١٩٩٧

● الغراب وسيلة من وسائل كشف الطالع"، مجلة سومر، مجلد ٣٤، ج١- ٢، بغداد، ١٩٧٨.

روتن: مرغريت

● علوم البابليين، ترجمة، د. يوسف حَبي، دار الرشيد (بغداد، ١٩٨٠م).

زكي: أحمد كمال

● الأساطير دراسة حضارية مقارنة، ط٢، دار العودة، (بيروت، ١٩٧٩ م)

زيدان: جرجي

● تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت).

ساكز، هاري.

● عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، مطبعة جامعة الموصل (الموصل: ١٩٧٩م).

سلمان: قتيبة أحمد

● عقائد الخصب في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة واسط/ كلية التربية، ٢٠١٠م).

سمار: (الدكتور) سعد عبود

● قبائل مذحج قبيل الإسلام حتى نهاية العصر الراشدي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٦ م.

أبو سويلم: (الدكتور) أنور عليان

● دراسات في الشعر الجاهلي، ط١، (دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م).

● المطر في الشعر الجاهلي، ط٧، (دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م)

شامي: (الدكتور) يحيى

● الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، (بيروت، ١٩٨٦م).

شريف: احمد إبراهيم (الدكتور)

●مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، (دار الفكر العربي، مطبعة مخيمر، القاهرة، ١٩٦٥ م).

شيخو: الأب لويس اليسوعي.

●النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ،ط ٢ ، (دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م)

الصفار: (الدكتورة) ابتسام مرهون

●مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي (مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٦م)

صفوت : احمد زكي

●جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (المكتبة العلمية، بيروت).

عطا الله: فيليب

●نبوخذ نصر – عظمة بابل وإحراق نينوى و تدمير مملكة يهوذا ، ط١ ، دار الجيل (بيروت، ١٩٩٤م).

عبد الرحمن: (الدكتور) عفيف محمد

●الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م

العبيدي: محمد عبد الله إبراهيم

●بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي حتى مطلع العصر الراشدي، (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م).

العسلي: (الدكتور) خالد

●استعمال النعش عند العرب قبل الإسلام، بحث ضمن كتابه دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام والعهود الإسلامية المبكرة (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م)

علي: (الدكتور) جواد

●المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ط١ ، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٢م)

علي: (الدكتور) فاضل عبد الواحد

●طرق العرافة في النصوص المسمارية"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد ٢٥، (بغداد، ١٩٧٩).

●العرافة والسحر"، حضارة العراق، ج١، (بغداد، ١٩٨٥م).

ابو علي: محمد توفيق

●الأمثـال العربيـة والعصـر الجـاهلي دراسـة تاريخيـة، ط١، دار النقـاش، (بـيروت، ١٩٨٨م).

●صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية من القرن ٦. ٩هـ / ١٢- ١٥م، ط٤، شركة المطبوعات، (بيروت ٢٠١٢م)

الفتيان: أحمد مالك

●نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث ،أطروحة دكتوراه غير منشورة (كلية الآداب - جامعة بغداد)، ١٩٩١م.

فريزر: فريد رسن فون

●الحكاية الخرافية، ترجمة د. نبيلة إبراهيم (دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م)

فريزر: جيمس

●الفلكلور في العهد القديم، ترجمة: د. نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢– ١٩٧٤ م.

فهد: توفيق

●الكهانة العربية قبل الإسلام، ترجمة حسن عودة، ورندة بعث، شركة قُدمي للنشر والتوزيع، (بيروت، ٢٠٠٧م)

الفيومي: (الدكتور) محمد إبراهيم

●في الفكر الديني الجاهلي (ط ٣، دار المعارف، مصر، مطبعة القاهرة الجديدة، ١٩٨٢م)

القيسي: (الدكتور) نوري حمودي

●الفروسية في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٤م.

مجمع الكنائس الشرقية:

●قاموس الكتاب المقدس، (ط ٦، مكتبة المشغل، بيروت، رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، ١٩٨١م)

كريمر: صموئيل

●من ألواح سُومَر، ترجمة طه باقر، دار الوراق للنشر، (بغداد، ٢٠١٠ م).

النعيمي: (الدكتور) احمد إسماعيل

●الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥ م)

النص: إحسان

●العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية، (بيروت، ١٩٦٤م)

نولدكه: ثيودور

●أمراء غسان، ترجمة، د. بندلي جوزي، د. قسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، ١٩٣٣ م).

الوائلي: فيصل

●تاريخ العرب القديم في النصوص الأشورية ٨٥٣- ٦٣٠ق. م، (الكويت، ١٩٨٧م)

هيرودت: (ت نحو ٤٣٥ق.م)

●هيرودت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة ،(القاهرة، ١٩٦٦).

ولسون: جون

●الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، (القاهرة، ١٩٥١).

ثالثا: المراجع الأجنبية:

Baigent, M.,

- The Great Omen Series, Enuma Anu Enlil", from the Omens of Babylon: Astrology and Ancient Mesopotamia, London, 1994.
- A Babylonian Tablet on the Interpretation of Dreams", MJ, vol. 8/2, 1917.

يتضمن هذا الكتاب ستة فصول، أولها: المقدس الشخصي عند العرب قبل الإسلام، وجاء الحديث فيه عن معنى المقدس لغة واصطلاحا، وأصناف المقدس الشخصي، وهي: الملوك، وسادات القبائل، والكهنة، ورجال الدين، والأبطال، والسدنة.

أما الفصل الثاني، فعنوانه عقائد الموت عند العرب قبل الإسلام وموقف القرآن والسنة منها، بيّنت مصطلح الموت، وحتمية الموت وانواعه، والحزن على الميت، وغسل الميت وتكفينه، وحمل الميت إلى القبر، واعتقادات ارتبطت بموت سادات القبائل.

وكُرس الفصل الثالث، للحديث عن الإجارة عند العرب قبل الإسلام وعصر الرسالة الإسلامية.

وعُنيّ الفصل الرابع ببعض المعتقدات السائدة عند العرب قبل الإسلام، والتي تدخل في ضمن دائرة الميثولوجيا، تتمثل بتعليق التمائم وكتابة وقراءة الرقى.

واهتم الفصل الخامس، بعادات الحروب عند العرب قبل الإسلام، وقد بينّ الفصل مصطلح الحرب، ومفردة العادة، وتطرق إلى عاداتهم في التهيئ للقتال، وبدايات القتال، واصطحابهم للنساء، وعاداتهم في القتال، وفي التعامل مع الأسرى، وفي طلب الصلح.

ووسم الفصل السادس والأخير: إدراك الغيب عند العرب قبل الإسلام، تطرق فيه الحديث إلى وسائل إدراك الغيب وهي: التنجيم، الفراسة، القيافة، الطرق والخط، التطير والفأل، التنبؤ بتكليم الأصنام، ضرب القِداح، القرعة، الرؤيا، وأيضاً مدركو الغيب: وهم الكهنة.

من مقدمة المؤلف

تموز للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق/ جوال: 00963944628570
Email: akramaleshi@gmail.com
978-9933-516-56-7